

أجاثا كريستي
قضيتها الأخيرة
ت: محمد عبد المنعم جلال

اهداءات ٢٠٠٢

د/ ألفونس فرج

الاسماعيلية

القضيـة الأخيـرة

تأليف : أجـاثـا كـريسـتى
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

الفصـــل الأول

من منا لم يشعر ابدا بذلك الانقباض الذى يحس به المرء فجاة وهو يتذكر تجربة عايشها من قبل أو منظرا مألوفا مر به وكان له أكبر الأثر فى حياته ويقول :

ــ ولكن سبق ان فعلت هذا ؟

ولماذا تحدث فينا هذه الكلمات البسيطة كل هذا التأثير العميق ؟

هذا هو السؤال الذى كنت القيه على نفسى وأنا جالس فى ركن من المقصورة اتابع مناظر اقليم اسكس وهى تتوالى أمام عينى .

كم من الوقت انقضى منذ ان قمت بنفس هذه الرحلة واى احساس ذلك الذى ينتابنى ويجعلنى اشعر بأننى خلفت أحسن سنى عمرى ورائى .. فقد أصبت خلال تلك الحرب التى ستظل بالنسبة لى الحرب على الرغم من أنه وقعت بعدها حرب أشد فظاعة وبشاعة .. كنت فى سنة ١٩١٦ مقتنعا بأننى أصبحت شابا ناضجا فى حين اننى لم أكن ادرى عندئذ أن حياتى الحقيقية انما بدأت فى ذلك الوقت .

وكنت ماضيا ، دون أن ادرى بعد الى لقاء ذلك الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى تكييف حياتى وتشكيلها .. كنت ذاهبا فى ذلك الوقت لقضاء بضعة أيام مع صديقى جون كافنديش ، وكانت أمه قد تزوجت للمرة الثانية وأصبحت تملك بحكم زواجها بيتا ريفيا معروفا باسم « قصر ستايلز » ولم أكن أرى فى هذه الرحلة الا متعة

اللقاء بأصدقاء قدامى ، وما كنت اظن عندئذ اننى لن البث ان أغرق فى تعقيدات جريمة قتل غامضة .

ذلك اننى التقيت فى قصر ستايلز بهركيول بوارو ، ذلك الرجل العجيب القصير القامة الذى سبق ان تعرفت به فى بلجيكا . وما زلت اذكر دهشتى وانا اراه يقطع شارع القرية الرئيسى بمشيته التى يشوبها عرج خفيف وبوجهه الذى يتوسطه شاربه العجيب .

هركيول بوارو ! .. لقد اصبح صديقى الحميم منذ ذلك الوقت ، وقد التقيت اثناء مطاردتنا لأحد القتلة بتلك التى اصبحت زوجة لى .. اجمل واوفى وارق رفيقة عرفها اى رجل ، وهى ترقد الآن فى ســـلام فى أرض الأرجنتين كما تمنت ، دون ان تشعر بأية آلام ومن غير أن تعرف ضعف الشـــيخوخة ، ولكنها خلفت وراءها للأسف رجلا وحيدا يائســـا .

آه ، لو استطيع أن أعود الى الخلف وان ابدأ حياتى من جديد ! .. لو اجد نفسى بطريقة السحر فى ذلك اليوم من سنة ١٩١٦ حيث ذهبت الى قصر ستايلز لأول مرة ! .. لقد تغيرت امور كثيرة منذ ذلك اليوم ، واختفت وجوه مألوفة . أما القصر نفسه فقد انتقلت ملكيته الى قوم آخرين .. فقد مات جون كافنديش .. ولكن زوجته مارى ، تلك المخلوقة الفاتنة الغامضة فكانت لا تزال على قيد الحياة فى مكان ما من مقاطعة ديفون ... أما لورنس فيقيم الآن فى أفريقيا الجنوبية هو وزوجته وأولاده نعم ، تبدلت أمور كثيرة .. وتناول التغيير كل مكان ولكن شيئا واحدا بقى كما هو وبصورة عجيبة .. ذلك أننى كنت عائدا الى قصر ستايلز للقاء هركيول بوارو .

فقد دهشت دهشة كبيرة قبل ذلك ببضعة أيام عندما

تسلمت منه خطابا يحمل اسم قصر ستايلز ، لانني لم اكن قد رايته منذ اكثر من سنة . وكان هذا اللقاء الأخير قد اثار خوفي واضطرابي ، فقد بلغ بوارو من الكبر عتيا واصيب بالتهاب المفاصل . وكان قد انتقل الى مصر على امل أن تتحسن صحته ولكنه قال لي في خطابه أن حالته بقيت كما هي ولم يطرأ عليها اي تغيير . غير أن خطابه كان يدل على الرغم من ذلك ، على انه لا يزال على شيء من الحيـوية .

* * *

« الا تشعر بشيء من الدهشة يا صديقي وأنت ترى عنوان المكان الذي اكتب اليك منه ؟ .. الا يعيـد اليك بعض الذكريات القديمة ؟ .. نعم ، انني في قصر ستايلز تصور أن القصر قد اصبح الآن بنسيونا يديره رجل من ضباط الجيش القدامى ، وأن كانت زوجته هي التي تهتم بالشئون المالية .. وهي امرأة كفء بلا شك ولكنها سليطة اللسان ، وهذا أمر يؤسف له بالنسبة للضابط المسكين . ولو انني كنت مكانه لمـا رضيت بهذا الوضع ابدا .

« ذلك انني رايت الاعلان الذي نشرته الجرائد ، وقد شعرت بالرغبة في ان أرى من جديد ذلك المكان الذي قضيت فيه أيامي الأولى في انجلترا ، فان المرء اذا ما بلغ سني يحلو له ان يتذكر الماضي .

ومن ناحية أخرى وجدت هنا رجلا نبيلا صديقا لمخدوم ابنتك ، وقد حث آل فرانكلين على قضاء الصيف هنا . وقد جاء دوري الآن لكي اقنعك بالمجيء ، وسوف نكون أسرة واحدة معا . سيكون الأمر جميلا ولهذا أرجو أن تعجل يا عزيزي هاستنجز وان تسرع بالمجيء . انني حجزت لك غرفة ملحق بها حمام ، فان قصر ستايلز قد

امتدت اليه يد التجديد ، وقد ساومت حتى حصلت لك على أجر مناسب جــدا .

ان آل فرانكلين وابنتك الظريفة جوديث هنـــا منذ بضعة ايام وقد تم تدبير كل شيء ولا داعى اذن لأن تحاول التملص . .

الى اللقـــاء اذن
صديقك هركيول بوارو

* * *

واغرانى احتمال اللقاء به وفرصة رؤيتي لابنتي فنزلت عند رغبته ، خاصة وانه لم يكن هناك ما يمنعنى من ذلك، فقد التحق ابنى الأكبر بالبحرية فى حين تزوج الآخر وراح يشرف على مزرعتنا بالأرجنتين . وتزوجت ابنتي جريس بضـــابط من الجيش وانتقلت معه للاقامة فى الهند ، أما ابنتى الصغرى جوديث ، وكانت أقرب الى قلبى من غيرها وان كنت لم أستطع ان افهمها أبدا ، فقد كانت فتاة غامضة متحفظة تركب راسها دائما ولا تتقبل نصيحة من أحد ، وطالما أحزننى مسلكها هــذا ولكن زوجتى كانت تفهمها اكثر منى وكانت تؤكد لى أن هذا الأمر منها لايعتبر قلة ثقة وانما هو نوع من الرزانة اللاشعورية . وكانت تبدى اهتماما كبيرا نحوها وتقول ان مشاعر جوديث واحساساتها حارة دائما أكثر من اللازم ، وان تحفظها الغريزى يحرمها من صمام الأمان . وكان لها لحظات غريبة من الكآبة والتعصب المشوب بالمرارة ولكنها رغم ذلك كانت اذكى أخواتها جميعا ، وقد نزلنا عن طيب قلب عند رغبتها فى أن تتم تعليمها الجامعى وحصلت على شــهادتها الجامعية فى العام الماضى ، والتحقت بوظيفة مساعدة لطبيب يزاول ابحاثا خاصة بأمراض المناطق الحارة .

وقــد تساءلت أحيانا فى شىء من الخوف اذا لم يكن تمسك جوديث بعملها واخلاصها لمخدومها لا يعنيان انها تسلم قليلا من قلبها فى هذه المغامرة . ولكن الطبيعة الجدية لعلاقاتها كانت تبعث الاطمئنان الى قلبى ، واظن ان جوديث كانت تحبنى فى قرارة نفسها ولكنها كانت صريحة بطبعها ، وتزدرى ما ندعوه نحن بالافكار العاطفية البالية ولكن انصافا للحقيقة يجب ان أقول أننى كنت اشعر بشىء من القلق فيما يتعلق بهــا .

وكنت قد بلغت هذا الحد من أفكارى عندما توقف القطار فى محطة ستايلز سنت مارى . وكانت المحطة لا تزال على العهد بها لم يتغير فيها شىء وبقيت دون ما سبب ظاهر مكانها وسط الحقول .

* * *

ولكننى لم البث أن تحققت من كر الأيام وسيارة الأجرة تنهب بى شوارع القرية ، فقد تغيرت قرية ستايلز سنت مارى بصورة ملموسة .. محطات بنزين ودار للسينما وفندقان اضافيان وصفوف من المساكن العادية ذات الايجار المعتدل .

ولم تلبث السيارة أن عبرت بوابة قصر ستايلز ، وهنــاك خيل لى فجأة أننى أعود الى اغوار الماضى ، فقد وجدت الحــديقة مطابقة لذكرياتى ولكن الطرقة الطويلة إمتدت اليهــا يد الأهمال واخذت الأعشــاب المتوحشة تنمو وتشق لها طريقا خلال الحصى ، وعند أحد المنحنيات رأينا القصر وكان مظهره الخارجى هو هو لم يتغير ولكن الواجهة والشبابيك كانت فى حاجة الى طبقة من الطلاء .

وعندما جئت الى القصر فى اول مرة ، وكان ذلك منذ سنوات عديدة ، كانت هناك مخلوقة منحنية فوق احــد

احواض الزهور ، وفى هــذه المرة تكرر الامر ورايت مخلوقة أخرى منحنية فوق حوض للزهور وخيل لى عندئذ ان قلبى سيتوقف عن الخفقان ولكن لم تلبث تلك المخلوقة ان اعتدلت فابتسمت عندئذ فى شىء من الارتياح لأنه كان هناك اختلاف كبير بين هيلين هوارد وبين المرأة التى تقف امامى فى هذه اللحظة ، فقد كانت مخلوقة هشــة متقدمة فى السن ذات شعر غزير أبيض تمشطه فى حلقات ، ووجنتين متوردتين وعينين زرقاوين باهتتين ونظرة باردة تتناقض مع رشاقة حركاتها التى بدت لى مفرطة بعض الشىء .

وسألتنى تقول :

هل أنت الكابتن هاستنجز ؟ .. يا الهى !.. ان يدى ملوثتان بالطين . يسرنى ان اراك بيننا . اننا سمعنا الكثير عنك ، ولكن اسمح ان أقدم نفسى . أنا مسز لوتريل . آشتريت انا وزوجى هذا البيت على اثر نزوة ونحاول ان نستغله الآن وما كنت اظن ابدا أنه سيأتى يوم أدير فيه بنسيونا . ولكن يجب ان اعترف منذ الآن ياكابتن هاستنجز أننى امرأة أعمال واننى اتشدد بقدر ما استطيع فى استهلاك الكماليات .

وضحكنا معا كما لو ان فى قولها هذا دعابة طيبة ثم خطر لى فجأة ان ما ذكرته مسز لوتريل قد لا يتعدى الحقيقة فقد رأيت خلف رقتها وظرفها صلابة شديدة .

وسألتها عن صديقى فقالت :

ــ آه . مسكين مستر بوارو .. لو تعرف كيف يتلهف على رؤيتك . ان من يرى حالته ولا يتأثر انما يكون قلبه قـــد من حجر ، واننى أرثى له من سويداء قلبى .

كانت مسز لوتريل تتكلم فى بعض الأحيان بلهجة

ايرلندية ، ولكن كان من الواضح ان ذلك مجرد تصنع منها . وخلعت قفازها الذى تستعمله فى الفلاحة ثم مضينا نحو البيت .

واستطردت تقول :

ــ ان ابنتك مخلوقة فاتنة . والجميع هنا معجبون بها اعجابا لاوصف له . ولكننى امرأة من «الدقة القديمة» وارى أن أرغام فتاة مثلها على قضاء كل وقتها منحنية فوق مجهر انما هو جريمة لا تغتفر وانها بدلا من ذلك يجب ان تخرج وان ترقص وان تخالط قومًا فى مثــل ســنها .

ــ اين هى الآن ؟

كشرت مسز لوتريل وقالت :

ــ يا للفتـــاة المسكينة ! .. انها سجينة كعادتها فى ذلك المعمل الذى استأجره منى الدكتور فرانكلين وأعده وفق ما يريد . ان به عددا كبيرا من الفئران والأرانب والخنازير الصغيرة ، واعترف اننى لا أحب هذا الفرع من العلم .. آه ، ها هو زوجى .

وكان الكولونيل لوتريل قد ظهر من أحد أركان البيت ، وكان رجلا طويل القامة نحيفا له وجه شاحب وعينان زرقاوان ونظرة حلوة . وكان يبدو بالحرى عصبى المزاج وكان قد اعتاد على أن يفتل شاربه الصــغير وهو يتكلم .

بسط الكولونيل يده الى وسألنى :

ــ هل أتيت بقطار الساعة للخامسة والاربعين ؟

قالت زوجته فى لهجة لاذعة :

ــ وهل هناك قطار آخر غيره . اذهب به لكى يرى غرفته . ولعله يريد أن يرى صديقه بوارو بعد ذلك ،

الا اذا كنت تؤثر أن تتناول الشـاى قبل ذلك يا كابتن هاستنجز ؟

أكدت لها أننى لا أريد شيئا واننى أفضل ان اذهب لكى أحيى صديقى دون ابطاء . وقال الكولونيل :

ـ حسنا . اذا أردت أن تتبعنى . آه . . . هل صعد أحد بحقائب الكابتن يا ديزى ؟

اجابته مسز لوتريل فى لهجة حادة :

ـ هذا عملك انت يا جورج اننى اقوم بالبستنة ولا استطيع مباشرة كل شىء .

ـ آه . هذا صحيح . سأهتم بذلك .

وارتقيت الدرجات الأمامية خلفه،والتقينا بعتبةالباب برجل ذى شعر أبيض هش الجسم تقريبا له وجه صبيانى تعلوه امارات الدهشة ويعرج عرجا خفيفا وكان يمسك فى يده منظارا مكبرا . وقال وهو يتلعثم شيئا ما .

ـ هناك عش. .أو عشان. .بجوار شجرة الجميز.

وما أن دخلنا بهو البيت حتى تحول لوتريل الى وقال :

ـ هذا هونورتون . . انه رجل ظريف يحب العصافير والأزهار .

وكان بالردهة رجل طويل القامة يقف بجوار التليفون ، وقال متذمرا :

ـ وددت لو أستطيع ان أقتل جميع المقاولين . . . انهم لا يستطيعون أداء أى عمل مناسب أبدا .

وكان غضبه شديدا ومضحكا بحيث لم يسعنا الا أن نضحك وشعرت بالميل اليه على الفور . وكان لا يزال وسيما على الرغم من أنه تجاوز الخمسين ، يدل وجهه الملوح على أنه قضى جل عمره فى الهواء الطلق . ثم أنه كان ينتمى الى ذلك النوع من الناس الذى أصبح نادر

الوجود واعنى به الانجليزى المثالى الصريح الذى لايعرف اللف او الدوران والذى اعتاد ان تطاع أوامره . ولهذا لم أشعر بأية دهشة عندما قدمه لى الكولونيل لوتريل قائلا ان اسمه سير ويليام بويد كارنجتون . وكنت أعلم انه كان حاكما لاحدى ولايات الهند حيث اصاب فيهـا نجاحا كبيرا . وكان المعروف عنـه انه بارع فى أصابة الهدف وانه صياد قدير وقلت فى نفسى انه واحد من هؤلاء الناس الذين لم يعد عهدنا المنحط يصنعهم .

صاح يقول وهو يضحك :

ــ آه . يسرنى أن أرى هذا الصديق هاستنجز بلحمه وشحمه أخيرا . ان صديقنا البلجيكى كثير الحديث عنك . . ثم ان ابنتك الفاتنة بيننا هى الأخرى ، وهى فتاة جميلة والحق يقال :

اجبت وأنا أضحك :

ــ لا أعتقد ان جوديث قد حدثتك عنى كثيرا .

ــ كلا طبعا . انها عصرية أكثر من اللازم لكى تتحدث عنك . كانت الفتيات فى عهدنا يترددن دائما فى التسليم بأن لهن اب أو أم .

تنهدت :

ــ هذا صحيح . ان الأولاد يعتبرون اهلهم مصيبة كبيرة .

راح بويد كارنجتون يضحك من جديد وقال :

ــ لا أستطيع ان اعرف مشاعرك لأنه ليس لى أولاد لسوء الحظ . ان ابنتك جوديث جميلة جدا ولكنها أبية النفس وارى ان هذا أمر يدعو الى الانزعاج حقا .

وتناول سماعة التليفون وقال :

ــ أرجو أن لا تنزعج يا لوتريل اذا أنا حطمت هـذا التليفون اللعين . . اننى لا اتمتع بالصبر أبدا .

قال الكولونيل ضاحكا :
ــ افعل يا صديقى فانك ان فعلت انما تريحنا منه .
ومضيت خلفه الى الجناح الأيسر للقصر . وتوقف أمام باب فى آخر الطرقة . كان بوارو قد حجز لى نفس الغرفة التى سبق أن أقمت فيها .
ومع ذلك فقد حدثت تغييرات كثيرة . فقد رايت بطول الطرقة أبوابا كثيرة واستطعت ان اتحقق ان الحجرات الفسيحة قد أقيمت بها حواجز خشبية قسمتها الى غرف صغيرة . ولكن غرفتى ، ولم تكن كبيرة ، بقيت كما هى ، وكل ما طرأ عليها من تغيير هو أنه الحق بها حمام صغير وكانت تضم الآن أثاثا ومفروشات حديثة ورخيصة الأمر الذى خيب ظنى لأننى كنت أفضل أثاثا يناسب البيت نفســـه .
وكان بعضهم قد صعد بحقائبى . وقال الكولونيل ان غرفة بوارو تقع أمام غرفتى مباشرة وهم بأن يقودنى اليها عندما ارتفع صوت فى آخر البهو يقول بلهجة الأمر :
ــ جـــورج !
انتفض الكولونيل كما يفعل الجواد الثائر ورفع يده الى فمه وقال :
ــ أظن . . اظن ان هـــذا هو كل شىء يا كابتن هاستنجز . . دق الجرس اذا احتجت الى أى شىء .
ــ جـــورج !
ــ اننى قادم يا صديقتى . . اننى قادم .
نظرت اليه وهو يبتعد مسرعا ثم عبرت الطرقة بقلب خفاق وطرقت باب بوارو .

الفصـــل الثـــانى

من رايى انه ليس هناك مايثير الحزن اكثر من التدهور والضعف اللذين يتسبب فيهما تقدم السن .

وقد سبق ان وصفت صديقى العزيز بوارو أكثر من مرة ، ولهذا لن أتناول الان الا التغييرات التى طرأت عليه فقد أصيب بالتهاب المفاصل ولم يعد فى مقدوره التحرك الا بواسطة مقعد متحرك . وكان ممتلىء الجسم بدينا فيما سبق أما الآن فقد ذاب جسده تقريبا . وامتلأ وجهه بالغضون . وصحيح أن شعره كان لا يزال أسود اللون هو وشاربه ، ولم أكن اريد ان اجرح شعوره لأى سبب ومع ذلك فقد خطر لى ان هناك غلطة ما فقد جاء على وقت دهشت فيه عندما علمت ان سواد شعره راجع الى نوع من الصبغة . ولكن الأمر كان ظاهرا الآن فقد كان يخيل لمن يراه أنه يلبس باروكة وانه لم يزين شفته العليا الا لكى يطرب الأولاد . وكانت عيناه وحدهما هما اللذان لم يتناولهما أى تغيير . كانتا دائمتى النشاط والحيوية ، ثم أنه كانت ترتسم فيهما فى هذه اللحظة نظرة تدل على انفعال كبير . وصاح يقول :

ــ آه .. صديقى هاستنجز .. صديقى العزيز !

وانحنيت فوقه ، وكما هى عادته قبلنى فى حرارة وهو يقـــول :

ــ عزيزى هاستنجز !

واضطجع فى مقعده الى الوراء وقد أمال رأسه جانبا وراح يتأملنى ثم قال :

ــ نعم . انك لم تتغير .. مازلت معتدل القامة مربع

الكتفين . وشعرك الاشيب يكسبك نوعا من الوقار .. انك بقيت كما أنت يا صديقى العزيز .. والنساء .. أما زلن يهتممن بك ؟

صحت محتجا :

ــ بوارو .. هل يجب أن ؟ ..

ــ يمكننى أن أكد لك يا صديقى أن هذا اختبار .. الاختبار رقم ١ .. وعلى العكس من ذلك اذا جاءتك الفتيات الصغيرات وتحدثن اليك فى رفق فان فى استطاعتك عندئذ ان تقول ان هذه هى النهاية فهن يقلن عندئذ : ياله من رجل مسكين ! يجب أن نكون رفيقات به . أنه لمن الفظاعة أن يكون هكذا .. ولكنك مازلت شابا يا هاستنجز ومازالت هناك احتمالات كثيرة بالنسبة لك .

ضحكت وقلت :

ــ بوارو .. انك تتجاوز الحد حقا .. ولكن انت ، كيف حالك ؟

ابتسم وقال :

ــ لم أعد أكثر من حطام . لا أستطيع ان أمشى . اننى أصبحت عاجزا تقريبا. ولكننى احمد الله على اننى مازلت أستطيع ان آكل وحدى على كل حال . أما الباقى فلابد لى من المساعدة كما لو كنت طفلا ، فيجب ان يحملونى الى الفراش وان يغسلونى ويلبسونى ثيابى . ومهما يكن فليس هذا بشىء غريب ، ولحسن الحظ ان المظهر الخارجى هو الذى امتدت اليه يد التلف والفساد أما الداخل فباق كما هو .. وما زال فى حالة جيدة .

ــ طبعا . اننى واثق ان قلبك لا يزال قويا سليما .

ــ قلبى ؟ . . . لم اكن افكر فيه . انما كنت أتكلم عن عقلى يا هاستنجز . . . ان عقلى مازال يعمل بصورة رائعة .

كان فى مقدورى ان ارى ان عقله لم يطرا عليه اى تغيير فيما يتعلق بتواضعه . وسالته :

ــ وهل تروق لك الاقامة هنا ؟

هز كتفيه وقال : ــ انهـــا تكفينى . . . ان هـــذا البنسيون ليس فى مستوى الرتيز طبعا . وكانت الغرفة التى خصصت لى فى البداية صغيرة قليلة المفروشات . وقد حصلت على هذه الغرفة دون اية زيادة فى الأجر . أما الطعام فهو الطعام الانجليزى برداءته حقا . فهم لا يجيدون طهو الكرنب ابدا والبطاطس احيانا ما تكون جامدة وأحيانا ما تـكون ناضـجة اكثر من اللازم . والخضروات ليس لها غير طعم واحد بصفة عامة وهو طعم الماء . اما عن نقص الملح والبهارات فحدث عنهما ولا حرج .

ــ لا يبدو لى كل هذا ممتعا .

ــ ولكننى لا اشكو .

غير انه على الرغم من كل ذلك استأنف شـكواه قائلا : ــ ثم هناك ذلك التجديد المزعوم ايضـــا . . . . حمامات وأعداد كبيرة من الصنابير ، ولكن هل تعرف ماذا يخرج من كل هذه الصنبرة البراقة ؟ . . . ماء فاتر فى أغلب الأوقات . . . ثم ان المناشف رقيقة جدا تبتل عند أول لمسة .

قلت فى تفكير : ــ كان الأمر غير ذلك فيما سبق .

***

والحق اننى مازلت اتذكر سحب الدخان التى كانت تندفع من صنابير المياه الساخنة فى غرفة الحمام الوحيدة بقصر ستايلز ، وهى غرفة كبيرة فيها بانيو كبير مكسو بخشب الأكاجو قائم فى وسط الغرفة المربعة . . . وكانت المناشف كبيرة وسميكة .

واستطرد بوارو يقول :

ــ ولكن لا يجب أن اشكو . . ويسرنى أن اتالم من اجل غرض نبيل .

قلت وقد خطرت ببالى فكرة فجأة :

ــ قل لى يا بوارو . . أظن . . انك لا تعانى من أى ضيق ؟ . . . اننى أعرف ان الحرب تسببت فى هبوط أسعار الكثير من الاسهم ثم ان الظروف الاقتصادية اصبحت منذ ذلك الوقت . . .

اسرع بوارو يطمئننى فقال : ــ

ــ كلا ، كلا ياصديقى . . أننى فى بحبوحة كبيرة . . واذا أردت الحق فأنا ثرى . . . ولم آت هنا لأسباب اقتصادية .

ــ هذا جميل اذن . . . اظن اننى افهم شعورك ، فان المرء كلما تقدم فى السن كلما أحس بحنين الى العودة الى الماضى . وبمعنى آخر فانه يشق على أن أرى نفسى فى هذا المكان مرة أخرى لانه يعيد الى ذاكرتى اشياء كثيرة واحاسيس لا أظن اننى شعرت بها من قبل . واظن انك تشعر بنفس الشىء .

ــ أبدا . . . اننى لا أشعر بشىء من هذا .

قلت فى شىء من الحزن : ــ

ــ ومع ذلك فقد كان وقتنا جميلا .

ــ تكلم عن نفسك يا هاستنجز . أما فيما يتعلق بى فان قدومى الى ستايلز يشق على نفسى ، فقد كنت فى

ذلك الوقت جريحا ولم أكن بأكثر من لاجىء بين غيرى من اللاجئين ، منفيا من بلدى ... وأعيش من احسان وكرم بلد أجنبية . وأؤكد لك ان الأمر لم يكن جميلا أبدا . ولم أكن أدرى عندئذ ان انجلترا ستكون بيتى ووطنى واننى سأجد فيها سعادتى .

قلت : ــ اننى نسيت كل هذا .

ــ تماما . انك تنسب دائما الى غيرك نفس الأحاسيس التى تشعر انت بها ... كان هاستنجز سعيدا ... لابد اذن أن يكون الجميع سعداء .

قلت محتجا وانا اضحك :

ــ كلا ... أبدا .

ــ ولكن ذلك لم يكن صحيحا على كل حال ، فانك كنت تنظر خلفك والدموع مغرورقة فى عينيك وتتنهد وتقول : اوه ، ياللايام السعيدة ! . وكنت أنا لا أزال شابا ولكن الواقع يا عزيزى انك لم تكن سعيدا كما كنت تظن ، فقد صرخت أنت الآخر وكنت تغلى من الغضب لعدم استطاعتك العودة الى الخدمة الفعلية . وكنت مكتئبا جدا لاقامتك فى أحد المستشفيات ثم انك عقدت أمورك بقدر المستطاع ، على ما اذكر بأن احببت امرأتين فى وقت واحد .

ضحكت مرة اخرى واحمر وجهى رغما عنى وقلت:

ــ ان لك لذاكرة قوية يا بوارو .

ــ ها ها .. ما زلت اذكر تنهداتك الحزينة التى كنت تطلقها وانت تنطق بشتى الحماقات عن هاتين المرأتين الجميلتين .

ــ وهل تذكر ماذا قلت لى أيضا ؟ .. انك قلت « لن تكون أى من هاتين المرأتين لك ولكن تشجع

يا صديقى .. فقد نصطاد مرة أخـرى ومن يدرى .. عندئذ ؟ » .

وامسكت عن الحديث ، فقد اشتركت مع بوارو فى التحقيق فى قضية أخرى .. وكان ذلك فى فرنسا فى هذه المرة .. وفى هذه المرة التقيت بالمرأة الوحيدة ..

ربت بوارو على ذراعى فى رفق وقال :

ــ اننى أعرف يا هاستنجز .. أعرف .. ان الجرح حديث ولم يندمل بعد .. ولكن لا يجب ان تخلد الى الحزن .. انظر الى الامام لا الى الخلف ..

اتيت بحركة يائسة وقلت :

ــ انظر الى الأمام .. وما الذى أمامى بعد ؟ ..

ــ هنـاك أولا مهمة يجب انجازها قبـل كل شيء يا صديقى .

ــ مهمة ؟ .. اين ؟ ..

ــ هنا بالذات .

نظرت اليه مشدوها فاستطرد يقـول :

ــ انك سألتنى منذ لحظة عن السبب فى وجودى فى ستايلز ، ولعلك لم تلحظ اننى تهربت فى الرد عليك .. ولكننى سـأرد الآن .. اننى هنـا لكى اطارد قاتلا يا هاستنجز .

نظرت اليه من جديد وقد ازدادت دهشتى . وأعترف لخجلى الشديد اننى ظننت لمجرد لحظة أنه يهذى . وأخيرا تمتمت أقول :

ــ هل ... هل تجد فى قولك هـذا ؟

ــ طبعا .. ولولا ذلك ما طلبت منك الحضور . ان اطرافى وهنت ولكن عقلى ما زال سليما والقاعدة التى نظمت عليها حياتى لم تتغير كما تعرف فيكفى ان اجلس فى مقعدى فى هـدوء وأن أفكر . وما زال هـذا فى

مقدوري . بل انه الشيء الوحيد الذى استطيع عمله .
أما عن الجزء العملى فى أبحاثى فسيتكفل صديقى القديم هاستنجز بالقيام به .

عدت أقول : هل انت جاد فى هذا القول ؟

ــ طبعا .. انا وأنت يا هاستنجز سنطارد صيدا جـديدا .

كان لابد لى من عدة دقائق لكى أقتنع أن بوارو لم يكن يمزح ، ولكن على الرغم من أن كلامه بدا لى غريبا فلم يكن هناك من سبب لكى أشك فى قوله .

وقال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة : هل اقتنعتاخيرا؟ كنت تظن فى البداية أننى أهذى وأخرف .

أسرعت أقول محتجا : أبدا .. أبدا .. ولكن هـذا المكان يبدو لى غير مناسب لوقوع جريمة قتل .

ــ أتظن ذلك .. ؟

ــ أننى لم أر جميع من يقيمون به طبعا .

ــ وبمن التقيت حتى الآن ؟

ــ لم ألتق الا بالكولونيل لوتريل وزوجته وبرجـل آخر يدعى نورتون ، ويبدو لى انه غير مؤذ واخيرا ببويد كارنجتون ، وهو رجل وسيم وجذاب .

أومأ بوارو برأسه ايماءة خفيفة وقال :

ــ حسنا يا هاستنجز .. سأقول لك هذا .. عندما ترى جميع من يقيمون بالبيت سيبدو لك قولى هـــذا غريبا كل الغرابة .

ــ ومن بالبيت غير هؤلاء ؟

ــ هناك الدكتور فرانكلين وزوجته والآنسة كرانن، الممرضة التيتعنى بمسز فرانكلين وابنتكجوريث وامرأة تدعى مس كول ، وهى فى الخامسة والثلاثين من العمر تقريبا .. ثم هناك أخيرا رجل يدعى اللرتون ، وهو أشبه

بالدون جوان وازيد فأقول أن كل هؤلاء قوم ظرفاء .
ــ وواحد منهم قاتل ؟ .
ــ قال بوارو فى صوت خطير : واحد منهم قاتل .
ــ ولكن كيف .. أعنى . ما الذى يحملك على هذا الاعتقاد .. ؟
ولم أستطع النطق الا بكل مشقة وذلك لفرط دهشتى .
ــ أهدأ يا هاستنجز .. وسنبدأ من البداية .. ارجو أن تناولنى هذه الحافظة ، التى فوق الطاولة .. حسنا . والمفتاح الآن ..
وفتح الحافظة الجلدية واخرج منها بضع قصاصات من ورق الجرائد وربطة من الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة وقال :
ــ اقرأ كل هذا يا هاستنجز . لا داعى لأن تزعج نفسك بقصاصات الجرائد الآن ، فهى ليست الا تقارير عن بعض المآسى . وهى مآسى ايحائية فى بعض الأحيان ولكنها غير واضحة فى أكثر الأوقات . ولكى تكون لنفسك فكرة عن هذه القضايا انصحك بأن تقرأ الملخص الذى كتبته .
وأخذت اقرأ وانا فى شدة الدهشة .

***

(أ) قضية أترنجتون :

ليونارد أترنجتون : عادات سيئة . الخمر والمخدرات . طباع منحرفة وميول سادية . زوجة شابة جذابة بائسة جدا معه . مات نتيجة تناوله طعام فاسد . وشك الطبيب فى الأمر وكشف التحقيق عن انه مات مسموما بسم الزرنيخ وعثروا فى البيت على كمية من مبيد الحشرات اشتريت منذ وقت بعيد . والقى البوليس

القبض على مسز اترنجتــون بتهمة القتـــل . وأسفر التحقيق أنها تعلقت منذ وقت حديث بموظف شاب كان يزمع السفر الى الهند . وليس هناك أى دليل على أنها خانت زوجها ، ولكن كان بينها وبين ذلك الشاب ميــل كبير . وقد خطب الشاب بعد ذلك فتاة التقى بها أثنـــاء سفره الى الهند ولا ندرى اذا كان خطابه الذى يشـــير فيه الى ذلك قد جاءها قبل مقتل زوجها أو بعـــده . وهى تزعم أنه وصلها قبل موته . وكانت كل الأدلةالتى تدينها غير مباشرة . ولم يكن هناك أى مشـــبوه آخر محتمل.وقد استبعد البوليس أن يكون زوجها قد مات قضاء وقدرا . وأثارت العطف عليها أثناء نظر القضية . وذلك بسبب طبعزوجها السيىء وسوءمعاملتهالها.وكان الملخص الذىحرره القاضيفىصالحهافقدالح علىأنيصدر المحلفون قرارهم متخذين فى اعتبارهم الشك الذى يحيط بالقضية . وحصلت مسز أترنجتون على البراءة ولكن الرأى العام أصر على اعتبارها مذنبة . واعتزلتمعارفها القدامى الذين عاملوها فى جفاء وأصبحت حياتها شديدة الصعوبة بعد ذلك . ماتت بعد سنتين من صدور الحكم بأن ازدردت كمية كبيرة من مخدر منوم وأسفر التحقيق عن أنها ماتت قضاء وقدرا .

(ب) قضية الآنسة شاربلس :

فتاة عانس عاجزة تعانى من آلام حادة ترعاها ابنة أختهـــا فريدا كلاى . ماتت على اثر حقنـــة كبيرة من المورفين . اعترفت فريدا كلاى بغلطتها مؤكدة أن آلام خالتها كانت لاتطاقوأنها حاولتتخفيف آلامها فحسب . أما البوليس فكان يعتقد أنها لم تخطىء ولكن الأدلة لم تكن كافية لتقديمها للمحاكمة .

(جـ) قضية ادوارد ريجس :

عامل زراعى شك فى أن زوجته تخونه مع ساكن يقيم لديهما يدعى بن كريج . وقد وجد هذا الأخير مقتولا هو ومسز ريجس واتضح أن كلا منهما لقى مصرعه برصاصة من بندقية ريجس . وقد أسرع هذا الأخير وسلم نفسه للبوليس زاعما أنه لابد أن يكون قتلهما ولكنه لا يتذكر شيئا . حكم عليه بالسجن مدى الحياة .

(د) قضية ديريك برادلى :

كان على علاقة بفتاة واكتشفت زوجته الحقيقة فهددته بالقتل . مات بعد ذلك مسموما ودس له السم فى كأس البيرة . القى البوليس القبض على زوجته وقدمت للمحاكمة وأدينت بعد أن أدلت باعترافات كاملة.

(و) قضية ماتيو ليتشفيلد :

كان طاغية فى بيته . متقدم فى السن . له أربع فتيات حرمهن من المال ومن متع الحياة . عاد الى بيته ذات يوم وهاجمه مجهول وضربه بآلة حادة فوق رأسه أفضت به الى الموت . وبعد التحقيق الذى أجراه البوليس ذهبت ابنته الكبرى مرجريت وسلمت نفسها قائلة انها هى التى قتلت أباها لكى تستطيع أخواتها الاستمتاع بالحياة قبل أن يمضى بهن قطار العمر . وكان ليتشفيلد يملك ثروة كبيرة . واعتبر القضاء مرجريت غير مسئولة وأرسلت الى برادمور حيث ماتت بعد قليل .

***

كنت أقرأ ما سبق ودهشتى تزداد من لحظة لأخرى. وطرحت الأوراق بعيدا عنى أخيرا ونظرت الى بوارو مستفهما فقال :

ــ حسنا يا صديقى . .

أجبت فى بطء : أنك ذكرت قضية برادلى فى غموض فقد تتبعتها فى وقتها واظــن اننى اذكر أن المرأة كانت جميلة جدا .

هز رأسه موافقا واستطردت انا أقول :

ــ ولكن يجب أن تزيدنى ايضاحا . ما معنى كل هــــذا . . ؟

ــ قل لي أولا كيف ترى الأمور ؟

أجبت والحيرة تتناوبنى : أننى قرأت بيانا عن خمس قضايا مختلفة . وقعت فى اماكن متفرقة وفى طبقــات اجتماعية متباينة . ولكننى لم استطع أن أجد بينها اى تشابه . فاحداها مأساة تلعب فيها الغيرة دورا كبيرا والأخرى تدور حول زوجة يائسة أرادت التخلص من زوجها والثالثة كان المال هو الدافع اليها أما الرابعــة فقد أرتكبت دون أى غرض لأن الجانية لم تحاول الافلات من العقاب والخامسة كانت جريمة بشعة حقا ولابــد أنها ارتكبت بسبب الشراب .

وأمسكت بضع لحظات ثم سألته فى شىء من البرود:

ــ هل توجد فى هذه القضايا المختلفة نقطة مشتركة غابت عنى . . ؟

ــ أبدا . . أنك كنت فى غاية الوضوح . والنقطــة الوحيدة التى كان يجب أن تذكرها هى.أنه لم يكن يوجد فى أى من هذه القضايا أى شك حقيقى .

ــ أعترف انى لا أفهمك جيدا .

ــ لقد برأ القضاء مسز أترنجتون ، ومع ذلك فقد كان الجميع متأكدين أنها هى الجانية . كانت الأدلة غير كافية لادانة فريدا كلاى ولكن لم يكن هناك احتمــال وجود جان آخر،وزعم ريجس أنه لا يذكر أنه قتل زوجته

وعشيقها . ولكن المسئولين لم يواجهوا فى هذه القضية ايضا احتمال وجود قاتل آخر . اما مرجريت ليتشفيلد فقد اعترفت ومن هذا ترى ياهاستنجز انه لم يكن يوجد فى اى من هذه الجرائم غير مشبوه واحد .

قلت مقطبا : هذا صحيح . ولكننى ما زلت لا افهم ماذا يمكن أن نستنتج من ذلك .

ــ انتظر . . اننى سأنتقل الى نقطة لا تعرفها بعد . لنفرض أن هناك عنصرا خارجا يربط بين كل هــــذه القضايا .

ــ ماذا تعنى . . ؟

ــ دعنى أقدم لك الأمر بطريقة اخرى . هناك شخص معين ســأدعوه « س » ، لم يقم بأى دور فى هــذه القضايا كما هو ظاهــر ، وكان موجودا أثناء ارتكاب احدى هذه الجرائم ، اذا صحت معلوماتى ، على بعـد مائتين وخمسين كيلو مترا من مكان الجريمة ســاعة ارتكابها . ومع ذلك فيجب أن أقول أنه كان على علاقة وثيقة بأترنجتون وأنه قضى بعض الوقت فى قرية ريجس وأنه كان يعرف أسرة برادلى كذلك ، ولــدى صورة التقطت فى الشارع يظهر فيها مع فريدا كلاى . ثم انه كان موجودا على مقربة من بيت ليتشفيلد عندما قتــل هذا الأخير ، فما رأيك فى كل هذا ؟

نظرت اليه بعينين متسعتين وقلت فى بطء : هذا كثير يمكن القول بأن هناك مصادفات غريبة فى قضيتين أو ثلاث من هذه القضايا على الأكثر . ولكن فى الجــرائم الخمس فى وقت واحد فان من الصعب تصديق ذلك . ومهما بدا الأمر غريبا فلابد من وجود رابطة ما بين هذه الجرائم المختلفة .

ـ ها أنت قد وصلت الى نفس النتيجة التى وصلت انا اليها .

ـ وهى أن ذلك المدعو « س » هو القاتل .. ؟ هذا صحيح ..

ـ فى مثل هذه الظروف يجب ان اخبرك ياهاستنجز أن هذا المدعو « س » موجود الآن فى هذا البيت .

ـ هنا .. ؟ فى ستايلز ؟

ـ وما هو الاستنتاج المنطقى الذى يمكن أن نستخلصه من ذلك ؟

وكنت أعرف ما سوف يقول بعد ذلك ، وقد استطرد يقول فى خطورة :

ـ نعم يا صديقى .. انه يعد لكى تقع جريمة قتل هنا .

***

الفصل الثالث

نظرت اليه لحظة مذهولا لا أستطيع الكلام ،ولكننى قلت أخيرا :

ــ آه .. كلا .. انك سوف تمنع هذا .

رمانى بنظرة رقيقة وقال : أى صديقى الشجاع الوفى .. لو تدرى كم أقدر الثقة التى تضعها فى ... ومع ذلك فأننى لست واثقا أن هناك ما يبررها فى هذه الحالة بالذات .

ــ هراء .. انك جدير بأن تمنع هذا .

عاد يقول فى صوت خطير : فكر لحظة يا هاستنجز .. ان من الممكن القاء القبض على قاتل . ولكن كيف السبيل للحيلولة دون ارتكاب جريمة قتل .

ــ حسنا .. انك .. انك .. أعنى انك اذا كنت تعرف مسبقا ..

وامسكت عن الكلام فجأة وقد أدركت صعوبة الامر .

ــ ارايت .. ؟ ليس الأمر بمثل هذه السهولة . والواقع أنه ليس هناك غير ثلاث وسائل . الأولى تقوم أساسا على تحذير الضحية المحتملة ، وهى وسيلة لا تفلح دائما لأن من الصعوبة اقناع اى شخص بأن هناك خطرا يتهدده خصوصا اذا ما أتى الخطر من قريب له أو عزيز عليه ، وهو فى هذه الحالة يثور ولايصدقك . ويمكن أنذار الجانى كذلك بأن تقول له بطريقة مستترة « أننى أعرف نواياك ، واذا مات فلان فسوف تدان يا صديقى » ، وهذه الوسيلة تثمر عادة خيرا من الأولى ولكنها تفشل مع ذلك غالبا لأن الجانى مغرور دائما

ويعتقد انه اذكى الناس وان احدا لن يشتبه فيه وأنــه سيضلل رجال البوليس . والنتيجة أنه يســتمر فى مشروعه على الرغم من كل شىء .. والتعويض الوحيد الذى نحصل عليه هو أدانته فيما بعد .

وأمسك عن الكلام لحظة ثم قال فى تفـكير : اننى انذرت مجرما مرتين فى حياتى كلها ، قبــل أن يرتكب جريمته . مرة فى مصر والأخرى فى مكان آخر .. ولكن المجرم كان مصمما على القتل فى كل من هاتين الحالتين . ولعل الأمر كذلك فى هذه الحالة التى نحن بصددها الآن .

ــ ولكنك تكلمت عن وسيلة ثالثة .

ــ نعم .. وهى تتطلب مهارة كبيرة ، فلابد لنــا أن نعرف بكل دقة أين وكيف سيضرب القاتل ضربتــه لكى نتصرف فى اللحظة المناسبة ونضبطه متلبســا قبــل ارتكابه الجريمة لا بعدها . وان من الضرورة القصوى فى هذه الحالة أن لا يكون هناك أى شك فى النية الاجرامية واستطيع أن أؤكد لك أن هذه الوسيلة صعبة التنفيــذ جدا ولا يمكننى أن أضمن نجاحها ، ولعلنى مغــرور أنا الآن ، ولكننى لست مغرورا الى هذا الحد على كل حال .

ــ واية وسيلة تنوى أن تتبعها ؟

ــ الوسائل الثلاث معا بدون شك ، ففى الحالة التى نحن بصددها تعتبر الوسيلة الأولى أصعبها كلها .

ــ كنت أظن أنها ، على العكس ، أسهلها .

ــ ذلك شريطة أن تعرف الضحية ، ولكن الا تفهم اننى لا اعرف من هى ؟ .

ــ ماذا .. ؟

اطلقت هذه الصيحة متعجبا دون تفكير ولكننى لم البث ان رايت صعوبة المهمة . لم يكن هناك ريب من وجود صلة بين الجرائم المختلفة التى قرأت ملخصا هى منها

ولكن الأمر الثابت هو أننا لم نعرف الدافع اليها .. لم يكن الدافع واضحا .. وفى مثل هذه الظروف لم يكن من المستطاع أن نعرف من هى الضحية التى يهددها خطر الموت .

هز بوارو راسه موافقا وهو يرى أننى أدركت طبيعة الموقف وقال :

ـ أرأيت يا صديقى .. ؟ ان الأمر كما قلت لك منذ لحظة ليس بمثل هذه السهولة .

ـ الم تجد حتى الآن اية صلة تجمع بين هذه الجرائم المختلفة ؟ .

ـ أبدا ..

فكرت لحظة ثم سألت : هل انت واثق أنه ليس هناك اى دافع مالى ، كما حدث فى قضية أفلين كارليل ؟

ـ يمكنك أن تطمئن ان مثل هذا الدافع هو ما أبحث عنه عادة ياهاستنجز .

وكان ذلك حقا ، فقد كان أول شىء يفكر فيه بوارو دائما عندما يضطلع بالتحقيق فى أية جريمة هو دافع المال .

ورحت أفكر ثانية . هل يمكن ان يكون الأمر مجرد انتقام ؟ كان هذا متطابقا مع الحقائق ، ولكننا حتى اذا واجهنا هذه النظرية فلم تكن هناك أية صلة بين الجرائم من هذه الناحية . وأتذكر أننى قرأت فيما مضى قصة سلسلة من الجرائم كان الدافع فيها غير ظاهر ، ولكن أسفر التحقيق فيما بعد أن القتلى كانوا أعضاء هيئة من المحلفين وأن جرائم القتل أرتكبها رجل ادانته هذه الهيئة . وربما كان الأمر كذلك فى الجرائم الخمس المذكورة ، ولكن يجب أن أعترف بكل خجل بأننى احتفظت

لنفسي بهذا الراى وانا اقول فى نفسي أننى سأكون فخورا جدا اذا قدمت لبوارو حل القضية وقلت :

ــ والآن . من هو قاتلك الغامض ؟

هز بوارو راسه فى عزم وقال : هذا شيء لن اقوله لك يا صديقى .

ــ ولم لا ؟ .

***

ومض بريق من الخبث فى عينى المخبر العجوز وقال : لأنك ما زلت هاستنجز الذى أعرفه .. ان وجهك مازال شفافا كما هو ولا أريد أن تخرج من عندى وتحـدق فى صاحبنا الذى اشتبه فيه فاغر الفم وقد انطبعت على جبينك هذه الكلمات : « اننى انظر الى قاتل » ..

ــ ولكن يمكنك أن تثق أننى أعرف كيف اتكتم عندما تكون هناك ضرورة لذلك .

ــ ولكنك عندما تحاول أن تتكتم يكون الأمر اسوأ يا صديقى . كلا .. يجب أن يحتفظ كل منا بالأمر سرا . وسوف نتصرف فى اللحظة المناسبة .

قلت : أيها الشيطان العجوز .. اود لو ان ..

وامسكت وانا أسمع طرقة على الباب ، فقال بوارو : ادخل ..

ظهرت ابنتى جوديث على عتبة الباب . وكنت أود ان أصفها ولكننى لا أجيد الوصف .

وجوديث طويلة القامة مهيبة الطلعة ذات وجه جميل ترتسم عليه سمات الجد و[illegible] فى أنها تخلق حولها هالة من التراجيديا .

قالت وهى تبتسم : صباح الخير يا أبى .

ولكنها لم تأت لكى تعانقنى ، فلم يكن هذا من طبعها ،

ثم ان ابتسامتها كانت خجلة ومرتبكة بعض الشيء .ومع ذلك ، وعلى الرغم من افتقارها الى العفوية فقد خيل لى أنها كانت مسرورة برؤيتى . وقالت :

ــ حسنا .. هأنذا ..

واحسست بأننى مضحك شيئا ما كما يحدث لى غالبا عندما أخاطب الشباب .

وقالت جوديث : جميل منك انك اتيت .

قال بوارو : ولم نكن تخيفه اية كذبة : كنت أتحدث معه عن الطعام الذى يقدمه قصر ستايلز .

سألته ابنتى : أهو ردىء الى هذا الحد ؟

ــ ما كان يجب أن تسألى هذا السؤال يا ابنتى .. الا تفكرين فى شيء آخر غير أنابيب الاختبار والميكروسكوب ؟! ان بأصابعك أثر كحول الميثيلين الأزرق .. لن يطيب لزوجك أبدا أن لا تعنى بمعدته .. فان الرجال كما تعرفين ..

ــ من المحتمل جدا أنه لن يكون لى زوج .

ــ بل ستتزوجين من غير شك .. لماذا تحسبين ان الله خلقك اذن .. ؟

ــ لأشياء كثيرة طبعا .

ــ الزواج بادىء ذى بدء .

ــ حسن جدا .. أبحث لى اذن عن زوج ظريف وسوف أعنى بمعدته .

قال بوارو وهو ينظر الى : أنها تسخر منى ..ولكنها ستدرك ذات يوم حكمة المسنين .

وطرق الباب من جديد . وكان الطارق هذه المرة هو الدكتور فرانكلين ، وهو رجل طويل القامة ، جاف الطباع بارز تقاطيع الوجه له فم ينطق بالارادة والقوة

وشعر أشقر وعينان زرقاوان : كان يبدو فى الخامسة والثلاثين من عمره وكان أشد الرجال الذين التقيت بهم طيشا ونزقا ، فقد كان لا ينفك يصطدم بالأشياء الموجودة حوله . وما أن دخل حتى أوقع الحاجز الموجود أمام مقعد موارو وهو يعتذر . وهممت بأن أضحك ولكنني لاحظت أن جوديث تحتفظ بكل سمات الجد والهدوء ، ولم يكن هناك ريب فى أنها اعتادت على مثل هذه الأشياء .

قالت : هل تتذكر أبي ؟

أجفل الدكتور فرانكلين وقطب حاجبيه وحدق فى لحظة ثم بسط يده يقول فى ارتباك : طبعا .. طبعا .. سمعت أنك قادم .

ثم تحول الى جوديث وقال : ما رأيك .. ؟ هل تظنين أنه لابد لنا من استبدال ملابسنا .. ؟ لأنه اذا لم يكن ذلك ضروريا فاننا نستطيع مزاولة عملنا بعد العشاء .. اذا استطعنا أن نعد بعض اللوحات ..

قالت جوديث : كلا .. انني افضل ان اتحدث مع أبي .

ــ أوه . نعم .. طبعا ..

وابتسم معتذرا .. وكانت ابتسامته خجلى وصبيانية شيئا ما ..

ــ انني آسف .. لقد غرقت فى تجاربي بحيث اصبحت أنانيا .. معذرة ..

ودقت ساعة حائط فى هذه اللحظة فالتفت فرانكلين اليها نظرة سريعة وقال :

ــ يا الهي .. لقد مرينا الوقت سريعا . وستواجهني المتاعب فقد وعدت بربارا أن اقرأ لها قبل العشاء .

وابتسم لنا وغادر الغرفة مسرعا ، ولكن بعد أن اصطدم بالباب .

وقلت : كيف حال مسز فرانكلين ؟
أجابت جوديث : كما هى .
ـ انه لأمر محزن بالنسبة لها .
قالت ابنتى : ومحزن بالنسبة لطبيب ، فان الأطبـــاء يحبون الأصحاء .
تمتمت : ما اقسى قلوبكم يا معشر الشباب .
قالت ابنتى فى برود : انما أبدى حقيقة فحسب .
تدخل بوارو فقال : ومع ذلك فقد أسرع هذا الطبيب الشهم لكى يقرأ لزوجته .
قالت جوديث : هـــذا أمر مضحك . ان فى مقـــدور ممرضتها أن تفعل ذلك . فيما يتعلق بى فأننى أكره أن يقرأ لى أحد .
قلت : ان الأذواق تختلف .
قالت جوديث : ان مسز فرانكلين امرأة غبية حقا ..
قال بوارو : اننى لا اوافقك فى هذا الرأى يا ابنتى .
ـ انها لا تقرأ الا الروايات الرخيصة دائما ولاتبدى أى اهتمام بأعمال زوجها وليست على علم بما يجرى فى الدنيا من أحداث ولا تحسن الحديث الا عن صحتها لكل الذين يريدون الانصات اليها .
قال بوارو : ولكننى أعتقد انها تستخدم عقلها بطريقة لا تعرفينها أنت تماما يا ابنتى .
وسو ـ انها انثوية جدا .. تموء وتهرهر .. اظن انـــك
هكذا يا عمى هركيول .
قال بوارو
ستدرك ذات يو ا .. انه يفضلهن بدينات يتدفقن صــــحة
يما الروسيات المولد .
وطرق الباب ـى اسرارى يا هاستنجز .. ؟ كان
هو الدكتور فرانكا جوديث يميل دائمـــا لذوات الشـــعر
الطباع بارز تقاطيب له ميله هذا فى مشاكل كثيرة .

رددت جوديث البصر بيننا وهى تبتسم وقالت :يا لكما من رجلين غريبى الأطوار ؟

ودارت على عقبيها فنهضت وانا اقول : يجب أن افرغ حقــائبى .

مد بوارو يده نحو الجرس . وبعد دقيقة اقبل خادمه الخاص ، ودهشت حين رأيت انه رجل مجهول تمـــاما وسألته :

ـــ وأين جورج ؟

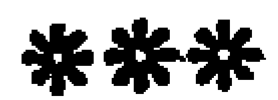
ذلك أن جورج امضى مع بوارو سنوات عديدة .

ـــ ان اباه مريض ، ومضى ليكون الى جواره.ولكننى ارجو أن يعود ذات يوم . وفى أثناء ذلك يهتم كورتيس بى.

ونظر الى خادمه الجديد ، وكان رجلا طويل القامة متين الجسم له وجه ينطق بالغباء .

ولاحظت وانا اخـــرج أن بوارو يغلق بعنـــاية كبيرة الحافظة التى تضم الأوراق التى أطلعنى عليها .

وعبرت الطرقة فىطريقى الىغرفتى وذهنىمضطرب.



الفصل الرابع

هبطت الى غـــرفة الطعام فى تلك الليـــلة يخامرنى احساس بأن الحياة أصبحت فجأة غير حقيقية .

وقد تساءلت مرة أو مرتين وأنا أستبدل ثيابى ان لم يكن بوارو قد تصور كل هذه القصة . انه أصبح الآن ، على كل حال شيخا هده المرض ولكنه يؤكد أن عقـــله لا يزال كما هو فهل هذا صحيح .. ؟ أنه قضى كل حياته فى مطاردة المجرمين وليس عجيبا أن يتصور أن هنـــاك جرائم حيث لا توجد ؟ ولا ريب أنه شقت عليه البطـــالة بصفة خاصة وليس غريبا اذن أن يخترع قصة مطـــاردة جديدة .. لقد جمع بعض الحقائق وخيل له أنه يجد فيها شيئا لا وجود له .. أعنى شخصا غامضا .. قاتـــلا مجنونا . وطبقا لكل الاحتمالات فان مسز أترنجتون قتلت زوجها وان العامل الزراعى قتل زوجته وأن فتاة حقنت خالتها بكمية قاتلة من المورفين وأن زوجة غيورا تخلصت من زوجها بعد ان هددته بالقتل وان فتاة مسكينة مجنونة ارتكبت جريمة قتل ثم اعترفت بها فيما بعد .. كانت كل هذه الجرائم تبدو كما هى تماما ولا شىء أكثر .

ومع ذلك فقد كنت أثق ثقة عمياء فى بوارو ، وقد أكد لى أن جريمة قتل سوف تقع وان قصر ستايلز سوف يكون مسرحا لفاجعة للمرة الثانية . والوقت وحده هو الكفيل باثبات صحة هذا الادعاء أو كذبه . ولكن اذا كان الأمر صحيحا فانه يتعين علينا أن نمنع حـــدوثه . واذا كنت لا أعرف شخصية القاتل فان بوارو يعرفها .

ولكننى كلما ازددت تفكيرا فى الأمر كلما ازداد جزعى

فان صديقي العزيز أثبت انه على وقاحة كبيرة حقا فقد طلب معاونتي ولكنه رفض أن يمنحني ثقته ، فلماذا . . ؟ ان السبب الذى ابداه لى لم يكن كافيا وقد لقيت كفايتى من دعابته السخيفة التى تدور حول شفافية وجهى ، فانى استطيع ان اكتم السر كغيرى من الناس . ولكن بوارو كان عنيدا دائما فى هذه الناحية ، واذا كان يحلو له فى بعض الأوقات أن يزيد من امتهانى بخصوص طبيعتى الشفافة وان يزعم أن الجميع يستطيعون قراءة ما يدور فى ذهنى فانه كان يحاول دائما تخفيف وقع هذا الأمر على نفسى فينسب شفافيتى هذه الى صدق خلقى الذى يمقت كل صور الخداع .

ولكن اذا كانت هذه القصة لا تعدو ان تكون وهما صوره له خياله فمن السهل تفسير تحفظه . ولم أكن قد اهتديت الى اى حل للمشكلة عندما دق جرس العشاء . وهبطت وذهنى يقظ وعينى ساهرة وقد عقدت العزم على محاولة اكتشاف القاتل المجهول . فقد رايت أن اتقبل فى الوقت الحالى قصة بوارو على أنها حقيقية . ومعنى هذا أن هناك تحت سقف البيت ، شخصا سبق أن قتل خمس مرأت ويتأهب لارتكاب جريمة سادسة ، ولكن من يكون هذا الشخص ؟

وفى غرفة الصالون ، وقبل أن امضى الى غرفة الطعام تعرفت بمس كول وبالميجور اللرتون . وكانت الأولى شابة طويلة القامة فى الثالثة والثلاثين أو الرابعة والثلاثين من عمرها ، وكانت لا تزال جميلة جدا ، ولكننى أحسست للوهلة الأولى بنفور طبيعى من الثانى . . . كان رجلا وسيما فى الأربعين من العمر ، عريض الكتفين أسمر البشرة ، مرح الحديث،

تتضمن عباراته فى الغالب معنى مزدوجا ... تحت عينيه تلك الجيوب التى يعزونها عادة الى حياة خليعة داعرة . وقد وضعته على الفور فى طبقة المنغمسين فى ملذات العيش وشاربى الخمــر ولاعبــى الميسر والمــاجنين .

وبدا لى أن الكولونيل لوتريل لا يميل هو الآخر اليه ابدا ، وان بويد كارنجتون يعامله فى شىء من البرود . والحق ان اللرتون لم يكن يلقى نجاحا الا مع النســاء ، فقد كانت مسز لوتريل تزقزق مسرورة وهو يطريها فى غير اكتراث وبوقاحة غير مستترة تقريبا ... بل اننى انزعجت وانا ارى ابنتى جوديث هى الأخرى تستمتع بصحبة ذلك الرجل وتبذل جهدا لمتابعة حديثه على غير عادتها . وطالما تساءلت لماذا تروق صحبة احط الرجال لأكثر النساء حشمة وجمالا . وكنت أعــرف بالغريزة ان اللرتون رجل قذر ، وتسعة رجال من عشرة كانوا يؤيدوننى فى هذا الراى فى حين أن تسع نساء من عشر ، بل لعلهن جميعا يفتتن به .

وبينما كنا جلوسا حول مائدة العشاء ، وبينما كانوا يضعون امامنا أطباق الطعام رحت أنقل بصرى بين الموجودين محاولا مواجهة مختلف الاحتمالات . فلو أن بوارو كان مصيبا ، وعلى فرض ان عقله لا يزال يعمل بصورة ممتازة حقــا فلا ريب ان احــد هؤلاء الأشخاص مجرم أو مجنون ، وعلى الرغم من أنه لم يصرح لى بشىء فقد آستنتجت ان « س » الغامض رجل فمن يكون بين الجالسين حولى .

انه ليس الكولونل لوتريل على كل حال لأنه رجل ضعيف الارادة دائم التردد . أما نورتون ، وهو الرجل

الذى التقيت به على عتبة الباب وبيده منظار مكبر فكان يبدو هو الاخر بعيد الاحتمال ... كان رجلا ظريفا على شيء من التفاهة ولا يتمتع بأية حيوية . وقد قلت لنفسي بالطبع ان كثيرا من المجرمين ما هم فى الواقع آلا أناس تافهون لا يتمتعون بأية حيسوية فى الظاهر وانهم لهذا السبب بالذات يحاولون اثبات وجودهم بارتكاب الجرائم ، فانهم يغتاظون اذ يتجاهلهم النـــاس ، ومن المحتمل أن نورتـــون ينتمى الى تلك الطبقة ، ولكننى رايت أن هناك نقطة فى صالحه وهى ذلك الحب الذى يبديه نحو الطيور والزهور ، فطالما فكرت فى أن حب الطبيعة عند الرجل دليل على أخلاقه الحســـنة .

بويد كارنجتون ؟ ... كان هذا امرا غير معقول ، فان رجلا معروفا فى العالم اجمع بأنه صياد بارع ورجل اعمال ناجح يحبه الجميع ويحترمونه لا يمكن أن يكون مجرما .

واستبعدت فرانكلين كذلك فقد كانت ابنتى تحترمه وتعجب به .

ولكننى توقفت كثيرا عند الميجور اللرتون ، فهـــو رجل قذر جدير بأن يذبح جدته ، وكان فى هذه اللحظة بالذات يروى قصة فشل منى به حمل الجميـــع على الضحك ، وأدركت أنه اذا كان هو « س » الغامض فلا بد أنه ارتكب جرائمه لكى يجنى منها فائدة ما .

ولم يؤكد لى بوارو بالطبع بصورة قاطعة أن «س» رجل ، ولهذا رحت اتأمل مس كول على احتمال أن تكون هى « س » . كانت تبدو امرأة عادية ولكنهـــا كانت مضطربة وعصبية بدون نزاع . وكانت هى ومسز لوتريل وجوديث النساء الوحيدات الموجودات فقـــد

كانت مسز فرانكلين تتناول طعامها فى غرفتهـــا أما المرضة التى تهتم بها فكانت تتناول الطعام عادة بعد أن نفرغ نحن منه .

واذ فرغنا من العشاء بقيت لحظة واقفا بجوار نافذة غرفة الصالون افكر فى ذلك اليوم البعيد الذى رايت فيه لأول مرة سنتيا مردوك ، تلك الفتاة الفاتنة ذات الشعر الأحمر تجتاز وهى تجــرى تلك المرجة بالذات .. ما كان اجملها ببلوزتها البيضاء !

وكنت غارقا فى أفكارى فأجفلت عندما جاءت جوديث ودســـت يدها تحت ذراعى وجذبتنى نحـــو الشرفة وسألتنى دون تمهيد : ــ

ــ ماذا هنـــاك ؟

اجفلت وقلت : ــ ما الخبر ؟ . . ماذا تعنين ؟

ــ انك كنت غريب الأطوار طوال الوقت . لمـــاذا رحت تحدق فى الموجودين اثناء الطعام ؟

احسست بالارتباك ، ومع ذلك فقد خيل لى أن ما من أحد منهم قد لحظ اهتمامى بهم وقلت :

ــ آه . الحق اننى كنت أفكر فى الماضى ... ربما كنت ارى أشباحا ..

ــ انك اقمت هنا فى الماضى ، عندما كنت شابا ، اليس كذلك ؟ ... وقد لقيت امرأة عجوز مصرعها قتلا ، فهل هـــذا صحيح ؟

ــ نعم . ماتت بالسم .

ــ وكيف كانت ؟

فكرت فى الأمر وقلت : ــ كانت امرأة طيبة جـــدا وفائقة الكرم ... كانت تبذل الكثير للجمعيات الخيرية .

ــ أوه ... هذا النوع من الـــكرم !

نطقت جوديث بهذه العبارة فى ازدراء ثم اردفت فألقت سؤالا اثار دهشتى ، فقد قالت :

ـ هل كان الناس سعداء هنـــا ؟

كنت أعرف انهم لم يكونوا كذلك فأجبت : ـ كلا .

ـ لمــاذا ؟

ـ لأنهم كانوا يشعرون انهم سجناء نوعا ما ، فقد كانت مسز انجلثورب ، هى التى تملك المـــال ... وكانت تنفقه فى بخل شديد ... ولم يكن باستطاعة اولاد زوجها أن يعيشوا عيشة محترمة .

توترت يد جوديث فوق ذراعى وقالت : ـ هذا امر سىء .. بالغ السوء .. نوع من تجاوز السلطة غــير مسموح به . ان المسنين والمرضى لا يجب أن يكون لهم الحق فى تقييد حياة الشباب والاصحاء واستعبادهم وتنغيص حيـــاتهم وتبـــديد طاقتـــهم التى يمكن أن يستخدموها فيما هو انفع واجدى ... هذه انانية .

اجبت فى لهجة جافة : ـ ليست الأنانية حكرا على المسنين .

ـ اعرف ذلك يا بابا . أنك تظن طبعا ان الشباب انانيون هم الاخـــرون . لعلنا كذلك . ولكنها انانية نظيفة ، فاننا لا نريد أن نفعل الا ما نتمنى ولكننا لا نريد أن يفعله الاخرون مكاننا . اننا لا نريد أن ندفع غيرنا الى العبـــودية .

ـ كلا . انكم تقنعـــون بأن تطأوهم بنعـــالكم اذا ماتواجدوا صدفة فى طريقكم .

ضغطت جوديث على ذراعى وقالت : ـ لا تكن مريرا هكذا . اننى لا أطأ أحدا بنعالى ، ولكن يجب أن أعترف أنك لم تحاول أبدا أن تملى على أى منا أن

يسلك سلوكا معينا ، وانا واختى واخوى نشكرك كثيرا من اجل هذا .

قلت فى اخلاص : ــ لعلنى كنت اريد ان افعل ذلك ، ولكن أمكم أرادت ان تترك لكم مسئولية اعمالكم ... وتبعة اخطائكم .

احسست مرة اخرى بيد ابنتى تتوتر على ذراعى وقالت :

ــ اعرف ذلك . كنت تود ان تشملنا برعايتك كما تفعل الدجاجة مع صغارها . اننى أمقت هذا ، ولا استطيع احتماله . ولكنك توافقنى طبعا على أن الأشخاص الذين لا نفع فيهم يجب التضحية بهم من اجل النافعين .

ــ يحدث هذا احيانا . ولكن لا حاجة ابدا لأن نلجأ الى وسائل تعسفية . يحق لكل امرىء أن يختفى وأن ينسحب ...

ــ نعم . ولكن هل هذا هو الذى يحدث ؟

كانت لهجتها من الحدة بحيث رفعت عينى اليها . ولكن الظلام كان قد جن فلم استطع أن أميز وجهها فى وضوح . واستطردت تقول فى صوت خافت مضطرب :

ــ هناك اعتبارات مالية ... وشعور بالمسئولية ... ونفور من جرح كرامة من نحب ... وهناك اشخاص معدومو الضمير ... لا هم لهم آلا التلاعب بهذه المشاعر ... ان بعض الناس اشبه بمصاصى الدماء .

صحت : ــ عزيزتى جوديث !

اذهلتنى حدتها ، ولكن يبدو أنها ادركت انها تمادت فى تحمسها قليلا لأنها راحت تضحك فجأة ثم قالت :

ــ لا شك انك تجدنى مندفعة اكثر من اللازم ، ولكن الحديث فى هذا الموضوع يستهوينى . اننى عرفت حالة ... اوه ، كان رجلا وحشا . وعندما خطر لشخص أن يقاومه وأن يحرر الناس الذين يحبهم من جبروته رموه بالجنون ؟ ... الجنون ! ... انه أقدم على عمل حكيم لم يكن اى شخص آخر يستطيع أن يقدم عليه ... عمل حكيم وشجاع .

احسست بانفعال شديد ... اين سمعت مثل هذا القول ؟ ... اننى سمعت مثل هذا القول منذ وقت طويل .

سألتها على الفور : عم تتحدثين يا جوديث ؟ .

ــ أوه ، عن شخص لا يمكن ان تعرفه ... أصدقاء لفرانكلين ... رجل مسن يدعى ليتشفيلد ارغم بناته على الموت جوعا تقريبا على الرغم من انه كان ثريا . لم يكن يسمح لهن بالخروج أبدا ويمنعهن من رؤية اى احد ... كان مجنونا حقا ... ولكنه لم يكن بذلك الجنون الذى يصفه الأطباء .

ــ وقد قتلته ابنته الكبرى ... اليس كذلك ؟

ــ أوه ، أظن انك قرأت هذه القصة فى الجرائد . يمكنك أن تقول انها جريمة قتل اذا أردت ، ولكننى أقول لك أنه لم يكن هناك اى دافع شخصى ... وأرى ان تلك الفتاة كانت شجاعة حقا . ولو اننى كنت مكانها لما وجدت ما يكفى من الجرأة ...

ــ ما يكفى من الجرأة لكى تسلمى نفسك أو لكى ترتكبى الجريمة ؟

ــ للامرين معـا .

قلت فى لهجة صارمة : ــ يسرنى ان اسمع ذلك . ولكن لا يطيب لى أن اسمعك تقولين ان هناك حالات

تبرر جريمة القتل . ماذا كان راى الدكتور فرانكلين فى هــذه القضــية .

ـ قال ان ذلك الوحش لقى جزاءه الحق . الواقع يا أبى أن هناك اناسا يفعلون كل شيء من شأنه أن يتسبب فى قتلهم .

ـ لا اريد أن تنطقى بمثل هذه الآراء يا جوديث .. من الذى حشا رأسك بمثل هذه الأفكار ؟

ـ لا أحــد .

ـ حسنا . دعينى اقول لك ان كل ذلك حماقات شديدة الخطر .

ـ حسنا . فلنبق عند هذا الحــد .

وسكتت لحظة ثم عادت تقول فى مرح : ـ الواقع اننى أتيت لكى انقل اليك رسالة من مسز فرانكلين . انها تريد أن تراك اذا كان لا يزعجك أن تصعد الى غرفتها .

ـ سوف يسرنى ذلك . يحزننى انها أحست بالتعب الى حد أنها لم تستطع الهبوط لتناول العشاء .

أجابت ابنتى فى برود : ـ انها فى صحة جيدة ولكن يحلو لها أن تتظاهر وتتمارض .

وابتعدت وأنا أفكر أن الشباب مجردون من كل رحمة حقــا .

* * *

الفصل الخامس

لم أكن قد التقيت بمسز فرانكلين غير مرة واحدة . كانت فى نحو الثلاثين وتنتمى الى ذلك النوع الذى ندعوه بالعذراء ... عينان واسعتان داكنتان وشعر أسود مفروق فى النصف ووجه بيضاوى متناسق القسمات .

وجدتها مستلقية فوق الفراش تستجم وتسند راسها فوق احدى الوسائد وترتدى ثوبا مكشوفا من لونين ابيض وازرق باهت . وكان فرانكلين وبويد كارنجتون يتناولان القهوة . واستقبلتنى بابتسامة رقيقة وبسطت لى يدها قائلة :

ــ يسرنى انك أتيت يا كابتن هاستنجز . سوف تكون جوديث سعيدة بوجودك . ان هذه الطفلة قد ارهقت نفسها فى العمل كثيرا حتى الان .

اجبت وأنا آخذ يدها الرقيقة ذات الأصابع الطويلة الهشة فى يدى :

ــ يبدو عليها انها فى صحة جيدة .

تنهدت بربارا فرانكلين وقالت : ــ نعم . انها محظوظة من هذه الناحية ولا يسعنى الا ان أحسدها . وأظن انها لا تدرى ما هو المرض .

وتحولت الى الممرضة وقالت : ــ ما رايك يا مس كرافن ؟ اوه ، اسمحى لى أن أقدم لك الكابتن هاستنجز .. ان مس كرافن مخلصة لى جدا ولا أدرى ماذا يكون من أمرى من غيرها .

كانت الممرضة امرأة شابة طويلة القامة وجميلة

لهــا شعر جميل احمر ولاحظت أن يديهــا رقيقتين وبيضاويين على عكس ممرضات المستشفيات . كانت قليلة الكلام واكتفت بأن احنت رأسها احناءة خفيفة . وقالت مسز فرانكلين :

ــ الواقع أن جون يرهق جوديث المسكينة بالعمل . انه مخدوم قاس لا يرحم ، أليس كذلك يا جون ؟

وكان زوجها واقفا بجوار النافذة يطل الى المرجة ويصفر بين أسنانه ويخشخش بعض القطع الفضية فى جيبه . واجفل عند سؤال زوجته وقال :

ــ ماذا تقولين يا بربارا ؟

ــ أقول انك ترهق مس هاستنجز بصورة تدعــو الي الخجل . والان وقد اقبل الكابتن هاستنجز فسوف نتآمر انا وهو حتى لا يستمر هذا الاستغلال .

ويبدو أن الدكتور فرانكلين لم يكن يستسيغ المزاح لأنه تحول فى ضيق ظاهر الى جوديث مستفهما وقال :

ــ اذا كنت أطالبك بأكثر من طاقتك فيجب أن تقولى لى ذلك صراحة .

ــ ولكن أبدا . هذه مجرد مزحة . وبمناسبة العمل كنت أريد ان اسألك عن هذه البقعة الموجودة فى اللوحة الثانية ... تلك التى ..

ــ آه .. نعم . اذا لم يكن هناك اى مانع فسنهبط الآن الى المعمل ... اننى أريد أن أتأكد ..

وغادرا الغرفة معا وهما يستأنفان حديثهما .

تنهدت بربارا فرانكلين وانقلبت على وســادتها . وتكلمت الممرضة فجأة فقالت فى لهجة بغيضة :

ــ اذا أردتم الحقيقة فان مس هاستنجز هى التى تبدو قاسية لا ترحم .

تنهدت مسز فرانكلين مرة أخرى وقالت : ــ اننى

أعرف جيدا أنه كان يجب أن أهتم اكثر باعمال زوجى، ولكن لا طاقة لى بذلك فاننى أشعر اننى أقل من المستوى . اشعر أن فى داخلى شيئا ليس كما يجب ومع ذلك ..

وقاطعها بويد كارنجتون عندئذ فقال : ــ هراء يا بابس ... أنك كاملة ليس فيك أى عيب فلا تزعجى نفسك .

ــ ولكن لا يسعنى الا أن أزعج نفسى يا بيل ، فان اليأس يتملكنى بسهولة ... لا أستطيع أن أحتمل رؤية هذه الفئران والخنازير وغيرها .

وأردفت تقول والرعشة تسرى فى بدنها : ــ اننى أعرف أن هذه حماقة . ولكن رؤية هذه الحيوانات تزيدنى مرضا . وددت أن لا أفكر الا فى الأشياء الجميلة ... فى الطيور والزهور ولعب الأطفال ، وأنت تعرف ذلك يا بيل .

تقدم بويد كارنجتون وأخذ اليد التى بسطتها له متوسلة وخفض عينيه نحوها . ولائت أساريره وهو يقول فى رقة :

ــ انك لم تتغيرى يا بابس ... ما زلت كما كنت وانت فى السابعة عشرة .

ونظر الى وقال : ــ أنا وبربارا صديقان قديمان من أيام الشباب .

احتجت المرأة الشابة قائلة : ــ أوه ... اننا صديقان حميمان .

ــ أعترف بأنى أكبرك بخمسة عشر عاما ، ولكننى لعبت معك وأنت طفلة كما لو كنت دمية وحملتك فوق ظهرى ، وعندما عدت بعد ذلك كنت قد أصبحت فتاة

جميلة تستعدين لدخول المجتمع وقد ساهمت فى ذلك قليلا وعلمتك كيف تلعبين الجولف ... هل تذكرين ؟

ــ اوه يا بيل . وهل تظن اننى استطيع ان انسى كل هــذا ؟

وتحولت الى بوجهها الذى يشبه وجه العذراء وقالت : ــ كان أبواى يقيمان فى انجلترا ، وكان بيل يأتى فى بعض الأحيان للاقامة فى بيت عمه سير افرارد بكناتون .

ــ انه قصر كبير .. ولا أظن ان فى مقدورى أن اجعله صالحا للسكنى .

ــ اوه يا بيل . لو تستطيع ذلك فانه ليكون أمرا جميلا .

ــ هذا صــحيح ياببابس : ولــكن الشىء الذى يضايقنى هو اننى لا اعرف كيف اتصرف .. لا أستطيع أن افكر فى أكثر من اقامة بعض الأحواض واعداد بعض المقاعد المريحة ... لابد من امرأة لكى تدبر مثل هــذا الأمر .

ــ قلت لك اننى على أستعداد لهذا العمل اذا اردت .. اننى لا أهزل يا بيل ...

ــ اذا كنت تحسين بانك تستطيعين الانتقال ففى مقدورى أن اذهب بك هنــاك .

ونظر الى الممرضة مستفهما وقال : ــ ما رأيك يا مس كرافن ؟

ــ بكل تأكيد يا سير ويليام . اننى واثقــة انه سيكون فى هذه النزهة خير كبير لمسز فرانكلين ولكن على شرط ان تكون عاقلة وأن لا تجهد نفسها .

قال بويد كارنجتون : ــ اتفقنا اذن . حاولى أن تنامى الان قليلا يا عزيزتى بابس لكى تكونى علــى

استعداد غـــدا .

واستأذنا منها فى الانصراف وخرجنا معا . وقال فجأة ونحن نهبط السلم :

ــ لا يمكن أن تعرف كم كانت جميلة وفاتنة وهى فى السابعة عشرة من عمرها يا هاستنجز . كنت قد عدت من بورما وكانت زوجتى قد ماتت ، واعترف بأننى احببتها حبا جنونيا ولكنها تزوجت بعد سنتين او ثلاث بفرانكلين . ولا أظن ان زواجها كان سعيدا ولا أعتقد أنه يجب أن نبحث عن سبب آخر لصحتها الضعيفة فان زوجها لم يفهمها أبدا ولم يعرف كيف يقدرها حق قدرها . وهى حساسة جدا بطبعها ، ومرضها يرجع سببه الأكبر الى شدة ما تعانيه من الانفعال . أما اذا وجدت من يهتم بها ومن يسرى عنها فانها تتغير على الفور ولكن هذا الغبى الأحمق لا يهتم الا بأنابيب الاختبار وبتجاربه .

وضحك محنقا وخطر لى أنه قد لا يكون مخطئا . ومع ذلك فقد عجبت لميله لمسز فرانكلين فهى وان كانت جميلة وفاتنة الا انها كانت فى صحة رديئة . وكان هو من ناحيته يتقد حيوية بحيث كنت اتوقع أن أراه ثائر الطبع ونافد الصبر أمام امرأة عصبية مثلها . ولكن لم يكن هناك شك فى أن بربارا كانت قبل ذلك بسنوات فتاة جميلة جدا ، وان انطباعات الشـــباب تظل خالدة عند كثير من الرجال وخصوصا المثاليين الذين على شاكلة بويد كارنجتون ، والحب الأول يترك دائما آثارا لا تمحى .

وفى البهو اندفعت مسز لوتريل نحونا واقترحت أن نشترك معها فى لعب البريدج ، ولكننى اعتذرت متعللا بأننى يجب أن أنضم الى بوارو .

ووجدته في الفراش . وكان كورتيس منهمكا في تنسيق الغرفة ، ولم يلبث أن انصرف في هدوء واغلق الباب خلفه .

وصحت أقول على الفور : ــ لعنة الله عليك يا بوارو على عادتك بأن تحتفظ لنفسك دائما ببعض الأسرار . انني قضيت طوال الأمسية أحاول الاستدلال على رجلك الغامض .

ــ لا ريب أن هذا الجهد الصغير قد جعلك تبدو ساهما . ألم يلحظ احد ذلك ؟ الم يسألك أحد عما بك؟

صعد الدم الى وجهي شيئا ما وانا أتذكر اسئلة جوديث . وأظن أن ارتباكي لم يغب عن بوارو لأنني رأيت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، ولكنه لم ينطق بشيء في هذه الناحية واكتفى بأن قال :

ــ وما هو الاستنتاج الذي توصلت اليه ؟

ــ وهل تصدقني القول اذا كنت على صواب ؟

ــ كلا طبعـــا .

تأملت وجهه مليا وأنا اقول : ــ كنت قد فكرت في نورتون ...

ولكن بوارو ظل جامد الاسارير فأردفت : ــ ولكن هذا لا يعني أنني وجدت شيئا يدينه . بيد انه بدا لي أكثر احتمالا من الاخرين ، فانني اظن أن القاتل الذي نطارده ينتمي الى النوع ... المنزوي .

ــ هذا جائز ... ولكن هناك طرقا كثيرة من الانزواء ... أكثر مما تتصور .

ــ ماذا تعني ؟

ــ لنفرض أن رجلا أجنبيا تحركه النوايا السيئة يأتي هنا قبل الجريمة بأسابيع ... ان من الأفضل

له ان لا يلحظه احد وان يزاول عملا عاديا كالصــيد .
ــ أو دراسة العصافير . . وهذا ما كنت أقــول بالذات .
ــ ومن ناحية اخرى فان من الأفضل أن يكون القاتل شخصا نموذجيا كان يكون جزارا مثلا فان فى ذلك ميزة اخرى لأن احدا لن يلحظ بقع الدم على ثيابه .
قلت معترضا : ــ ولكن سيعرف الجميع اذا كان الجزار قد تشاجر . . مع الخباز مثلا . .
ــ لن يحدث هذا الا اذا كان الجزار قد اتخذ هذه المهنة لكى يتسنى له قتل الخباز .
حدقت فيه فى اهتمام وانا أتساءل هل يجب ان ابحث فى كلماته هذه عن اشارة خفية ؟ . . . اذا صح هذا فيبدو انه يشير الى الكولونل لوتريل . فهل افتتح هذا الأخير هذا البنسيون ليتسنى له ان يقتل احد نزلائه .
وهز بوارو راسه وقال : ــ لن تجد جواب المشكلة فى وجهى .
تنهدت وقلت : ــ انك تثير الحنق حقا . ومهما يكن فان نورتون ليس الشخص الوحيد الذى اشتبه فيه . ما رايك فى المدعو اللرتون ؟
ظل بوارو على جموده وقال فى هدوء : ــ الا يروق لك ؟
ــ اوه ، ابــدا .
ــ آه . . . انك تعتبره من الأوغاد ، اليس كذلك ؟
ــ تماما . الست من رايى .
ــ طبعا . . ولكنه رجل يجد حظوة كبيرة لــدى النســاء .

افلتت منى صيحة تدل على الازدراء وقلت : ـ ان النساء حمقاوات حقا ... ما الذى يجدنه فى رجل مثله ؟

ـ لا أستطيع القول .. ولكن هذا يحدث غالبا ، فهن يملن الى هـذا النوع من الرجال دائما .

ـ ولكن لمـاذا ؟

هز بوارو كتفيه وقال : ـ لا ريب انهن يرين فيه شيئا يغيب عنا .

ـ مثال ذلك ؟

ـ لعله الخطر ... ان كلا منا يجب ان يجد فى الحياة شيئا من الخطر . فبعضنا يبحث عنه فى حلبات مصارعة الثيران والبعض فى السينما فان الطبيعـة البشرية تنفر من الأمان ، ولهذا ينشد الرجال الخطر بشتى الطرق أما النساء فيلجأن الى المغامرات الجنسية، وبهذا تفلت منهن الفرصـة فى أغلب الأوقات للاهتداء الى الشاب الشهم الذى قد يكون زوجا فاضلا .

وركزت أفكارى فى هذا الرأى بضع دقائق ثم عدت الى موضوعى وقلت :

ـ سوف يكون من اليسير على يا بوآرو أن أكتشف شخصية « س » يكفى أن أتحرى هنا وهناك لكى أعرف من الذى كان متصلا بأفراد أسر القتلى الخمس التى استعرضنا قضاياها .

وكنت قد نطقت بقولى هذا فى زهو كبير ولكن بوارو اكتفى بأن ألقى الى نظرة ساخرة وقال :

ـ اننى لم أطلب منك الحضور هنا يا هاستنجز لكى أراك تتبع بطريقة خرقاء وبصعوبة نفس الطريق الذى تبعته أنا من قبل . ودعنى اقول لك أن الأمور لم تكن من البساطة كما تتصور فان أربعا من هـذه

القضـــايا وقعت فى الاقليم الـــذى نحن فيه الآن ، والأشخاص الذين يضمهم قصر ستايلز ليسوا جماعة من الأغراب جاءوا هنا صدفة ، وهذا البيت ليس فندقا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة . ان آل لوتريل من اهالى الاقليم وكانا فى موقف مالى حرج وقد اشتريا هــذا البيت واندفعـــا فى مشروع يحف به الخطر . وضيوفهما الحاليون أصدقاء لهما وبعضهم أتوا بتوصية من بعض الأصدقاء الآخرين فسير ويليام مثلا هو الذى حث آل فرانكلين على القدوم ، وهؤلاء حثوا بدورهم نورتون ومس كول اذا لم أخطىء ، وهكذا . ومعنى هذا أن هناك فرصة كبيرة فى أن شخصا معروفا منهم معروف للاخرين كذلك . ثم هناك نقطة اخرى فاليك مثلا قضية المزارع ريجس . ان قريته التى وقعت فيها المأســـاة لا تبعد كثـــيرا عن أملاك بويد كارنجتون ، وأقارب مسز فرانكلين كانوا يقيمون هم الاخرون فى نفس المنطقة ، وحانة القرية يؤمها السياح ويختلف اليها بعض اصدقاء اسرة فرانكلين . ومن الجائز أن يكون نورتون ومس كول قد اقاما فيها بعض الوقت هما ايضا . كلا يا صديقى . اتوسل اليك ان لا تلجأ الى هذه المحاولات لكى تكتشـــف سرا أرفض انا أن اطلعك عليه .

ــ هذا امر مضحك حقا ... كما لو اننى سأمضى واذيع هذا السر فى كل مكان ... اؤكد لك يا بوارو اننى سئمت دعابتك بخصوص وجهى الشفاف ليس هذا غريبا أبدا .

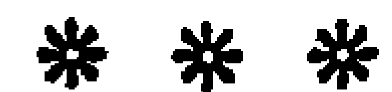
ــ وهل أنت واثق ان هذا هو سبب ترددى ؟ ... الا تفهم انه قد يكون خطرا عليك أن تعرف الحقيقة .. الا ترى اننى حريص على سلامتك ؟

نظرت اليه بعينين متسعتين ، فحتى هذه اللحظة لم اكن قد واجهت هذا الجانب من المسألة ، ولكننى ادركت الان صواب نظريته ، فان القاتل الماهر الواسع الحيلة الذى يثقل ضميره خمس جرائم قتل لن يتورع عن اى شىء اذا ما أدرك اننا نتعقبه . واسرعت اقــول :

ــ ولكن معنى هذا أنك انت نفسك فى خطر يابوارو ؟

اتى صديقى بحركة تدل على ازدرائه التام وقال :

ــ اننى اعتدت على ذلك ، وأعرف كيف أذود عن نفسى . ومهما يكن فان صديقى المخلص الوفى هاستنجز بجوارى وسيعرف كيف يدافع عنى .



الفصـــل السادس

كان من عادة بوارو ان يرقد مبكرا ، فتركته لكى ينام وهبطت الى الطابق الأرضى بعد أن توقفت بضع لحظات لكى أتحدث مع كوريتس .

بدا لى أنه رجل جاف شيئا ما بليد الذهن وان كان مخلصا وجديرا بالثقة ، التحق بخدمة بوارو بعد عودته من مصر واكد لى أن صحة ســيده لا بأس بهـــا فى مجموعها على الرغم من أن قلبه كان مكدودا وانه يعانى من نوبات مخيفة بعض الشىء كالمحرك الذى يصيبه الضعف فى بطء .

وكنت أعرف بالطبع أن بوارو قضى على العموم حياة جميلة ، ومع ذلك فقد أحزننى أن أرى صديقى يضطر الى مقاومة المرض بشجاعة . وحتى الان وهو ضعيف وعاجز عن الحركة كان ذهنه القوى يدفعه الى متابعة المهنة التى اظهر فيها ذكاء خارقا وأصاب فيهـــا كل نجـــاح .

وبلغت الطابق الأرضى وقلبى منقبض وأنا لا أدرى كيف أستطيع مواجهة الحياة وحدى اذا ما قضى بوارو .

وكانوا يلعبون البريدج فى الصالون ، وكانوا قـــد فرغوا من أحد الأدوار فدعونى الى الاشتراك معهم فقبلت على أمل أن يسرى اللعب عنى وانسحب بويد كارنجتون وحللت انا مكانه لكى أشترك فى اللعب مع نورتون والكولونل لوتريل وزوجته .

وقالت مسز لوتريل : ــ هل يمكن أن نغلب غريمينا هذه المرة يا مستر نورتون ؟ ان اشتراكنا معا فى المرة السابقة كان مثمرا .

ابتسم نرتون وقال انه قد يكون من الأوفق عمل قرعة . وقبلت مسز نورتون على مضض . وكانت النتيجة أن انضممت انا الى نورتون ضد الكولونل لوتريل وزوجته . ولاحظت أن مسز لوتريل لم تستطع اخفاء استياءها فقد جزت على شفتها السفلى واختفت فتنتها ولهجتها الايرلندية المصطنعة ، ولم البث أن ادركت سبب هــذا التغيير .

فقد لعبت بعد ذلك كثيرا مع الكولونل لوتريل ورأيت انه ليس لاعبا رديئا ابدآ وانه انما كان يلعب فى حرص شديد . ولكن ذهنه كان يشرد أحيانا فيرتكب بعض الأخطاء الكبيرة . وكانت هذه الأخطاء تزداد عندما يشترك مع زوجته فقد كانت تثير أعصابه فيخطىء رغما عنه . وكانت هى لاعبة ممتازة ولكنها كانت تثير حنق زميلها ، فقــد كانت تحب الاســتفادة من كل الاحتمالات بأقصى ما تستطيع وتتجاهل أصول اللعب اذا لم يفطن غريمها الى ذلك ولكنها كانت فى الوقت نفسه تحرص على أن يحترمها كل من يلعب معهــا . وكانت الى جانب كل هذا تحاول أن « تغش » وان ترى أوراق غريمها . صفوة القــول كانت لا تلعب الا لكى تربح دائمــا .

كما أدركت ماذا كان يعنى بوارو عندما قال انها سليطة اللسان ، فانها عندما كانت تلعب البريدج كانت تتخلى عن كل تحفظ وتعنف زوجها بكلمات جارحة اذا ما ارتكب أية غلطة . وأحسست بالارتباك الشديد واغتبطت عندما انتهى الدور واعتذرت أنا ونورتون متعللين بأن الوقت تأخر واسرعنا بالانسحاب . وترك زميلى الفنان لمشاعره فقال :

ـ اننى اكاد اجن وانا اراها تنكد عيشه هذا الرجل المسكين هكذا . وهـو يتقبل كل شيء فى خضـوع واستسلام . لم يتبق شيء كثير من حماسه الذى كان معروفاً به فى الجيش .

قلت : ـ صـه !

فقد تكلم فى صوت مرتفع وخشيت ان يكون لوتريل قد سمعه وقلت :

ـ يمكنه أن يقاومها يوما ما .

ولكن نورتون هز راسه وقال : ـ انه لن يفعل شيئا من هذا ، فقد اعتاد على ذلك ... نعم يا ديزى ... كلا يا ديزى ... معذرة يا ديزى ... يقول ذلك دائما وهو يفتل شاربه لن يستطيع أن يفرض نفسه حتى اذا شاء .

هززت راسى فى حزن لأننى خشيت أن يكون نورتون على حق . وتوقفنا فى البهو . ولاحظت أن البـاب الجانبى مفتوح وان الهواء كان يندفع ألى الداخل فقلت :

ـ الا يجب ان نقفله ؟

تردد نورتون بضع لحظات قبل ان يرد : ـ لا ادرى ... اظن ... أن بعضهم ما زال بالخارج .

داخلنى الشك فجأة وسألت : ـ من تعنى ؟

ـ يبدو لى أن ابنتك ... واللرتون لم يعودا بعد .

وقد حاول أن يتكلم فى غير اكتراث ، ولكن هـذه الملاحظة ، بعد حديث بوارو ضايقتنى أكبر الضيق .

جـوديث ... واللرتون ! ... ابنتى الهـادئة الذكية ؟ .. لا يمكن أن تشعر بأى ميل الى شـخص من هذا النوع ، فلا ريب انها تعرفه على حقيقته .

وعدت الى غرفتى ورحت انضـو عنى ثيابى وأنا

لا أكف عن ترديد ذلك . ولكن ذلك الضيق الغامض ظل يلازمنى ولم يشأ أن يفارقنى .

وما أن تمددت على الفراش حتى رحت أتقلب دون ان اجد الى النوم سبيلا . وكما يحدث عادة خلال الأرق يتجسم كل شيء الى حد المبالغة ، واحسست بأننى أغرق فى لجج من اليأس . لو أن زوجتى العزيزة كانت لا تزال على قيد الحياة ، فقد ركنت طوال سنوات عديدة الى حكمها وتقديرها للامور فقد كانت حكيمة ، وكانت تفهم الأولاد وشعرت الان بأننى عاجز من غيرها وأنه لا حيلة لى وقد غدوت الان المسئول الوحيد عن أمنهم وسلامتهم وخشيت أن لا أكون عند مستوى هذه المهمة . وأنا أعرف اننى لست على قدر كبير من الذكاء واننى طالما ارتكبت بعض الحماقات والأخطاء . ولكن اذا كان ولابد أن تفسد جوديث حياتها ، واذا كان ولابد أن تتألم . . .

واضأت المصباح الذى بجوار الفراش وقد ازداد وجيب قلبى لفرط الانفعال وجلست فوق الفراش . لم يكن هناك اى جدوى من كل ذلك ، وكان لابد لى من أن استريح قليلا فنهضت ومضيت الى غرفة الحمام ووقفت لحظة أتأمل امبوبة آلاسبيرين التى فوق الرف . . . كلها . . . كنت بحاجة الى شيء أكثر فاعلية وقلت لنفسى اننى قد اجد عند بوارو منوما ففتحت البـــاب واجتزت الطرقة ووقفت مترددا أمام بابه . . . شعرت بالأسى لايقاظى هذا العجوز المسكين لكى أطلب منه قرصا . وكنت لا أزال مترددا أمام الباب عندما سمعت صوت خطوات فى الطرقة . ولكن الضوء كان ضعيفا جدآ فلم اتبين وجه القادم الا عنــــدما اقترب منى . وتوترت أعصابى على الفور وقطبت جبينى لأن القادم

كان يبتسم ابتسامة تدل على ارتياحه ولم ترق لى ابدا . وقال مشدوها :
ــ مساء الخير يا هاستنجز ... اما زلت مستيقظا؟
اجبت فى حدة : ــ لا استطيع النوم .
ــ آه ... حسنا . تعال معى .. ساعطيك شيئا .
ومضيت معه الى غرفته ، وكانت ملاصقة لغرفتى واحسست باغراء كبير يدفعنى الى دراسة الرجل عن كثب بقدر ما أستطيع ، وقلت :
ــ انك تنام متأخرا جــدا .
ــ لم انم قبل ذلك ابدا .. خصوصا اذآ كانت امامى احتمالات اللهو والترفيــه . لا يجب اضــاعة هــذه الليالى الجميلة .
وراح يضحك ضحكة لم ترق لى كابتسامته منــذ لحظة .
وتبعته حتى غرفة الحمام ، وهنــاك فتح دولابا واخرج منه انبوبة من الاقراص وقال :
ــ اليك ما تريد . سوف يساعدك هذا على ان تنام نوما عميقا ، وسوف ترى أحلاما جميلة فان هذا المخدر مدهش .
احدثت لهجته المتحمسة صدمة خفيفة فى نفسى .. هل يتعاطى هذا الرجل المخدرات ؟ وقلت :
ــ اليس فى هذا اى خطر ؟
ــ الخطر فى ان تأخذ منه اكثر من اللازم ، فهــو من هذه المخدرات التى تجــاوز القرعة القــاتلة منه الجرعة العادية بقليل .
وابتسم مرة اخرى وقد زم ما بين شفتيه بطريقة بغيضــة .

ــ كنت اظن ان مثل هذا المخدر لا يمكن الحصول عليه بدون أمر الطبيب .

ــ وانت على صواب فى هذا الظن ، ولكننى اعرف كيف أدبر امورى .

واعرف انني تصرفت بعد ذلك تصرفا أحمق ، ولكن يحدث أحيانا أن يخضع الانسان لمثل هذه النزوة فقد قلت : ــ أظن انك كنت تعرف اترنجتون .

وأدركت على الفور ان الضربة أصابت الهدف فقد قست نظراته على الفور وبدا التحدى فى عينيه ، ومع ذلك فقد أجابنى فى غير اكتراث وقال :

ــ نعم . كنت أعرفه .. يا للرجل المسكين ! ..

واذ لزمت الصمت استطرد يقول : ــ كان يتعاطى المخدرات طبعا ، وبكمية كبيرة . يجب أن يعرف المرء متى يتوقف ، أما هو فلم يعرف ... انها قضية محزنة ... وكانت زوجته محظوظة وان كانت هيئة المحلفين لم تعطف عليها .

وناولنى قرصين وهو يسألنى فى غير اهتمام :

ــ هل كنت تعرف أترنجتون جيدا ؟

نطقت بالحقيقة وقلت : ــ كلا .

وبدت عليه الحيرة لحظة ثم ضحك ضحكة صغيرة وقال : ــ كان رجلا غريبا ... لم يكن مريحاً أبدا ولكنه كان يعرف كيف يكون ظريفا فى بعض الأحيان .

وشكرته من أجل القرصين ثم عدت الى غرفتى .

وتمددت على فراشى من جديد وأنا أتساءل اذا لم اكن قد اتيت بحماقة ما ، لأننى أصبحت مقتنعا الان أن « س » المشهور لم يكن غير اللرتون ، وقد جعلته يفهم اننى أشتبه فى شىء ما .

الفصـــل السابع

لا جدال فى ان قصتى عن الأيام التى قضـــيتها فى ستايلز تبدو مفككة . والحق اننى كلما فكرت فى تلك الفترة اتذكر على وجه الخصوص سلسلة من الأحاديث والعبارات التى يكاد يكون لها ذكراها المثيرة .

وكنت قد ادركت اول كل شىء الضعف الشديد الذى اصاب صحة صديقى بوارو . كنت مقتنعا كما أظن أننى سبق ان قلت ذلك أن ذهنه كان لا يزال قويا ولكن جسده قد اعتراه الوهن والهزال بحيث رايت على الفور ان دورى سيكون أكثر فاعلية عن المعتاد وأنه يتعين على أن أرى واسمع نيابة عنه .

كان كورتيس كلما صفا الجو يحمله الى الطابق الأرضى وينقله الى مقعده الذى ينزله قبل ذلك ثم يقوده الى الحديقة ويمضى به الى مكان بعيد عن التيـــارات الهوائية . اما فى الأيام الأخرى التى لا يصحو فيها الجو فكان يذهب به الى الصالون . وكان بوآرو يجد من يتحدث اليه فى كل مرة ولكنه لم يكن يستطيع اختيار الشخص الذى يريد أن يتحدث اليه طبعا .

وفى اليوم التالى لقدومى قادنى فرانكلين الى الورشة القديمة بالحديقة وكان قد حولها الى معمل لأبحـــاثه العلمية . وارجو أن يسمح لى القارىء منذ آلان بأن اقول له اننى لا افهم اى شىء فى المسائل العلمية وان من المحتمل ان انطق فى بعض الأوقات باصطلاحات غير ملائمة مثيرا بذلك ازدراء الاختصاصيين .

وبقدر ما استطيع ان احكم فان فرانكلين كان يقوم

بتجارب خاصة ببعض القلويات التى يحتوى عليها فول كالابار ، ولا سيما مادة الفيزوستجمين المعروفة باسم الأزرين فى نفس الوقت . وهى مادة سامة شـديدة المفعول وقد عرفت عنها الكثير فى حديث دار ذات يوم بين الدكتور فرانكلين وبوارو . وقد حاولت جوديث ان تزودنى ببعض الايضاحات عن هذه المادة ولكنهـا استخدمت كلمات فنية كانت بالنسبة لى كاللغة العبرية تماما ، وقد استحققت ازدراء ابنتى عندما سألتها عن فائدة هذه المواد للبشرية ، وأظن انه ليس هناك ما يثير حنق العلماء الا مثل هذا السؤال فقد رمتنى بنظـرة تنطق بالازدراء وانطلقت فى تفسير آخر لم أفقـه معناه كسـابقه .

ولكن كل ما فهمته منها أن بعض القبائل الافريقية ابدت مناعة كبيرة ضد مرض غامض يتسبب فى الموت عرف باسم المرض الجوردانى نسـبة الى الدكتـور جوردآن الذى كان أول من اكتشـفه ، وهو مرض استوائى نادر جدا وشديد الخطر راح ضحيته بعض الرجال البيض .

وزدت من غضب ابنتى وحنقها عندما قلت لها أليس الأوفق بدلا من كل هذا اكتشاف عقار جدير بعـلاج النكاف فرشقتنى بنظرة رثاء مشوبة بالازدراء وحاولت ان تبرهن لى أن الغرض الوحيد الذى يجب أن يسعى آليه الطبيب ليس رخاء الجنس البشرى وانما التبحر فى النواحى العلمية والتوسع فيهـا .

وأرتنى من خلال مجهر بضع بطاقات معدنية وصورا لبعض أهالى أفريقيا الغربية ، وكانت مناظر أطربتنى جدا ، ولكن نظرة أخيرة الى عينى فأر مخدر فى قفص

جعلتني أشـــعر بالغثيان فاسرعت الى الخـــارج لكى استنشق الهواء الطلق .

وكما سبق أن قلت أثار اهتمامي حديث دار بيني وبين فرانكلين وبوارو فقد سمعت الدكتور يقول :

ــ كل هذا يدخل ضمن اختصاصك أنت اكثر مني أنا كما ترى ، فان المفروض أن فول كالابار من شأنه ان يظهر البراءة أو الادانة . ومهما يكن فان القبائل الافريقية مقتنعة بذلك أو كانت تعتقد ذلك على الأقل الى وقت غير بعيد لأن هؤلاء السود بداوا يتطورون ، ولكنهم ظلوا يمضغون هذا الفول معتقـــدين بأنه لن يضرهم اذا كانوا أبرياء وانه على العكس سيقتلهم اذا كانوا مذنبين .

ــ وكانوا يموتون طبعـــا ؟

ــ ليسوا جميعا ، وهذا هو الشيء الذى يثـــير حيرتنا حتى الآن .

ــ أظن أن خلف كل هذا خدعة من خـــدع ســـحرة القبـــائل .

ــ الواقع ان هناك نوعين من فول كالابار ، وهما متشابهان الى حد انه يصعب التفرقة بينهما ، وكل منهما يحتوى على الفيزوستجمين والجيزيرين ، ولكن فى الامكان عزل مادة معينة فى احد هذين النوعين يبطل مفعولها مفعول القلويات التي يحتوى الفول المذكور عليها . وهذه القلويات الأخيرة هى التى يتناولها السود اثناء طقوسهم السرية فلا تؤثر عليهم ، ومن المعروف انهم لا يمرضون بالمرض الجورداني أبدا وان لها مفعولا عجيبا فى النظام العضلى للانسان ، ولكن لسوء الحظ ان هذه المادة غير مستقرة وكثيرة التهرب ، ومع ذلك فقد حصلت على نتائج مشجعة وان كانت لا تزال أمامى

ابحاث طويلة يجب ان اقوم بها ، وهى مهمة لابد لى من آنجازها حتى ولو بعث روحى للشيد ....

وامسك فجأة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ثم قال :

ـــ ارجو المعذرة اذا كنت قد صدعت راسك بتجاربى وابحاثى ، ولكن عذرى أننى شديد الاهتمام بها .

قال بوارو فى لهجة حالمة : ـــ لو أستطيع التمييز بين المذنب والبرىء بنفس السهولة التى ينسبونها لهؤلاء السود لأصبح عملى أشبه بلعبة من لعب الأطفال . آه .. لو أجد مادة لها حقا نفس الخواص التى يعزونها الى فول كالابار .

قلت : ـــ كنت أظن انه لا يمكن ان يكون هناك اى شك فى هذه الناحية .

تحول الدكتور الى وقال : ـــ ما هو الشر ؟ ... وما هو الخير ؟ ...ان الاراء تختلف من قرن لاخر وأحيانا فى بلد عن آخر وما يمكن تحديده هو طبعا طبيعة الاحساس بالذنب أو بالبراءة . ولكن مثل هذه التجربة ليس لها أية قيمة حقا .

ـــ اعترف اننى لا افهمك تماما .

ـــ اى صديقى العزيز ، تصور رجلا يعتقد أن له الحق الالهى فى ان يقتل .. مرابيا مثلا أو قوادا أو أى شخص آخر من شأنه اثارة الرأى العام .. سيرتكب ما تدعوه أنت عملا اجراميا أما هو فسيعتبر انه قام بعمل برىء تماما .

ـــ ومع ذلك فيبدو لى ان جريمة القتل يجب ان يصحبها بالضرورة لدى الجانى احساس بالذنب .

قال الدكتور فرانكلين فى مرح : آه .. يمكننى ان اعترف لك بأن هناك كثيرين أحب ان اقتلهم وان ضميرى

لن يؤرقنى بعد ذلك . لأننى اعتقد ان ٩٠٪ من الجنس البشرى يجب ابادتهم لكى يعيش الباقون بعد ذلك عيشة افضـــل .

ونهض وانصرف وهو يصفر بين أسنانه . وتابعتـــه بعينى فى ذهول . واعادنى ضحكة بوارو الى الواقع وهو يقول :

ــ يخيل لى انك رايت وكرا للثعابين يا صديقى .. لنبتهل الى الله أن لا يضع طبيبنا نظريته موضع التنفيذ.

ــ واذا وضعها موضع التنفيذ مع ذلك ؟

ــ ٢ ــ

وبعد ان ترددت لحظة عقدت العزم على ان اذهب واستطلع راى جوديث فيما يتعلق باللرثون . كنتمتلهفا لكى اسمع ردها . وكنت اعرف انها عاقلة وجديرة بأن تعنى بنفسها وانها لن تنقاد بسهولة لفتنة خادعة لرجل كاللرثون .

ولم أتعرض لهذا الموضوع الا لكى اطمئن واتاكد من ظنونى ، ولكننى لم اصل لسوء الحظ الى النتيجةالمرجوة لأننى تناولته بطريقة خرقاء . وما من شيء يثير ســخط الأبناء كما تثيرهم نصائح الآباء ، ومع ذلك فقد حاولت ان اتكلم بمرح وبغير اكتراث ولكننى لم افلح كما كنت اتوقع لأن جوديث غضبت على الفور وسألتنى فى ترفع :

ــ أهذا تحذير أبوى ضد الذئب الشرير ؟

ــ كلا يا جوديث .. كلا بالطبع .

ــ أظن ان الميجور اللرثون لا يروق لك .

ــ هذا صحيح .. وارجو أن لا يروق لك أنت أيضا.

ـ ولمــاذا . . ؟

ـ لأنه ليس من طرازك .

ـ واى نوع من الرجال تعتقد انه من طرازى ؟

ولجوديث موهبة وهى انها تثير حنقى دائما ، وقــد نظرت الى وعلى شفتيها نظرة ازدراء وقالت بعد لحظة:

ـ انت لا تحبه بالطبع اما انا فأجده مسليا وجذابا . . وما من امرأة الا وتشاركنى هذا الرأى . . اما الرجال فلا يرون الأمور من نفس الزاوية .

ـ هذا صحيح . .

واردفت أقول بطريقة خرقاء : وقد بقيت معه امس الى وقت متأخر جدا .

ـ انت غبى جدا فى الواقع يا بابا . . الا تدرك اننى وقد بلغت هذه السن استطيع ان أعنى بشئونى بنفسى وانه ليس لك اى حق فى الرقابة على ما افعل أو على طريقتى فى اختيار اصدقائى . ان ما يغيظ الأبناء انمــا هو تدخل اهاليهم الأحمق فى حياتهم . اننى أشعر من نحوك بحب كبير ولكننى راشدة وحياتى ملك لى .

وعجزت عن الرد فدرت على عقبى وابتعدت مسرعا وانا أشعر باستياء كبير لأننى شعرت بأننى اســأت اكثر مما احسنت . وكنت لا أزال غارقا فى أفكارى بعد بضع لحظات عندما ردنى صوت مس كرافن الى عالم الواقع قائلة فى خبث :

ـ فيم تفكر يا كابتن هاستنجز ؟

وسرنى انها قطعت على حبل افكارى وتحولت اليها على الفور . كانت امرأة جميلة حقا ولعلها كانت تميــل قليلا الى المزاح والدعابة ولكن لم يكن هناك اى جدال فى انها تتمتع بقسط وافر من الذكاء والظرف معا .

وكانت قد اجلست مريضتها فى مــكان مشمس على مقربة من معمل الدكتور فرانكلين وسألتها :

ــ هل تهتم بأبحاث زوجها ؟

هزت الفتاة راسها فى سخرية وقالت : اوه . ان هذه الأبحاث يستغلق على فهمها ، فهى ليست فائقة الذكاء ولا يمكن لأحد أن يفهم اهمية ابحاث الدكتور فرانكلين الا اذا كان من رجال العلم والطب . أنه ذكى جــدا . . بل اننى أقول أنه متألق . . يا للشاب المسكين . اننى أرثى له قليلا .

ــ ترثين له ؟

ــ نعم . فقد رايت رجالا كثيرين يتزوجون بنســاء لا تناسبهم .

ــ اتظنين ان هذه هى حالة الدكتور فرانكلين ؟

ــ الا تظن انت ذلك . . ليست بينهما اية نقــاط مشتركة .

ــ ومع ذلك فانه يبدو أنه يحبها كثيرا وانه يلبى كل رغباتها .

ضحكت الممرضة بطريقة لم ترق لى كثيرا : انها تدبر امرها فى سبيل ذلك .

ــ هل تعتقدين أنها . . تستغل مرضها ؟

ضحكت ثانية وقالت : لن تحتاج الى اية دروس فى هذه الناحية ، فان « سعادتها » تحصل على كل ماتريد . بعض النساء هكذا . . اذكى من القرود . اذا اعترض احد رغباتهن اكتفين بان يطوحن رؤوسهن الى الخلف ويغمض عيونهن بطريقة تثير الشفقة أو تصيبهن بأزمة عصبية . ومسز فرانكلين تنتمى الى النوع الأول فهى لا تنام الليل وفى الصباح تبدو مصفرة اللون شــديدة الارهاق .

ـ ولكنها مريضة حقا . . اليس كذلك ؟
رمتنى مس كرافن بنظرة غريبة وقالت فى صوت جاف اوه ، طبعا . .
وغيرت موضوع الحديث فجأة وسألتنى اذا كنت قد اقمت فى ستايلز خلال الحرب الأولى حقا فأجبت :
ـ نعم . . هذا صحيح .
وخفضت صوتها لكى تلقى على السؤال التالى : وهل وقعت جريمة قتل حقا . . ؟ اظن ان امراة عجوزا قتلت . . قالت لى احدى الخادمات ذلك . هـل كنت موجودا عندئذ ؟
ـ نعم . . كنت هنا .
قالت وهى ترتجف رجفة يسيرة : هـذا يفسر كل شيء . .
ـ يفسر . . ماذا ؟
رشقتنى بنظرة جانبية وقالت : الا تشعر بالجو الذى يسود هـذا المكان . . ؟ اما انا فأشـعر به ويخامرنى احساس بأن فى هذاالبيت شيئا عجيبا .
وفكرت فى صمت لحظة . . هل كانت تقول حقا . . ؟ وهل يمكن ان تترك جريمة قتل ارتكبت عمدا بصمة قوية فى المكان الذى وقعت فيه بحيث تبقى كل هذه السنوات العديدة . . ؟ ان المشتغلين بعلم النفس يؤكدون ذلك ولكن ألا تزال توجد فى ستايلز آثار لهذا الحادث البعيد لقد حلقت بين هذه الجدران وفى هذه الحدائق افـكا تدور حول الجريمة . . افكار أخذت تتطور وتتضاعف الى ان تحددت وتجسمت اخيرا فى صورة جريمة قتـل . أفما زالت هذه الافكار تحلق فى جو ستايلز حتى الآن ؟
وانتزعتنى المرضة من افكارى قائلة : اننى وجـدت نفسى ذات مرة فى مكان ارتكبت فيه جريمة قتـل و

انسها أبدا . . كانت احـــدى مريضاتى هى التى ماتت قتلا وقد استجوبنى البوليس واضـــطررت الى الادلاء بشهادتى أثناء التحقيق . وكانت تجربة شاقة لى .

ـ اننى ادرك ذلك فأنا الآخر . . .

وامسكت وأنا ارى بويد كارنجتون مقبلا نحونا ، وبدا كالعهد به دائما ، ان شخصيته القوية ونشاطه العجيب يطردان الأوهام والهواجس المخيفة . كان قويا ومعتدلا بحيث بدا أنه يشع بالبشر والرشاد .

ـ صباح الخير يا مس كرافن . صباح الخـــير يا هاستنجز . . اين مسز فرانكلين . . ؟

اجابت المرأة الشابة : صباح الخير يا سير ويليام . . ان مسز فرانكلين فى آخر الحديقة ، تحت شجرة الزان على مقربة من المعمل .

ـ واظن ان زوجها فى المعمل .؟

ـ نعم . مع مس هاستنجز .

ـ يا للفتاة التعسة . . ما كان يجب أن تحبس نفسها فى المعمل فى مثل هذا اليوم الجميل . .يجب أن تحتـــج يا هاستنجز .

تدخلت المرضة فقالت : اوه . . ولكن مس هاستنجز سعيدة جدا بذلك ، فهى تحب عملها ثم اننى واثقـــة أن الدكتور لا يستطيع الاستغناء عنها .

عاد بويد كارنجتون يقول وقد تحول الى : يا للرجل المسكين ، لو ان لى مساعدة جميلة كابنتك جوديث فأننى افضل ان انظر اليها هى لا الى الأرانب والخنازير .

كانت هذه الدعابة من النوع الذى لا يروق لجوديث ولكن يبدو انها راقت لمس كرافن لأنها راحت تضحك عن طيب قلب وقالت :

ـ أوه . . لا يجب ان تقول مثل هذه الأشياء يا سير

ويليام . اننا نعرف ماذا يكون مسلكك فى مثل هــــذه الظروف . ولكن هذا الدكتور المسكين رجل مجـــد .. ولا يهتم الا بأبحاثه .

فقال بويد كارنجتون فى مرح : ان زوجته جلست فى مكان يستطيع أن يراقبه منه على كل حال .. أظنهــا غيورة .. ؟

ــ يبدو أنك تعرف أشياء كثيرة يا سير ويليام .

وبدا أن الممرضة قد أطربها هذا المزاح وقالت أخيرا على مضض منها : حسنا .. يجب ان أذهب الآن لكى أشرف على طعام مسز فرانكلين .

وابتعدت فى خطــوات بطيئــة تتبعها عينــا بويد كارنجتون . وقال هذا الأخير :

ــ فتاة جميلة .. ؟ شعر ساحر واسنان براقة .. امرأة جميلة حقــا .. انـــه لأمر كئيب إن تعنى بامرأة مريضة بدون انقطاع،فان مخلوقة مثلها يجب ان تستحق مصيرا افضل .

ــ مهما يكن فانها ستتزوج ذات يوم .

ــ ارجو ذلك .

وتنهد . وخطر لى انه يفكر فى زوجته الميتة ثم غير الموضوع فجأة وقال :

ــ اننى ذاهب الى كناتون غدا لكى ارى سير العمل هناك ، فهل ترافقنى ؟.

ــ يسرنى ذلك . ولــكن يجب ان ارى اولا ان كان بوارو بحاجة الى .

ووجدت صديقى جالسا فى الفراندة وقد تدثر فى ثيابه . وقد شجعنى على الذهاب على الفور قائلا :

ــ ولكن طبعا .. اذهب يا هاستنجز .. أظن أنه قصر جميل .. ؟

ــ سوف يسرنى أن ازوره . ولــكنى لم اشــأ أن اتركك . . ؟

ــ اى صديقى المسكين . . اذهب مع سير ويليام . انه رجل ظريف ، اليس كذلك ؟

اسرعت اقول فى حماس : جدا .

وابتسم بوارو ثم قال : نعم . . كنت اعــرف انــه سيروق لك . .

ــ ٣ ــ

وسرتنى النزهة كل السرور ، ولم يكن الجو جميــلا فحسب ، فقد كان اليوم من اجمل ايام الصيف ، وطابت لى صحبة بويد كارنجتون ، فقد كان يملك تلك المغنطيسية الشخصية التى ترتاح اليها القلوب ، وكان محدثا لبقــا وقد روى لى الكثير من الفكاهات عن الوقت الذى قضاه مديرا فى الهند واطلعنى على تفاصيل عجيبة عن عادات بعض قبائل افريقيا الشرقية وايقظ فى نفسى اهتماما كبيرا بحيث أننى كدت انسى ما اعانيه من قلق بسبب جوديث وبسبب تصريحات بوارو .

وكذلك اعجبتنى الطريقة التى حدثنى بها عن صديقى فقال انه يحترمه كثيرا ويقدر مهنته ، وعلى الرغم من صحة بوارو المعتلة فانه لم يرث له من هذه الناحية وقال ان بوارو وقد لقى نجاحا كبيرا فى الحياة وان هــذا النجاح هى المكافأة التى يستحقها وانه لابد أن يجد فى ذكرياته ارتياحا وفخرا . واردف يقول :

ـ وانى على استعداد لان اراهن بأن عقله سليم كما كان دائما .

قلت : استطيع ان أؤكد لك انه كذلك .

ـ انه لخطأ كبير ان نعتقد ان رجلا ضعيفا جسديا يمكن ان يكون ضعيفا عقليا فى نفس الوقت ، فهذا ليس صحيحا . ان الشيخوخة لا تؤثر على العقل كما يظن المرء عامة . ومهما كانت الامور فاننى لن اجازف ابدا بارتكاب جريمة قتل تحت انف هركيول بوارو .. حتى ولو كان ذلك اليوم !

اجبت وعلى شفتى ابتسامة : انك على حق ، لأنه سيكشف أمرك على الفور .

ـ لست اشك فى هذا . ثم اننى لا اصلح ابدا لكى اكون مجرما ، فأننى سأعجز عن تدبير اية خطةوسأفتقر الى الصبر والدقة وهما شيئان لابد لكل قاتل منهما ، واذا اقترفت جريمة قتل فلن يكون ذلك عمدا وانما سأرتكبها بدافع لحظتها .

ـ وبذلك يتعذر الاهتداء اليك .

ـ لا اظن ذلك . من المحتمل انى سأترك ورائىقرائن كثيرة تشير الى . ولاحمد الله على اننى لا أميل الى الجريمة . ان الشخص الوحيد الذى قد اقتله هو المهدد المبتز لنقود الغير ، فاننى أبغض هذا النوع من الرجال وأحبذ التخلص منه بدون رحمة . فما رايك .. ؟

ـ واعترفت بأننى اشاركه وجهة نظره .

وبدا يتفقد سير العمل عندما أسرع مهندس شاب للقائنا .

كان قصر كناتون يرجع عهده الى عهد آل نيودوروظل كما هو منذ سنة ١٨٤٠ ولم تمتد اليه يد الترميم أو الاصلاح فيما عدا جناح أضيف اليه بعد ذلك ببضع سنين .

وقال لى زميلى ان عمه كان أشبه بالنساك . لم يكن يحب الاختلاط بالناس ولم يستخدم غير ركن واحد من أركان القصر الكبير وأنه قضى عمره أعزب لم يتزوج ولم ينفق أكثر من عشر دخله بحيث أنه بعد تسديد ضرائب التركة وجد بويد كارنجتون نفسه على رأس ثروة طائلة .

وأردف يقول وهو ينتهد : كان رجلا وحيدا حقا .

ولزمت الصمت لأننى كنت وحيدا أنا الآخر ، فمنذ أن ماتت زوجتى العزيزة ويخيل لى اننى لم أعد أكثر من نصف مخلوق بشرى . وبعد لحظة حاولت فى شيء من التردد أن أشرح شعورى فقال بويد كارنجتون فى بطء :

ــ اننى افهمك يا هاستنجز . .ولكنك حصلت على شيء لم أعرفه أنا .

وامسك ثم اطلعنى على موجز عن المأساة التى عاشها فقد كانت زوجته امرأة رائعة ، مات كل أفراد أسرتها تقريبا بسبب أدمانهم للخمر وانتهت هى نفسها بأن وقعت ضحية لنفس الوباء ، فبعد أقل من سنة من زواجهما عادت الى هذه الرذيلة وماتت بسبب ظمئها الى ذلك الشراب ، ولم يلمها أو يحقد عليها لأنه أدرك أن قانون الوراثة ، كان أقوى من أن تقاومه . وبعد أن ماتت بدأ يعيش وحيدا وكئيبا وعقد العزم على أن لا يتزوج ثانية . وأردف يقول :

ــ ان المرء يشعر بالأمان أكثر عندما يكون وحيدا .

نمتمت أقول بعد لحظة : اجل .. اننى أفهم سبب شعورك هذا .. فى البداية على الأقل .

ــ ارايت .. ؟ على الرغم من الظواهر فقد وسمتنى هذه المأساة كثيرا وشيبتنى قبل الأوان .

وسكت لحظة ثم قال : صحيح اننى وقعت مرة .. تحت اغراء كبير .. ولكن الفتاة كانت صغيرة ولم يكن من اللائق ان اربط حياتها برجل بغيض مثلى .. كنت كبيرا فى السن بالنسبة لها .. فلم تكن الا طفلة جميلة .. وطاهــرة ..

وامسك من جديد وهز راسه ، فسألته : اما كان يجب ان نترك لها أن تقرر ذلك هى نفسها ؟

ــ لا ادرى يا هاستنجز . خطر لى انه لا يجب ذلك . ولكننى اعتقد انها كانت تميل الى . غير انها كانت صغيرة كما قلت لك وخيل لى أننى ساظل اراها دائما كما رأيتها وقتئــذ ..

وامسك مرة أخرى . وايقظت كلماته فى نفسى صورة مالوفة لدى فى غموض . ولا أدرى لماذا . ثم قسا صوته فجأة وانتزعنى من أفكارى اذ قال :

ــ اننى أدرك الآن اننى تصرفت كالأحمق ، فان من الحماقة حقا أن نترك كل الفرص تفلت منك ، ومهمــا يكن فهاأنذا الآن فى ذلك القصر الكبير الرحب لا أجد امرأة تؤنس وحدتى .

سألته : وماذا حدث لهذه الفتاة ؟

ــ أوه .. تزوجت طبعا . وقد قدر على أن أعيش أعزب .. على أننى اعتدت هذه الحياة على كل حال .. ولكن تعال وشاهد هذه الحديقة .. انها جميلة جـــدا على الرغم من ان يد الاهمال قد امتدت اليها .

واخذنا نطوف بالبيت . وكان جميلا بدون اى جدال ، ولم أستغرب أن يكون صاحبه فخورا به . ومن ناحية كان بويد كارنجتون يعرف كل الجيران ، وقد عـــــرف الكولونيل لوتريل منذ سنوات كثيرة ونمنى أن يوفق فى ستايلز واستطرد يقول :

ــ ان تومى لوتريل المسكين يعيش فى ضنك شديد كما تعرف . انه رجل شهم وجنـــدى طيب ، وبارع فى اصابة الهدف . وقد اشترك مرة فى رحلة صيد فى أفريقيا وأحمد الله على انه لم يأت بزوجته معه ومع ذلك فقـــد كانت امرأة جميلة جدا فى ذلك الوقت ولكنها كانتشرسة دائما ومن العجيب أن نرى أن لوتريل ، وهو الذى كانت مجرد نظرة واحدة منه كفيلة باضطراب اشجع الجنود يضطرب بدوره امام زوجته . ان لهذه المرأة لسان أفعى ولكن يجب أن نعترف بأنها قديرة جدا وأنها هى وحدها التى تستطيع أن توفق فى استثمار قصر ستايلز . أما زوجها فهو غير موهوب لمثل هذا العمل .

قلت : ان تصرفها يثير الحنق دائما .. فيخيل اليك أنها تريد أن تنقض عليك .

بدا الطرب على بويد كارنجتون وقال : هذا صحيح . ان الظواهر خداعة دائما ، ولكن هل اتفق انك لعبت معها البريدج ؟ .

قلت مبتسما : آه .. نعم .

ـ اننى اتخذت لنفسي قاعدة وهى اننى احرص على ان لا العب الربيدج مع أية امرأة ، وليتك تفعل مثلى .

اعترفت له اننى أحسست أنا ونورتون بعدم الارتياح يوم قدومى لأول مرة ونحن نلعب البريدج مع آل لوتريل وقال :

ـ ان نورتون هـذا شاب كريم ولكنه كئيب بعض الشيء .. يقضى حياته فى مراقبة العصافير ولكنه لميقتل منها عصفورا واحدا ابدا ، وانا شخصيا لا أستطيع أن افهم كيف يجد الانسان سروره وهو يضرب فى الغابات لمشاهدة العصافير من خلال منظار مكبر .

وما كنا ندرى فى تلك اللحظة أن عادة نورتون ستلعب دورا هاما فى الأحداث التالية .

الفصل الثامن

— ١ —

ومضت الأيام وأنا أنتظر . وجعلني الانتظار في حالة قصوى من الانفعال ولم يكن قد وقع شيء بعد . ومع ذلك فقد وقعت أحداث صغيرة وملاحظات عن مختلف اضياف ستايلز ومقتطفات من أحاديث مختلفة لو انني استطعت أن أجمع بينها كما يجب لأوضحت لي الكثير .

وكان بوارو هو الذي أطلعني ، كما هي عادته على شيء أفلت مني تماما فقد شكوت للمرة المائة من اصراره ورفضه العجيبين في اطلاعي على السر وقلت له ان ذلك غير لائق منه خاصة وانا كنا نتبادل قبل ذلك ما لدينا من معلومات حتى ولو كنت من الغباء بحيث لا أستنتج مما لدي من معلومات النتيجة الحتمية التي تظهر للعيان .

وهز يده في فروغ صبر وقال : — حسنا يا صديقي أعترف أن تصرفي هذا غير لائق مني ، فانك تحاول أن تعرف من هو س ولكنني لم أطلب منك الحضور الى ستايلز لهذا الغرض . وليس من الضروري أن نهتم أنت بهذه النقطة ما دمت أنا أعرف الرد عليها ، ولكن الأمر الذي أجهله والذي لابد لي من معرفته هو اسم الضحية المقبلة ، ولا حاجة بك الى حل الألغاز والتخمين لأن غرضنا هو ان نحول دون موت انسان اذا كان هذا في استطاعتنا .

واستولى على الجزع شيئا ما عندئذ وقلت في بطء : سبق أن قلت لي كل ذلك طبعا ولكنني لم أفهم حقا . .

ــ حان الوقت لكى نفهم اذن . . قل لى يا هاستنجز من تظن يكون الضحية المقبلة .

نظرت اليه مشدوها : ــ ليست لدى اية فكرة .

ــ كان يجب أن تكون لديك فكرة . فانا لم استدعك الا لهذا الغرض .

تذكرت انطباعاتى فى هذه الناحيه فقلت : لاريب أن هناك صلة بين الضحية وبين « س » واذا ما قلت لى من هو « س » .

هز بوارو رأسه فى قوه وقال : ــ ولكنك لست غبيا كما تريد أن تبدو يا هاستنجز . . انك درست القضايا الخمس التى عرضتها عليك . . وصحيح انك لا تعرف من هو « س » ولكنك تعرف طريقته التى يتبعها فى ارتكاب جرائمه . . وسوف يتبعها ثانية .

ــ أوه . . اننى أفهم .

ــ انك تفهم طبعا . ولكن يغيظنى منك انك تستسلم لكسل عقلك ، فأنت تحب أن تخمن دائما ولا تشغل ذهنك . . ما هى النقطة الرئيسية فى طريقة س ؟ . . أليست فى أن الجريمة تكون دائما كاملة بعد ارتكابها ؟ أى أن فيها الدافع والفرصة والوسيلة والأهم من ذلك كله ان فيها مجرما على استعداد لأن يتهم نفسه وأن يدان .

ادركت غبائى وقلت بعد لحظة : ــ نعم ــ يجب اذن أن ابحث عن شخص تنطبق عليه كل هذه الشروط . . الضحية المقدرة .

اضطجع بوارو فى مقعده الى الخلف وقال وهو يتنهد ــ أخيرا . . انك فهمت مهمتك الآن . . أنك رجل نشيط يمكنك ان تتحرك وان تتبع الناس وأن تشترك معهم فى الحديث وان تتجسس عليهم خفية .

هممت بأن احتج ، ولكننى امسكت واستطرد هو يقول : ــ ويمكنك الاستماع الى أحاديثهم فان ركبتيك مازالتا لينتين وتستطيع أن تنحنى لكى تنظــر من ثقب البـــــاب .

قلت فى عزم : ــ لن انظر من ثقب الباب .

أطبق بوارو عينيه وقال : حسن جدا .. لن تنظر من ثقب الباب وستبقى الجنتلمان الانجليزى الكامل وسيلقى بعض الناس مصرعهم قتلا ، ولكن هذه النقطة الأخيرة لا أهمية لها طبعا فان الشىء الذى له المكانة الأولى عند الرجل الانجليزى هو الشرف ، وشرفك له قيمة اكثر طبعا من حياة انسان .. جسن جدا .. هذا مفهوم .

ــ ولكن يا بوارو ..

قال صديقى فى لهجة باردة : ــ انصرف وارسل لى كورتيس .. انك عنيد ، ثم انك غبى وهذا أخطر شىء .. وددت لو أن أجد شخصا أستطيع الركون اليه .. ولكن أظن انه لابد لى من أن أقنع بك وأن انحنى لصدقك واخلاصك .. وحيث انك لا تستطيع استخدام خــلايا مخك فاستخدم على الأقل عينيك واذنيك وأنفك اذا كان لا بد من ذلك ؛ بقدر ما تسمح به مبادؤك عن الشرف طبعـــا .

ــ ٢ ــ

وكان أن غامرت فى اليوم التالى وعرضت على بوارو نظرية خطرت ببالى اكثر مرة .. وقد توخيت الحـــذر فى سبيل ذلك لاننى لم اكن أدرى كيف سيتلقاها ، وبدأت أقول :

ــ اننى فكرت كثيرا واعرف طبعا اننى لست شخصا فريدا ، وقد قلت لى ذلك اكثر من مرة ، وهذا صحيح من ناحية فأنا لم اعد غير نصف الرجل الذى كنته فيما مضى فمنذ أن ماتت زوجتى ..

وامسكت .. واعرب بوارو عن عطفه مزمجرا فاستطردت : ــ ولكن اظن ان الرجل الذى يلزمك حقا موجود هنا ، انه رجل زكى واسع الخيال والحيلة فى نفس الوقت وقد اعتاد على اتخاذ القرارات وله خبرة كبيرة واعنى به بويد كارنجتون .. ان فى مقدورك أن مقدورك أن تعتمد عليه يا بوارو وأن تطلعه على الأمر .

تأملنى بوارو لحظة ثم قال : كلا بالطبع .

ــ لماذا .. لا يمكن أن تنكر انه رجل زكى .. انه اذكى منى بكثير على كل حال .

ــ اطرح هذه الفكرة من ذهنك يا هاستنجز .. لن نطلع احدا على هذا السر وليكن هذا مفهوما جيدا .. اننى أمنعك منعا باتا من الكلام فى هذه القضية مع اى احــــد .

ــ حسنا . كما تشاء . ولكننى كنت اعتقد ان بويد كارنجتون ..

ــ كلام فارغ .. اننى اتساءل ما الذى يثير اهتمامك فى بويد كارنجتون هكذا .. ولكن من هو قبل كل شىء .. انه شاب مغرور معجب بنفسه لأنهم كانوا يفخمونه عندما كان مديرا فى الهند .. وانا معك فى انه ذكى جدا وجذاب ، ولكننى أؤكد لك أنه لا يتمتع بما يميزه عن غيره .. أنه يكرر نفسه ، ويروى نفس النكتة مرتين ثم أنه ضعيف الذاكرة ينسب لنفسه أية قصة تكون قد رويتها له قبل ذلك ببضعة أيام .. رجل فريد ؟ .. هو ؟ .. ما هو الا مدع مغرور ومتذبذب .

وصحيح ان بويد كارنجتون كان ضعيف الذاكره . واتذكر الآن انه اتي بحماقة كدرت بوارو جدا فقد روى له هذا الأخير نادرة وقعت له حين كان يعمل فى البوليس البلجيكى واذا ببويد كارنجتون يرددها على مسامعنا ونحن مجتمعون فى الحديقة بعد ذلك بيومين وينسبها الى صديق له يعمل فى البوليس الفرنسى .

ولم يسعنى الا أن أسكت ثم استاذنت منه فى الانصراف بعد قليل .

— ٣ —

ومضيت الى الحديقة .. ولم يكن بها احد .. واجتزت المرجة وغابة الأشجار ثم ارتقيت ربوة صغيرة اقيم فوقها مستنبت زجاجى للزهور . وجلست فوق مقعد مستطيل واشعلت غليونى وغرقت فى التفكير .

من الموجودين فى ستايلز يمكن ان يكون لديه دافع لقتل أى شخص ؟ .. لم ار احد حقا وغاظنى اننى لم اكن أملك ما يكفى من معلومات عن الأشخاص المقيمين معى . ولكن ما هى الدوافع الرئيسية للقتل ؟ .. المال والغيرة والانتقام .

كان بويد كارنجتون الثرى الوحيد بيننا واذا ما اختفى فمن الذى يرثه ؟ .. ابكون واحدا من المقيمين فى ستايلز حاليا ؟ .. بدا لى ذلك قليل الاحتمال ولكنها كانت نقطة لابد لى من أن أجلوها على كل حال فلعله أوصى بثروته للأبحاث العلمية واشترط ان يشرف فرانكلين على هذه الأبحاث .. واذا أضفنا الى هذا الاحتمال الملاحظة التى أبداها الدكتور بأنه يجب استبعاد ٩٠٪ من الجنس

البشرى لكي يعيش الباقون عيشة راضية فان ذلك يضع بويد كارنجتون فى موقف شديد الخطر .
ويجوز ان يكون نورتون او مس كول من اقاربه البعيدين الذين يحق لهم ان يرثوه وهذا امر بعيد الاحتمال جدا ولكن من يدرى .
والكولونيل لوتريل ؟ .. انه صديق قديم لبويد كارنجتون ومن المحتمل أن يكون مذكورا فى الوصية طبعا .

ورحت أواجه بعد ذلك شتى الاحتمالات ، وكانت كلها لا تعدو الخيال .. كانت مسز فرانكلين مريضة ولكن مم تشكو بالذات ؟ .. الا يجوز أن زوجها يدس لها السم بكمية قليلة لكي تموت فى بطء ؟ .. أن من السهل عليه أن يرتكب مثل هذه الجريمة لأنه طبيب . ولكن ما الدافع اليها ؟ وتملكنى القلق فجأة حين خطر لى أن جوديث قد يكون لها يد فى ذلك .. وكان لدى من الأسباب ما يحملنى على الاعتقاد بأن علاقتها بالدكتور علاقة عملية بحتة .. ولكن هل يقتنع الرأى العام بذلك ؟ .. الا يمكن أن يأتى شرطى غبى فيثير الشبهات والظنون .. كانت جوديث فتاة جميلة بلا جدال ، وقد حدث أن تسببت فتيات جميلات فى كثير من الجرائم وان كان ذلك بطريقة غير مباشرة .. وافزعتنى هذه الفكرة كثيرا .

ثم تأملت بعد ذلك حالة اللرتون .. هل يمكن أن يكون هناك من يريد أن يقتله ؟ .. اذا كان هناك قاتل حقا كما يؤكد بوارو فاننى افضل ان يكون اللرتون هو الضحية بدلا من اى شخص آخر ، فلا بد من أن نجد اسبابا كثيرة تحدو الى قتله . ومس كول وهى وان لم تكن فى مقتبل العمر الا أنها ما زالت جميلة ويمكن أن

تدفعها الغيرة الى قتل اللرتون لو انها كانت صديقة له فى وقت من الأوقات .. ولكن لم يكن هناك ما يحملنى على أن اعتقد ذلك .. ومن ناحية أخرى ربما كان اللرتون هو « س » الغامض .

هززت راسى وانا فى شدة الانفعال . فان افكارى هذه لم تؤد بى الى اى شىء . ولم البث ان سمعت صوت خطوات فوق الحصى .. فكان فرانكلين يمضى فى خطوات سريعة الى البيت وهو مطرق براسه ويداه فى جيبه .. وكان يبدو حزينا مكدودا وتعيسا فى نفس الوقت .

وكنت مشـــغولا جدا بمتابعته بعينى بحيث اجفلت عندما ظهرت مس كول فجأة على بعد خطوتين وقلت ابرر دهشتى :

ـ لم اسمعك وانت قادمة .

القت نظرة الى مستنبت الزهور وقالت : ـ اثر من آثار العهد الفيكتورى .

ـ وتعشش فيه خيوط العنكبوت .. سأنفض هذا المقعد لكى تجلسى اذا أردت .

وقلت لنفسى أن هذه فرصة طيبة لكى أزداد معــرفة بأحد المقيمين بقصر ستايلز ، ورحت انفض المقعد وانا افحصها خلســـة .. كانت بين الخامســـة والثلاثين والأربعين ذات وجه نحيل حلو القسمات وعينين جميلتين جدا .. كان يبدو عليها انها متحفظة ومستعدة للدفاع عن نفسها تدل هيئتها على أنها تألمت كثيرا فى الحياة وانها اصبحت تتحدى الدنيا بأسرها .

وقلت وانا انفض المقعــد بمنديلى للمرة الأخيرة : اظن اننى لا استطيع ان افعل غير ذلك .

ـ اشكرك .

وابتسمت لى ثم جلست .. وجلست بجوارها .. وقرقع المقعد بصورة مخيفة ولكن الكارثة التى خشيتها لم تقع .. وقالت مس كول :

ـ قل لى .. فيم تفكر ؟ .. كان يبدو انك غارق فى تفكير عميق .

اجبت فى بطء : ـ كنت اراقب الدكتور فرانكلين .

ـ آه .. حقا ؟

ولم ار اى سبب لكى اخفى عنها نتيجة مراقبتى له فأردفت : ـ بدا لى انه تعيس جدا .

قالت زميلتى فى هدوء : لكنه كذلك .. الم تلحظ ذلك من قبل ؟

قلت فى شىء من الدهشــــة : لعمـــرى .. كلا .. كنت أظن حتى هذه اللحظة انه لا يهتم بشىء فيما عدا ابحاثه .

ـ وهذه هى الحقيقة .

ـ اترين انه تعيس لهذا السبب ؟ كنت اظن أن رجلا مثله يجب ان يكون سعيدا بأبحاثه .

ـ لا اعارضـــك فى ذلك .. ولـــكن على شرط ان لا يزعجه شىء فى ابحاثه وان يستطيع ان يبذل كل ما فى مقدروه .

نظرت اليها حائرا فاستطردت : ـ لقد عرضوا على الدكتور فرانكلين فى الخريف الماضى ان يمضى ويزاول ابحاثه فى افريقيا ، وهو كما تعرف رجل قدير وقد سبق ان قام بأبحاث فى مجال الطب فى المناطق الاستوائية .

ـ ولماذا لم يذهب ؟

ـ اعترضت زوجته على ذلك .. شعرت بأنها لن تحتمل الجو هناك وكرهت البقاء وحدها فى انجلترا ..

ثم انه كان يتعين عليها أن تضغط مصروفاتها لأن راتب زوجها المعروض عليه لم يكن كبيرا .

ــ واظن انه رأى انه لا يستطيع الذهاب وحده بسبب صحة زوجته ؟

ــ هل تعرف حقيقة مرضها يا كابتن هاستنجز ؟

ــ كلا .. ولكنها مريضة حقا .. اليس كذلك ؟

ــ يروق لها أن تبدو كذلك .

كانت لهجتها جافة .. وكانت عواطفها كلها مع الزوج .. وقلت فى شىء من التردد :

ــ اظن ان المراة الضعيفة الصحة تميل دائما الى ان تكون انانية .

ــ طبعا .. ان المراة الضعيفة الصحة حقا تبدى شيئا من الانانية ، ومن الصعب حقا أن نلومها .

ــ اذن فأنت تعتقدين أن حالة مسز فرانكلين ليست خطيرة ؟

ــ اوه .. لا اريد أن اقطع برأى فى هذا الصدد ولكن يبدو أنها تفعل حقا ما تريد فى كل الظروف .

ــ أظن أنك تعرفين الدكتور فرانكلين وزوجته معرفة وثيقــــة ؟

ــ اوه ، كلا .. لم اكن قد التقيت بهما قبل أن آتى هنا الا مرة أو مرتين .

وما عرفته منهما عرفته عن طريق ابنتك .

ورأيت فى شىء من المرارة أن جوديث تفضى بأسرارها الى الغرباء بأسهل مما تفعل مع ابيها .. واستطردت مس كول تقول :

ــ انها أمينة جدا مع مخدومها وتستنكر أنانية مسز فرانكلين كل الاستنكار .

ــ وهل تعتقدين أنت أيضا انها انانية ؟

ــ نعم .. ولكننى افهم وجهة نظـرها .. انني افهم المرضى بطريقة عامة وأدرك أن يرضخ الدكتورلرغبات زوجتـه ولكن جـوديث ترى أنه يجب أن يزاول ابحاثه بهـدوء من غير ان يهتم بنزواتهـا كل هذا الاهتمام . ان ابنتك عاملة كلها حماس .

اجبت فى شيء من الألم : ــ أعرف ذلك .. وهـذا يتسبب لى فى بعض المشاكل احيانا ، فكل هذا يبدو غير طبيعى . ولعلنى لا احسن التعبير عما أريد أن اقول ولكن يبدو لى أنها يجب أن تكون أكثر آدميـة .. وأن تمرح .. وأن تغازل بعض الفتيان .. ومهما يكن فان للشباب ان يلهو ويمرح لا أن ينحنى فوق المختبرات .. كلا .. ليس هذا طبيعيا .. اننا كنا نلهو ونتغزل ونحن شباب .. وانت تعرفين ذلك طبعا .

وسادت فترة صمت قطعته مس كول أخيرا فقالت فى صوت فاتر عجيب : ــ كلا .. لا اظن ذلك .

احسسـت بالارتباك ، فقد تكلمت على غير وعى فهى كما لو كنا فى نفس السن ولم البث ان ادركت انها تصغرنى بخمسة عشر عاما وهكذا اقدمت دون أن ادرى على عمل بعيد عن اللباقة .. وحاولت أن اصلح غلطتى ولكنها قالت :

ــ لا تعتذر ، فاننى عنيت ما قلت بالضبط وهو أننى لا أظن اننى أعرف .. فأنا لم أكن شابة أبدا ولم اعرف ما هو اللهو او المرح .

وأحسست بارتباكى يزداد ازاء المرارة التى شابت لهجتها وقلت : ــ اغفرى لى .

ابتسمت ابتسـامة باهتة وقالت : ــ أوه .. لا بأس .. خل عنك ولنتكلم فى شيء آخر .

واسرعت بتغيير مجرى الحديث فقلت : ــ هل تعرفين الأشخاص الآخرين الذين يقيمون هنا ؟

ــ انني اعرف آل لوتريل منذ طفولتي وانه لمما يحز في نفسي أن اراهما مضطرين الى هذا العمل ، وانني أرثي للكولونل بالذات لأنه رجل كريم .. اما هي فهي رقيقة جدا على غير ما يعتقد الجميع ، واذا كانت تبدو بخيلة فذلك لأنها اضطرت أن تعيش على الكفاف طوال حياتها ، والشيء الوحيد الذى يغيظني فيها هو خوفها المفرط من ان تعود الى ما كانت عليه من فقــر .

ــ حدثيني عن مستر نورتون .

ــ ليس لدى الكثير عنه .. انه رجل ظريف جدا وخجول .. ولعله ليس ذكيا جدا ، ومن ناحية اخرى كان دائما ضعيف الصحة .. كان يعيش مع امه ، وهي امراة غبيــة سوداوية الطبع كانت تســتبد فى معاملتها له .. وقد ماتت منذ بضع سنوات .. وهو يعشق الطيور والزهور واشياء أخرى من نفس النوع .. انه طيب جدا ويرى امورا كثيرة .

ــ من خلال منظاره المكبر ؟

ابتسمت مس كول وقالت : ــ لم اكن اعنى المعنى الحرفى لهذه العبارة .. انما اردت ان اقول انه يرى الأمور كما يراها الأشخاص الهادئون المتزنون .. انه كريم ويعرف كيف يكون ودودا ومجاملا ولكنه ضعيف الارادة متذبذب ، ولا ادرى هل تدرك ما أريد ان اقول

قلت : ــ نعم .. اظن ذلك .

قالت اليزابث كول : ــ وهذا ما يضايق فى مثل هذه الأماكن .

وكان صوتها يفيض بالمرارة من جديد ، واستطردت

تقول : ـــ أن البنسيونات التى يديرها اناس مفلسون تقريبا من افاضـــل المجتمع مملوءة دائما بالفاشلين الذين قهرتهم الحياة ولم يوفقوا فى اى شىء وتملكهم الياس والاعياء .

وسكتت . وغمرنى الحزن فهى لم تبعد عن الحقيقة لأننا كنا جميعا مجموعـــة من النـــاس نصف كامرين رؤوسنا وخطها المشيب وقلوبنا كئيبة حزينة ، وانا نفسى كنت وحيـــدا أثير الاشـــمئزاز والتقزز ، والمرأة الجالسة بجوارى فى ذلك الوقت كانت هى الأخرى مخـــلوقة تفيض بالمرارة والحسرات ، أما الدكتـــور فرانكلين فقد تعرقلت مشـــاريعه ومرضت زوجته ، ونورتون الهادىء الرزين كان يمشى وهو يعرج ويراقب العصافير من خلال منظاره المكبر وبوارء الذى كان فيما سبق متألقا لامعا اصبح الآن شيخا عاجزا عن الحركة .

كان كل شىء مختلفا جدا عندما أتيت الى ستايلز لأول مرة .

وتنهدت فى حسرة وانا اتذكر ذلك .

وأسرعت زميلتى تسألنى : ـــ ما الخبر ؟

ـــ لا شىء .. اننى أقمت هنا وانا شاب وكنت افكر فى التناقض بين الأيام الماضية والوقت الحاضر .

ـــ اننى افهم .. اظن ان الناس كانوا سعداء فى ذلك الوقت .

ومن الغريب اننا نلاحظ احيانا ان الذكريات القديمة تبدو كأنها تتعقد وتتشابك كتلك المناظر التى نراها فى الصندوق السحرى .. هكذا بدت أمام مخيلتى عندئذ فى تشـــابك عجيب للأحـــداث .. ثم راحت قطع الفسيفساء تستعيد وضعها الحقيقى .

وادركت ان الندم الذى يغمرنى انما اشعر به فى الواقع عن الماضى لحب الماضى بالذات وليس للأحداث ذاتها .. لأن السعادة الحقيقية لم يكن لها وجـود فى ستايلز ، وتذكرت الوقائع الحقيقية بدون اى تحيز .. كان صديقى جون وزوجته تعيسين أغضبتهما حياتهما الفاشلة وخيبة آمالهما . وكان لورنس غارقا فى حزنه الأبدى ، وكانت سنتيا حزينة لوضعها غير الطبيعى اذ كانت تعيش عالة على صاحبة القصر : وتزوج انجلتورب بامرأة تكبره سنا طمعا فى ثروتها . لم يكن اى منهم سعيدا ابدا ، وقد تجدد الوضع الآن وثبت ان قصر ستايلز مكان يطبق عليه النحس .

وقلت :

ــ اظن اننى تركت نفسى انساب خلف عاطفة كاذبة .. الواقع أن أحدا لم يكن سعيدا هنا .. واظن أن ما من أحد سعيد الآن .

ــ ولكن ابنتك ..

ــ ان جوديث ليست سعيدة هى الأخرى .

وكنت قد نطقت بكلماتى هذه وانا مقتنع تماما بأننى غير مخطىء .. كلا .. لم تكن جوديث سعيدة .. وقلت فى شىء من التردد :

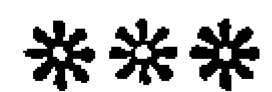
ــ قال بويد كارنجتون بالامس انه رجل وحيد ، ومع ذلك فقد بدا لى انه شديد الاغتباط باقامته فى هذا البيت وبمن فيه .

ــ ان سير ويليام يختلف عن الاخرين انه لاينتمى الى جماعتنا فهو قدم من الخارج حيث يعرفون الحرية والنجاح . وقد افلح فى حياته وهو يعرف ذلك ... انه ليس عاجزا مثلنا .

وكانت قد اختارت عباراتها بعناية كبيرة فتحولت

اليها وقلت فى حيرة : لماذا ابسنخدمت هذه العبارة ؟
اجابت : ــ لأنها تعبر عما أريد ، فيمــا يتعلق بى انا على كل حال فانا امرأة عاجزة .
ــ هل ينبغى ان افهم انك كنت غير سـعيد انت ايضا ؟
سألتنى فى هدوء : ــ انك تعرف من انا . . . اليس كذلك ؟
ــ ياالهى . . . اننى اعرف اسمك .
ــ كول ليس اسمى . . اعنى . . انه اسم أمى وقد اتخذته بعد ان . .
ــ بعد ماذا ؟
ــ ليتشفيلد هو اسمى فى الواقع .
لم افهم فى بداية الامر . . . كل ما هنالك ان الاسم بدا لى مألوفا بعض الشىء ولكننى لم البث أن تذكرت فتمتمت :
ــ ماتيو ليتشفيلد .
اومأت براسها بالايجــاب وقالت : ــ ارى انك على علم بالأمر . هل تفهم الآن معنى العبارة التى نطقت بها ؟ كان ابى مريضا وطاغية. وكان يحرمنا من كل ملذات الحياة فمنعنا من الخروج ومن لقاء صديقاتنا فى البيت وحرمنا من النقود على الرغم من نه كان ثريا
وأمسكت ورفعت عينيها الداكنتــين الى وقالت : وعندئذ . . اختى . . اختى . .
ولكنها لم نستطع ان تنطق بالمزيد فقلت :
ــ ارجوك . . كفى ان هذا الحديث يشق عليك وانا اعرف القضية فلا داعى لاستعادة هذه الذكريات المؤلمة .
ــ ولكن لا يمكن ان تكون عرفت كل شىء . . . ان

ماجى ... هذا عجيب ... لا يمكن تصديقه ...
انها ذهبت وسلمت نفسها للبوليس واعترفت ، ولكننى
حتى الان لا استطيع ان اصدق .. يخيل لى أن ذلك
غير حقيقى وان الأمور لا يمكن أن نكون جرت كما قالت
ــ هل تعنين أن الحقائق تكذب اعترافها ؟
ــ كلا . ولكن ماجى لم .. لم يكن هذا من شيمتها
... لم تكن هى بالضرورة .
وجاءت بعض الكلمات على شفتى ولكننى لم انطلق
بها . فلم تحن الساعة بعد لكى اقول لاليزابث كولى
انك على صواب . فلم تكن ماجى .



الفصــل التاسع

كانت الساعة قد بلغت السادسة تقريبا عندما رأيت لوتريل يمشي فى الممر وفى يده بندقيته ويمامتين كان قد قتلهما . وأجفل حين ناديته وبدت عليه امارات الدهشة وهو يرانا جالسين فى مكاننا وقال :

ــ ماذا تفعلان هنا ؟ ... ان هذا المبنى قـديم ويوشك على الانهيار .. ثم ان ثيـابك ستتسـخ يا اليزابث .

اجابته المراة الشابة : ــ كلا . لقد كان الكابتن هاستنجز ظريفا وضحى بمنديله .

تمتم الكولونل قائلا : ــ حقا ؟ ... لا بأس اذن .

ونهضنا ودنونا منه . كان يبدو شاردا كما لو كان هناك مايشغله . وقال :

ــ انني ذهبت وقتلت هاتين اليمامتين ... لقـد الحقتا بنا أكبر الضرر .

قلت : ــ سمعت انك تجيد اصابة الهدف .

ــ من قال لك هذا ؟ ... بويد كارنجتون طبعا .. كنت كذلك فيما سبق . أما الآن فلا ــ فقد تقـدمت فى السن .

قلت : ــ لاريب ان نظرك اصبح ضعيفا ؟

ــ أبــدا ... ان نظـرى سليم كمـا هو ...

صحيح اننى البس نظـــارة لكى اقرا . ولـــكن بصرى سليم على المدى البعيد .

وسكت بضع لحظات ثم قال : ــ نعم . . . سليم . . . ولكن ليس لهذا اية اهمية . وانتهت عبـــارته بتمتمة غير واضحة . وقالت مس كول وهى تـــردد البصر حولها : ــ ما اجملها ليلة .

***

هبطت الشمس الى الغرب فى بطء واضطرام ذهبى وارجوانى أبرز الخضرة الداهنة لأوراق الشـــجر . وكانت ليلة جميلة من تلك الليالى الهادئة الســـاكنة التى يحلو للمرء أن يتذكرها عندما يجـــد نفسه منفيـــا فى منطقة استوائية بعيدة . وحاولت بطريقة خرقاء التعبير عما يجيش فى صــــدرى . ووافقنى الكولونل وقال فى قوة :

ــ نعم . طالما فكرت فى ليال كهذا وانا فى الهنـــد وكنت أصبو عندئذ الى ان اعتزل الخدمة لكى أستطيع الاستقرار .

هززت راسى واســـتطرد هو يقول : ــ نعم . . . . لكى استقر . . . واعود الى الوطن . . . ولكن عندما يحين الوقت لذلك نجد ان كل شىء قـــد تغير

وقلت فى نفسى ان هذا صحيح وانه ما كان ليخطر على باله انه سيأتى عليه يوم يدير فيه بنسيونه وترافقه امرأة شكسة تنغص عليه حياته ولا تفتأ تزجره وتعنفه

وعدنا الى البيت فى بطء وهناك وجدنا نورتون وبويد كارنجتون جالسين فى الشرفة وانضممت أنا والكولونل اليهما فى حين مضت مس كول الى الداخل .

واخذنا نتسامر بعض الوقت . وكان يبدو على لوتريل المرح والانطلاق على غير عادته وقال نورتون :

ــ كان الجو حارا لا يطاق اليوم .. واكاد اموت من الظمأ .

قال الكولونل : ــ آه سأقدم لكم كأسا يا أصدقائى وشكرناه . ونهض ومضى الى غرفة الطعام . وكنا نجلس أمام النافذة الكبيرة فسمعناه يفتح البوفيه لكى يأخذ زجاجة وبعد لحظة سمعناه يرفع عنها سدادتها وفجأة ارتفع صوت مسز لوتريل يقول فى حدة :

ــ ماذا تفعل يا جورج ؟

ورد عليها الكولونل همسا ولم نستطع ان نسمع منه غير هذه الكلمات « الأصدقاء .. نشرب كأسا معا » ...

وارتفع صوت زوجته من جديد وقالت محنقة غاضبة : ــ لن تفعل شيئا من هذا ياجورج . هل تظن اننا نستطيع ان نتخلص من ورطتنا اذا ما رحت تقدم الشراب الى الجميع ؟ ... ان المشروبات هنا يجب أن يسدد ثمنها . اننى لا يجب أن أفعل واذا لم أهتم بكل شىء فسوف نتعرض للافلاس . يجب ان اراقبك كما لو كنت طفلا . وهذا وحده شىء يثير الضيق حقا فليس لديك ذرة من الادراك . اعطنى هذه الزجاجة . قلت لك اعطنى اياها .

وجازف الكولونل فنطق بكلمات مبهمة فى صوت اجش يعترض عليها ولكنها قاطعته فى حدة قائلة :

ـ لست ابالى .. ستعود الزجاجة الى مكانها .

وسمعنا بعد ذلك صرير مفتاح يدور فى قفل وعادت تقول : لا فائدة .

ثم سمعنا صوت الكولونل فى وضوح هذه المرة وهو يقول : ـ انك تتمادين ياديزى ولن أطيق هذا أبدا .

ـ لن تطيق هذا ؟ ... ومن انت حتى تصدر لى الاوامر . وددت لو ان اعرف ذلك ... من الذى يدير هذا البيت ؟ ... انا طبعا وانصحك ان لا تنسى ذلك .

ومرت لحظات قبل ان يعود لوتريل . وبدا كأنه شاخ فجأة ورثيت له من كل قلبى عندئذ . قال فى صوت وتكلف : ـ آسف ايها الاصدقاء . ولكن يبدو انه لم يعد لدينا ويسكى .

ومع ذلك فلم يكن هناك اى شك فى انه كان يعلم اننا سمعنا الحديث الذى دار بينه وبين زوجته ، واذا كان لم يدرك ذلك فان موقفنا كان كفيلا بان يجعله يفهم لاننا كنا فى شدة الارتباك . وحتى نورتون اثبت غباءه حين اسرع وقال انه لا يريد أن يشرب شيئا حقا قبل العشاء ثم غير مجرى الحديث وابدى بعض الملاحظات التى لا رابط لها . وانا نفسى احسست بالجمود ، بل ان بويد كارنجتون ، وهو الوحيد الذى كان فى استطاعته ان ينقذ الموقف لم يجد ما يقول .

ورأيت ، من ركن عينى مسز لوتريل تهبط الى الحديقة وبيدها قفازها ومعزق . وكان واضحا انها امرأة قديرة حقا تعرف ما تريد ولكننى اعترف مع ذلك بأننى احسست بالحقد نحوها فى تلك اللحظة لاننى أعتقد انه ليس من حق أحد ان يحقر او يهين غيره .

واستمر نورتون فى حديثه ، وكان قد التقط احدى اليمامتين من المكان الذى تركهما لوتريل فيه وراح يقول لنا كيف كانوا يسخرون منه فى المدرسة وهو غلام لأنه أحس بالغثيان اذ رآهم يذبحون ارنبا . ثم روى لنا قصة صيد فى اسكتلندا : لقى احد الصيادين مصرعه أثناءها بطلقة من بندقية اطلقت خطأ . وتناولنا فى حديثنا بعد ذلك حوادث اخرى مختلفة واخيرا تنحنح كارنجتون وقال :

ــ وقع ذات مرة حادث غريب لاحد جنودى . كان قد ذهب الى ايرلندا فى اجازة وعندما عاد وسألته اذا كان قد استمتع باجازته فقال : ــ طبعا يا صاحب الفخامة . . لم أستمتع فى حياتي باجازة مثلما استمتعت باجازتى هذه . . . كانت اجازة موفقة قتلت فيها أخى « فصحت به » ماذا تقول ؟ قتلت اخاك ؟ . . . نعم . . . ياصاحب الفخامة . . كنت اريد ان اقتله من سنين ولكننى وفقت هذه المرة . كنت واقفا علىسطح واذا بى اراه يمشى فى الطريق وكانت معى بندقيتى ورايتها فرصة مناسبة فاطلقت رصاصة واحدة صرعته فى الحال كالأرنب . . كانت لحظة من أسعد لحظات حياتى لن أنساها ابدا . .

كان بويد كارنجتون يعرف كيف يروى قصة ورحنا نضحك عن طيب قلب وعندما انصرف قائلا أنه يريد أن يمارس قليلا من الرياضة قبل العشاء قال نورتون معبرا عن مشاعرنا جميعا :

ــ انه رجل مدهش .

ووافقته على ذلك وقال لوتريل بدوره : هذا صحيح انه رجل طيب .

وعاد نورتون يقول : واضح انه أفلح فى كل مكان ذهب اليه . ان كل ما يقوم به يتكلل بالنجاح . انه يعرف ما يريد ثم انه رجل نشيط .

قال لوتريل : بعض الأشخاص هكذا . .كل مايلمسون ينجح حتى ليخيل انه لا يمكنهم أن يخطئوا أبدا . . نعم ، بعض الأشخاص محظوظون .

هز نورتون مرة أو مرتين وقال : كلا . . ليست المسألة مسألة حظ . . الم تسمع أن يوليوس قيصر قال لبروتوس « ان مصيرنا ليس فى النجوم يا عزيزى وانما يكمن فى داخلنا نحن » .

تنهد الكولونل وقال : لعلك على صواب .

وقلت : مهما يكن فهو محظوظ لأنه ورث عمه . . قصر فخم . . ولكن يجب أن يتزوج والا أحس بالوحدة فى ذلك البيت الكبير .

ضحك نورتون وقال : يجب ان يتزوج وأن يستقر . ؟ وما العمل اذا أخضعته زوجته لارادتها ؟ .

كان يمكن لأى امرىء أن يبدى مثل هذه الملاحظة ولكنها جاءت فى غير مناسبتها نظرا للظروف ، وقد أدرك نورتون ذلك بمجرد أن أفلتت من بين شفتيه وحاول استردادها فتردد وتلعثم واخيرا لزم الصمت فى شىء من الضيق وازدادت الحالة خطورة بعد ذلك .

وحاولت أن أنقذ الموقف فأبديت ملاحظة حمقاء عن حمرة الشمس الغاربة . وقال نورتون أنه يود لو أن يشترك فى لعب البريدج بعد العشاء .

ولكن الكولونل لم يبد أى اهتمام بحديثنا وقال فى صوت ضعيف :

ـ لن يقع هذا لبويد كارنجتون . انه ليس من النوع الذى يخضع لأية امرأة . . فهو رجل .

وشعرنا بالحرج وراح نورتون يتحدث عن البريدج . وفى نفس اللحظة حلقت يمامة فوقنا ثم حطت على شجرة على مسافة منا .

وأخذ الكولونل بندقيته وقال : يمامة لعينة أخرى .

ولكن قبل أن يتمكن من التصويب طارت اليمامة الى مكان كان من الصعب اصابتها فيه . ولفت نظر كوتريل شىء يتحرك فوق المنحدر فى آخر المرجة فقال :

ـ يا الهى . . اظن أن هناك أرنبا يقرض احدى اشجار الثمار . . ومع ذلك فقد وضعت حولها سياجا .

ورفع بندقيته وصوبها وضغط على الزناد .

وصرخت امرأة صرخة حادة ولم تلبث أن تحولت صرختها الى أنين .

وافلتت البندقية من بين اصابع لوتريل وتهاوى جسده وقال :

ــ يا الهى . . انها ديزى . .

ولكننى كنت قد اسرعت نحو المرجة ركضـا وتبعنى نورتون . وما هى الا لحظة حتى كنا نحيط بمسزكوتريل . وكانت عند اطلاق النار منحنية فوق شجرة من أشجار الثمار تحاول ربطها الى ركيزة ، وكان العشب عاليـا بعض الشيء . وادركت ان الكولونل راى حركة غامضة ولم يتبين ، بسبب انعكاس أشعة الشمس أنها زوجته.

واصيبت مسز كوتريل فى كتفها . وانحنيت لكى افحص الاصابة ثم رفعت عينى الى نورتون فاذا به يعتمد الى شجرة وقد اصفر لونه وبدا كأنه موشك على الاغماء . وتمتم :

ــ لا استطيع أن أطيق رؤية الدماء .

صحت به فى لهجة جافة : اذهب وابحث عن الدكتور فرانكلين او عن الممرضة .

وانصرف وهو يعدو .

وكانت مس كرافن أول من أقبل الى مكان الحادث . وبـدأت فأوقفت نـزيف الدم ولم يلبث أن جاء الدكتور فرانكلين بدوره . ونقلا المصابة الى البيت ثم الى غرفتها وطهر الدكتور الجرح ثم ضمده واستدعى طبيب مسز لوتريل المعالج بعد ذلك . والتقيت به فى البهو وهو يعيد السماعة مكانها فسألته :

ــ هل الجرح خطير ؟

ـ كلا . . انه جرح سطحى ولم تصب الرصاصة أى مكان حيوى . ولكن كيف حدث هذا ؟

وذكرت له ما حدث فى ايجاز فقال : آه اين كوتريل الآن ؟ لا ريب أنه شديد الاضطراب وبحاجة الى العناية أكثر من زوجته فان قلبه ضعيف .

ووجدنا الكولونل فى غرفة التدخين . وكان شاحب اللون ترتسم على وجهه امارات الغباء وتمتم يقول :

ـ كيف . . كيف هى ؟

أسرع الدكتور يطمئنه فقال :

ـ ان الجرح ليس خطيرا . . لا تقلق .

ـ ظننت . . اننى أرى أرنبا . لا ادرى كيف استطعت . . ان ارتكب مثل هذه الغلطة . . لا ريب أن أشعة الشمس كانت فى عينى .

قال الطبيب فى حدة :

ـ هذه أشياء تقع . . وقد سبق أن شاهدت حادثين أو ثلاثة من هذا النوع . اسمع . سأعطيك مقويا فانك تبدو على غير ما يرام .

ـ بل اننى بخير . . هل أستطيع أن اراها ؟

ـ ليس الآن فورا . . ان الدكتور أوليفر سيأتى ما بين لحظة وأخرى وانا واثق أنه سيقول لك نفس الشىء .

وتركت الرجلين معا . وخرجت الى الحديقة . وكانت جوديث مقبلة نحوى هى واللرتون ، وكان الرجل

يميل براسه فوق راسها وكانا يضحكان . واذ رايت ذلك المشهد بعد الحادث المزعج الذى تعرضت له مسز لوتريل تملكنى الحنق وناديت جوديث بلهجة جافة فرفعت عينيها مشدوهة واقبلت نحوى . ورويت لها ما حدث فى بضع كلمات فقالت :

ــ هذا غريب !

وكان هذا هو تعليلها الوحيد وخيل لى انها لم تنزعج كما كان ينبغى أن تفعل أما اللرتون فقد بدا انه وجد فى هذا الحادث فرحة طيبة لأنه قال :

ــ ان هذه الساحرة تستحق ما حدث لها . أظن أن الرجل العجوز قد فعل ذلك عمدا ؟

صحت :

ــ كلا طبعا . . كان هذا حادثا .

ــ اننى أعرف هذا النوع من الحوادث . . فهى حوادث مناسبة فى بعض الحالات لو أن الأب لوتريل فعل ذلك عمدا فاننى لشديد الاعجاب به حقا .

قلت محنقا : ليس الأمر كما تقول .

ــ وانى لك ان تتأكد ؟ . . اننى عرفت رجلين قتل كل منهما زوجته . كان احدهما ينظف مسدسه أما الآخر فأطلق النار مازحا وأكد فى دفاعه بعد ذلك انه لم يكن يعرف ان المسدس محشو . وقد أفلت كل منهما من القصاص ونخلص كل منهما من زوجته .

قلت فى لهجة جافة :

ــ ان الكولونل لوتريل لا ينتمى الى هذا النوع من الرجال .

ـ ولكن يجب أن تعترف مع ذلك ان فى موتها أكبر العزاء له . . الم يتشاجرا مثلا ؟ .

درت على عقبى وبذلك استطعت ان اخفى ما اعترانى من اضطراب . هل استشف اللرتون الحقيقة ؟ . . تسرب الشك الى لأول مرة ، ولم تصلح مقابلتى لبويد كارنجتون الأمور فقد عاد من جولته ، وعندما أخبرته بما حدث سألنى على الفور :

ـ هل تظن انه أراد ان يقتلها ؟

صحت :

ـ ارجوك .

ـ معذرة . ما كان يجب أن اقول هذا . ولكننى لم استطيع الا أن اتساءل . . ولا تنس أنها تحدته شيئا ما !

ولزمنا الصمت لحظة وانا أستعيد فى ذهنى المشهد الذى سمعنا مداه ، ثم مضيت الى البيت وانا فى شدة الاضطراب . وقرعت باب بوارو .

وكان قد عرف ما حدث من كورتيس ولكنه كان ينتظر تفاصيل أكثر فى فروغ صبر ، وقد اعتدت منذ أن وصلت الى ستايلز أن أنقل له أحاديثى مع الجميع فقد خيل لى أن ذلك يقلل من شعوره بالوحدة وأنه يستطيع أن يتوهم فى بعض الاحيان أنه يشترك معنا فى حياتنا اليومية . ولم اشعر بأية صعوبة فى نقل الملاحظات التى اسمعها اليه حرفيا تقريبا .

واصغى الى فى اهتمام كبير ، وكنت أرجو أن يستبعد النظرية البشعة التى تسللت الى ذهنى ولكنه لم يكن

قد وجد متسعا من الوقت لكي يطلعنى على رأيه عندما طرق أحدهم البـــاب . ودخلت مس كرافن واعتذرت لازعاجها لنا قائلة :

ــ ظننت أن الدكتور فرانكلين هنا . لقد افاقت مسز لوتريل وهى شديدة القلق على زوجها وتريد ان تراه . الا تعرف أين هو يا كابتن هاستنجز ؟ .. أننى لا أستطيع ان ابتعد عن مريضتى .

واقترحت عندئذ ان أمضى لكى ابحث عن الكولونل فوافق بوارو على ذلك بايماءة من رأسـه . وشكرتنى الممرضة شكرا حارا .

ووجدت لوتريل فى غرفة صغيرة للطعام من النادر استخدامها . وكان واقفا بجوار النافذة يحدق بعينيه فى الحديقة . وما أن سمعنى حتى تحول الى مستقبلها . وكان الفزع مرتسما فى عينيه فقلت :

ــ ان زوجتك افاقت ، وتريد ان تراك .

ارتفع الدم الى وجهه . وادركت عندئذ اننى لم أر صفرة فى حياتى كصفرة وجهه وتمتم :

ــ تريد ان ترانى ؟ .. اننى .. اننى قادم فورا .

ومضى نحو الباب وهو يجر قدميه . وكان يترنح بحيث اضطررت ان اسنده فاعتمد على ذراعى بكل ثقله وصعدنا السلم معا . وكان يتنفس بصعوبة . وادركت عندئذ ان الصدمة التى توقعها الدكتور فرانكلين كانت شديدة القسوة عليه .

وما ان طرقت باب غرفة مسز لوتريل حتى سمعنا صوت مس كرافن يقول فى وضوح : ــ ادخل .

ودخلنا الغرفة ودرنا بالساتر الذى يخفى جزءا من الفراش . وكانت مسز لوتريل شاحبة جدا ومغمضة العينين . وفتحتهما عندما سمعتنا نقترب وتمتمت لاهثة :

ــ جورج ... جورج ! ...

ــ ديزى ... حبيبتى .

وكان أحد ذراعيها مضمدا وجامد الحركة بجوارها . واشارت بالأخرى الى زوجها اشارة خفيفة فتقدم اليها خطوة وأخذ يد زوجته فى يده وهو يقول :

ــ ديزى .

وادرت راسى نحوه . واذ رايت القلق وومضة الحنان التى ارتسمت فى عينيه المغرورقتين بالدموع تملكنى الخجل لظنونى ، وخرجت من الغرفة فى صمت وانا فى شدة الارتياح .

وكنت اجتاز الطرقة عندما دوى صوت الناقوس يعلن عن موعد العشاء . وكنت قد نسيت الساعة تماما ، فقد ازعجنا هذا الحادث . ولكن الطاهية استمرت تباشر عملها بحيث أن العشاء سيقدم فى موعده .

ولم يكن أكثرنا قد استبدل ثيابه . ولم يحضر الكولونيل ، ولكن مسز فرانكلين جاءت الى غرفة الطعام لأول مرة ، وكانت جميلة جدا فى ثوبها الوردى الباهت وتبدو فى احسن صحة لا يشغل ذهنها شىء على عكس زوجها فقد كان مشغولا وبادى القلق .

وبعد العشاء تملكنى الجزع من جديد وأنا أرى

الرتون وجوديث يختفيان معـــا فى الحديقة . وبقيت جالسا أصغى لفرانكلين ونورتون ، وكانا يتحدثان عن أمراض المناطق الاســـتوائية . وكان نورتون يحسن الاستماع على الرغم من أنه لم يكن يعرف الكثير عن تلك الأمراض .

وفى الناحية الأخرى من الغرفة كانت مسز فرانكلين تتحدث مع بويد كارنجتون . وكان هذا الأخير يريهـــا رسومات الســـتائر ويسألها الرأى فى اختيـــار نوع القماش .

كان اليزابث كول تمسك فى يدها كتابا وتبدو غارقة فى قراءته . وخطر لى أنها قد تشعر بالضيق وعدم الارتياح لوجودى . ولم يكن هـــذا بمستغرب بعـــد الحديث الذى دار بيننا عصر اليوم . ثم أننى انا نفسى كنت منزعجا بعض الشىء وكنت أرجو أن يكون قد أخذها النوم لحديثها معى . وكنت أريد أن أؤكد لها اننى احترم سرها واننى لن أطلع أحدا عليه ولكنها لم تمنحنى الفرصة لذلك .

ومضيت الى بوارو بعد لحظة . ووجدت لوتريل جالسا معه فى وسط دائرة النور المنبعثة من المصباح الوحيد بالغرفة . وكان بوارو يصغى اليه فى اهتمام ولكن خيل لى أن الكولونل كان يكلم نفسه أكثر مما يخاطب بوارو وكان يقول :

ــ اننى اتذكر جيدا ... نعم . كان ذلك أثنـــاء احدى الحفلات الراقصة . وكانت تلبس ثوبا أبيض من التول على ما اعتقد . وكان يتطاير حولها . كانت جميلة وقد أسرتنى على الفور وقلت لنفسى وأنا أعود

الى البيت فى تلك الليلة ... انها هى التى سأتزوجها . وقد تزوجتها . كانت فاتنة بحركاتها الرشيقة ووقاحتها الخفيفة .

وكتم ضحكة صغيرة وقال : ــ وقد تحدتنى دائما .

وتصورت بكل سهولة ديزى لوتريل فى أول عهدها بالزواج بوجهها الوقح ولسانها الذلق . لم يكن هناك اى شك فى أنها كانت فاتنة فى ذلك الوقت ولكنها تغيرت مع مر السنين الى امراة شرسة سليطة اللسان . غير ان لوتريل كان يفكر فى هــذه الليلة فى تلك المراة التى عرفها فى ذلك الوقت ، وفى حبه الأول الحقيقى .

***

واحسست من جديد باحساس الخجل للظنون التى خامرتنا منذ بضع ساعات وعنــدما انصرف لوتريل ذكرت القصة كلها لبوارو . واصغى الى دون أن يقاطعنى وهو جامد الأسارير . وعندما فرغت قال :

ــ ظننت اذن انه أطلق الرصاص على مسز لوتريل عمدا ؟

ــ اعترف بأننى اشعر بالخجل الآن . ولكننى فى ذلك الوقت ...

أبعد بوارو وساوسى بحركة مبهمة من يده وقال :
ــ هل جاءتك هذه الفكرة تلقائيا أم أن احدا اوعز بها اليك .

قلت : ــ قال اللرتون شيئا فى هذا المعنى ، وليس هذا بمستغرب منه طبعا .

ـ الم يشاركه احد آخر فى هذا الرأى ؟
ـ واجه بويد كارنجنون هو الآخر نفس الاحتمال .
ـ آه . . . بويد كارنجتون ؟
ـ انه رجل عرك الحياة وخبرها .
ـ طبعا ، طبعا . ولكنه لم يكن حاضرا أثناء وقوع الحادث . أليس كذلك ؟

ـ كلا . كان قد خرج لكى يقوم بجولة قبل العشاء .

واستطردت اقول فى شىء من الارتباك : ـ ولكننى لا أظن انه كان جادا فى مواجهته لهذه النظرية . . . انما كان . . .

قاطعنى بوارو قائلا : ـ لا جدوى من الندم فيما يتعلق بظنونك يا هاستنجر . كان يمكن أن تخطر هذه الفكرة لأى أحد فى مثل هذه الظروف . . . فذلك أمر طبيعى .

اشتممت فى مسلكه شيئا ما . . . كما لو كان تحفظا معينا . . . ولكننى لم افهم ما هو وراحت عيناه تراقبنى بطريقة عجيبة . وقلت :

ـ لا شك فى ذلك . ولكننى عندما أرى الآن مدى اخلاص لوتريل لزوجته . . .

وافقنى بوارو بحركة من يده وقال : ـ تماما . . . هذا هو ما يحدث عادة وأرجو أن لا تنسى ذلك . ان خلف العراك والخلافات وعداء الحياة اليومية يوجد غالبا ود حقيقى جدا .
وافقته على هذه النقطة ، فقد تذكرت الحنان الذى

رأينه فى عينى مسز لوتريل عندما انحنى زوجها فوق فراشها . لم يكن هناك حقد ولا بغضاء ولا ضيق . وبينما كنت أعود الى غرفتى فكرت أن الزواج شىء عجيب حقا . وأحسست بشىء من الانزعاج ازاء نظرة بوارو الغريبة . فقد كان يبدو عليه أنه ينتظر منى أن أرى . . . ولكن ماذا بالذات ؟

ولكننى بعد ذلك بقليل ، فى نفس اللحظة التى تمددت فيها فى فراشى ادركت كل شىء . لو أن مسز لوتريل قتلت لبدت القضية كالقضايا الأخرى تماما فسيكون الثابت عندئذ ان الكولونل قتل زوجته ولاعتبر الأمر مجرد حادث وقع قضاء وقدرا . ومع ذلك فما كان فى مقدور اى احد ان يؤكد بطريقة قاطعة اذا كان موت مسز لوتريل جاء نتيجة حادث وقع قضاء وقدرا فعلا ام اذا كان جريمة قتل مع سبق الاصرار . لم تكن هناك أدلة كافية تثبت أنها جريمة قتل ولكن فيها ما يكفى لاثارة الظنون .

ولكن ما المعنى من هذا اذن ؟ . . .

معناه ان المسئول الحقيقى لم يكن الكولونل وانما « س » . . . ومع ذلك فقد كان هذا شبه مستحيل . لاننى كنت حاضرا وكنت أعرف أن لوتريل هو الذى أطلق الرصاص لأننا لم نسمع اية طلقة أخرى .

هذا ما لم . . . ولكن هذا أيضا كان أمرا شبه مستحيل . . . كلا . قد لا يكون مستحيلا ومن المحتمل أن يكون قد وقع . . . فقد كان يمكن أن نفترض أن شخصا آخر كان ينتظر اللحظة المناسبة وأنه فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الكولونل النار على أرنب أطلق

ذلك الشخص الآخر النار على مستر لوتريل . واذا كان هذا قد حدث فعلا فان المعقول عندئذ ان لا نسمع غير طلقة واحدة وحتى اذا كان هناك اختلاف يسير فى التوقيت فمن الممكن عزوه عندئذ الى رجع الصدى . واذ أمعنت التفكير الآن بدا لى انه كان هناك رجع للصدى .

ولكن لا ... كل هذا هراء . فقد تقدم العلم فى ايامنا هذه وأصبح من اليسير تحديد نوع السلاح الذى تنطلق منه الرصاصة . فان كل سلاح يترك آثارا خاصة على الرصاصة تميزه عن غيره وتدل عليه . ولكن مثل هذه الفحوص لا تتم الا اذا أراد البوليس أن يعرف نوع السلاح الذى استخدم فى الجريمة ، والبوليس لم يتناول هذه القضية بالذات بالتحقيق لأن الكولونل كان يعتقد . كما يعتقد الجميع أنه هو الذى أطلق الرصاصة التى أصـــابت زوجته . وهذا أمر مسلم به ومقبول دون أى جدل وما كان هناك أى سبب لكى يفحص أحد خبراء السلاح بندقية لوتريل ، والشك الوحيد الذى يدور بالأذهان هو هل لعب القضاء والقدر دوره فى هذا الأمر او أن نية القتل كانت مبيتة ... وهو شك سيظل قائما حتى يثبت العكس .

واذ صح هذا فان القضية تكون مشابهة للقضايا الأخرى ... لقضية ريجس الذى لا يتذكر هل أطلق النار وان كان يعتقد أنه هو الذى ارتكب الجريمة ولقضية ماجى لينشفيلد التى ذهبت وسلمت نفسها لارتكابها جريمة لعلها لم ترتكبها .

نعم . ان هذه القضـــية لا تختلف عن القضــــايا الأخرى ، وأصبحت افهم الآن موقف بوارو جيدا .

الفصـــل العاشر

ـ ١ ـ

استأنفت حديثى مع بوارو فى صباح اليوم التالى ووافقنى على نظريتى بايماءات صغيرة من راسه . وعندما فرغت أنبسطت أساريره وقال :

ــ هذا جميـــل يا هاستنجز . كنت اتساءل هل سترى التشابه ولكننى لم أشأ الايحاء به اليك .

ــ لم أخطىء اذن ... اننا ازاء جريمة أخرى من جــرائم « س » ... ولكن لمـــاذا ؟ ... وما هى دوافعه ؟ ...

هز بوارو راسه فى تفكير ولم ينطق فقلت : ــ الا تعرف ذلك ؟ ... اليست لديك اية فكرة ؟

أجاب فى بطء : ــ بل لدى طبعا .

ــ هل اكتشفت الصـــلة بين كل هـــذه الجرائم المختلفة ؟

ــ أظن ذلك .

ــ ماذا تنتظر اذن ؟

واستطعت أن أخفى تلهفى بكل مشقة ولكنه قال :

ــ كلا يا هاستنجز .

ــ ولكن يجب أن أعرف .

ــ بل على العكس من الاوفق ان تبقى جاهلا بكل شىء .

ــ ولكن لاى سبب ؟

ــ لا لشىء الا لانه يجب ان تثق بى .

صحت : ــ ان امرك غريب ... انت هنا مصاب بالتهاب المفاصل ، لا تستطيع الحركة ومع ذلك تحاول أن تتصرف وحدك .

ــ لا تظن ذلك ، فأنت فى قلب الأحداث ... انت عيناى واذناى ولا اريد أن أزودك ببعض المعلومات لأنها قد تكون خطرا عليك .

ــ أظن انك لا تريد أن يعرف الجانى أنك تتعقبه ، ولكن هل تحسبنى لا أستطيع الدفاع عن نفسي .

ــ يجب أن تعلم يا هاستنجز أن من قتل مرة لا يرده اى شيء عن القتل بعد ذلك .

قلت وانا ابتسم ابتسامة باهتة : ــ ولكن لم تقع جريمة قتل هذه المرة .

ــ هذا من حسن الحظ ... من حسن الحظ حقا لأن من الصعب أن نتوقع كل شيء كما قلت لك .

وتنهد وقد ارتسمت على وجهه امارات القلق .

وانصرفت من عنده وانا اشعر فى شيء من الحزن ان بوارو لم يعد قادرا على أية حركة . صحيح أن ذهنه كان لا يزال نشيطا وسليما ولكن جسده أصبح عاجزا وقد أوصـــانى ان لا اقوم بأية محـــاولة لكى أعرف شخصية « س » . ولكننى فى قرارة نفسى ظللت مقتنعا بأننى عرفت أمره فلم يكن فى ستايلز غير شخص واحد بدا لى مشبوها بطريقة خاصة وسؤال واحد كان يكفى لكي أتأكد من شيء . وسيكون السؤال مجرد اختبار سلبى طبعا ولكن سيكون له مع ذلك قيمته .

وتحدثت مع ابنتى بعد الافطار وسألتها : ــ من أين كنت آتية أنت والميجور اللرتون عندما التقيت بكما امس .

وعندما يكون الانسان مستغرقا فى مظهر من مظاهر

احدى المسائل يميل الى نسيان مظاهرها الاخرى وقد دهشت لرد الفعل العنيف لابنتى وهى تقول لى :

ــ الحق يا بابا لا ارى فيم يعنيك هذا ؟

تأملتها فى ذهول وقلت : ــ ولكنه مجرد ... سؤال القيته عليك .

ــ هذا صحيح ، ولكن لماذا ؟ ... لماذا تمضى كل وقتك فى القاء الاسئلة ؟ ... ماذا فعلت واين ذهبت ومع من ؟ ... هذا امر لا يطاق فى النهاية .

والغريب فى الامر ان سؤالى هذه المرة لم يكن يتعلق بها حتما وانما كنت مهتما بحركات وسكنات اللرتون . وحاولت تهدئتها فقلت :

ــ الواقع يا جوديث اننى لا ارى لماذا لا استطيع ان اسألك هذا ؟

ــ وانا لا ارى سببا لتمسكك بأن تعرف .

ــ لست متمسكا بصفة خاصة . ولكننى كنت اتساءل فحسب لماذا لم يبد عليكما لا انت ولا هو الاهتمام بما حدث .

ــ هل تعنى تلك الحادثة التى وقعت لمسز لوتريل امس ؟ ... حسنا ... ما دام الامر يهمك فقد ذهبت الى القرية لشراء بعض الطوابع .

ــ ايه ... لم يكن اللرتون معك اذن ؟

تنهدت جوديث فى استياء وقالت فى برود : ــ كلا . اننى التقيت به على مقربة من البيت قبل ذلك بدقيقتين، وارجو ان تكون قد استرحت الآن . ولكننى اريد ان اقول لك اننى حتى ولو كنت قضيت اليوم بطوله معه فان هذا ليس من شأنك ابدا . اننى فى الواحدة والعشرين من عمرى واكتسب قوت يومى والطريقة التى اقضى بها وقتى لا تعنى احدا غيرى .

اسرعت اقول محاولا ايقاف موجة السخط : ــ هذا صحيح .

ــ يسرني أن تعترف بذلك .

وبدا لى أنها هدأت بعض الشيء ولاحت على شفتيها ابتسامة حزينة شيئا ما وقالت :

ــ يا الهى ! ... حاول أن لا تقوم اذن بدور الآباء الشرفاء . لا يمكن أن نعرف الى أى حد يحنقنى هذا ... انك تثير ضجة كبيرة لا داعى لها .

ــ اعدك اننى لن أفعل ذلك بعد .

واقبل فرانكلين عندئذ بخطوات واسعة وقال :

ــ صباح الخير يا جوديث . تعالى . اننا تأخرنا .

وكان سلوكه عجيبا ويكاد يكون منافيــا للأدب . واحسست بالاستياء على الرغم منى . كنت اعرف أنه رئيس جوديث وان من حقه ان يصدر اليها اوامره مادام ينقدها مرتبها ولكن كان فى مقدوره ان يكون رقيقا معها . لم يكن ظريفا فى تصرفاته ابدا ، وكنت قد لحظت ذلك أكثر من مرة . كان مهذبا مع الآخرين على الأقل ولكنه كان جافا ومستبدا جدا فى معاملته لجوديث ويكاد لا ينظر اليها عندما يخاطبها ، ويصدر اليها أوامره فى شــبه صراخ . ولم يكن يبــدو على جوديث انها مهتمة بذلك ولكننى أحسست بشيء من الغيظ وقلت لنفسى أن هذا السلوك معيب خاصة وانه يتناقض تماما مع اهتمام اللرتون الشديد . لم يكن هناك شــك فى ان فرانكلين يســاوى نورتون عشر مرات ولكن المقارنة لم تكن فى صفه من ناحية الرقة والمجاملة .

وفيما كان يبتعد فى طريقه نحو المعمل لم يسعنى الا أن الحظ مشــيته المخلعة وجسده غير المتناســق

ووجهه المعروق الذى يغطيـــــه النمش . كان فى مجموعه رجلا بغيضا يفتقر الى كل صفات الجمـــال الطبيعى . لم يكن هناك شك فى انه رجل عبقرى ولكن النساء لا يفتنها العبقرية وحدها . وفكرت فى شىء من الاستياء ان جوديث لن تلتقى فى مثل هذه الظـــروف بشبان تستطيع المقارنة بينهم . وبجـــانب فـــرانكلين الفظ والذى لا يتمتع بأية جاذبية كان فى مقدوراللرتون اظهار جاذبيته المصطنعة الخادعة بكل سهولة .

وما العمل اذا هى افتتنت به حقا ؟ .. ان الغضب الذى بدا عليها جعلنى اشعر بشىء من الاطمئنان لأن اللرتون كان وغدا قذرا . بل من المحتمل ان يكون أكثر من ذلك . الا يمكن أن يكون هو «س» ؟ .. لم يكن هذا بالأمر المستحيل ، فانه عندما انطلقت الرصاصة التى اصابت مسز لوتريل لم يكن موجودا مع جوديث كما كنت اعتقد فى البداية . ولكن اذا كان هو الذى اطلق النار حقا فما هو الدافع الخفى الذى دفعه الى ذلك . كنت واثقا انه ليس مجنونا ، فقد كان يبـــدو سليم العقل ولكنه كان مجردا من الأخلاق والضمير .

ولكن جوديث كانت تختلط به أكثر من اللازم .

— ٢ —

وحتى ذلك الوقت وعلى الرغم من اننى كنت شديد القلق بخصوص ابنتى فان احتمال وقوع جريمة قتل من لحظة لأخرى كانت قد أقصت عنى مشـاكلى الخاصة شيئا ما .

والآن وقد قضى الأمر واخفقت محاولة القتل لحسن

الحظ استطعت التركيز على المسألة بصورة أكثر . ولكننى كلما فكرت كلما زاد قلقى ، وقد سمعت بضع كلمات صدفة علمت منها ان اللرتون كان متزوجا . وزادنى بويد كارنجتون الذى يبدو أنه يعرف أشياء كثيرة عن كثير من الناس فقال ان زوجة اللرتون انفصلت عنه بعد بضعة شهور من الزواج وانها رفضت الطلاق لأنها كاثوليكية المذهب . وأردف يقول:

ــ واذا أردت رايي فان هذا الوغد يستريح لذلك لأن نواياه ليست شريفة على الاطلاق ، وكونه متزوج يسهل له أموره .

والواقع ان هذا النبأ كان داعيا لمخاوف كل أب .

ومرت الأيام التالية دون أن يقع حادث يذكر ومع ذلك فلم يزايلنى القلق . وكان الكولونل لوتريل يقضى كل الوقت فى غرفة زوجته . وجاءت ممرضة جديدة واصبح فى مقدور مس كرافن ان تكرس كل وقتها لمسز فرانكلين . ويجب أن أعترف من غير أية سوء نية بأننى لاحظت عند هذه الأخيرة بعض علامات الاستياء حين رات أنها ليست المريضة الوحيدة بالبيت وكرهت الاهتمام الذى تركز على مسز لوتريل لأنها كانت قد اعتادت على أن تكون صحتها محور اهتمام الجميع . وراحت تتمدد على مقعد مستدير وتضع يدها على نهدها الأيسر وتشكو من الخفقان ، ولم يعد الطعام يروق لها وكانت تخفى استياءها خلف قناع من الخضوع الصبور . وقالت تخاطب بوارو ذات يوم :

ــ اننى اكره اثارة المشاكل ، واشعر بخجل شديد لأننى مريضة ... وانه لأمر بغيض ومهين أن يجد المرء نفسه تابعا للغير . وأرى فى بعض الأحيان

ان المرض جريمة حقيقية فى حق المجتمــع ، فان الانسان الذى لا يتمتع بصحة جيدة والذى فقد كل احساس من الأوفق أن يستبعد فى رفق .

صاح بوارو مجاملا :

ــ أوه ، كلا يا سيدتى . ان الزهرة الدخيلة الرقيقة لها الحق فى أن تكون فى مستنبت ما دامت لا تستطيع احتمال الرياح الباردة . والعشب الردىء هو الذى ينمو فى الهواء الشتوى ولكن ليس معنى هذا آنه لاقيمة له . انظــرى الى حالتى انـــا ... اننى اكاد اكون كسيحا ولا أستطيع ان انحرك وحدى ، ومع ذلك فاننى لا افكر فى مفارقة الحياة وانما مازلت أستفيد من أشياء كثيرة .. الطعام الشـــهى والنبيذ الجيــد والملذات الذهنية .

تنهدت مسز فرآنكلين وقالت :

ــ ان الأمر مختلف بالنسبة لك ، فليس هنـــاك مايهمك غير نفســك . اما أنا فلدى جون المســكين ولست اجهل اننى حمل ثقيل بالنسبة له ... امرأة مريضة لا فائدة منها ... حمل حقيقى لابد ان يجــره خلفه اينما يذهب . هل تفهم ؟

ــ ولكننى واثق انه لم يوجه لك اى لوم ابدا .

ــ ليس تحت هذه الصورة وهذا صحيح . ولكن الرجال شفافون جدا ، وجون لا يســـتطيع اخفـــاء مشاعره ، وهو لا يتعمد ان يكون قاسيا طبعا . ولكنه مجرد من الشعور وهذا من حسن حظه طبعا . انه لا يحس بأى احساس عميق ولا يستطيع أن يفهم ان الآخرين قد يكونون مختلفين ... والواقع ان هـــذا من حسن حظه .

قال بوارو :

ــ ولكننى لا ارى الامور بهذه الصورة ابدا .

ــ حقا ؟ .. انت لا تعرفه اذن كما اعرفه انا . واعرف طبعا انه لولاى لكان الآن حرا واحس احيانا بالاكتئاب الى حد اننى أجد راحة حقيقية فى التخلص من حياتى الى الأبد .

ــ لا يجب أن تقولى هذا يا سيدتى .

ــ لماذا ؟ ... مهما يكن فأنا عديمة النفــع لأى احــد .

وهزت راسها فى حزن واسترسلت :

ــ سامضى نحو المجهول الكبير ... وبذلك يجــد مرانكلين نفسه حرا .

وعندما رددت هذا الحديث فيما بعد على مس كرافن اسرعت تقول :

ــ كلا هذا هراء . استطيع ان أؤكد لك انها لن تفعل شيئا من هذا . ان الذين لا يتكلمون الا من التخلص من الحياة ليس فى نيتهم ان يفعلوا هذا أبدا .

ويجب ان اعترف أنه عندما مر الاضطــراب الذى تسبب فيه حادث مسز لوتريل ، وعندما استعادت مس كرافن مكانها بجوار مسز فرانكلين كانت الحالة الذهنية لهذه الأخيرة قد تحسنت كثيرا .

وفى ذات صباح جاء كورتيس ببوارو تحت أشجار الدرداء الموجودة على مقربة من المعمل ، وكان صديقى يفضل هذا المكان لأنه بعيد عن التيارات الهوائيــة . وعندما انضممت اليه كانت مسز فرانكلين خارجة من المعمل .. وكانت ترتدى ثوبا جميلا يضفى عليها نوعا من المرح ، وقالت لنا أنها خارجة للنزهة مع بويد كارنجتون وان هذا الأخير طلب منها مشورتها فى اختيار الستائر

والطنافس وانهما سيمضيان معا الى كناتون لكى يتفقدا سير العمل . واردفت تقول :

ــ اننى استرددت حقيبة يدى وكنت قد نسيتها فى المعمل أمس حين ذهبت الى جون .

ثم قالت بعد لحظات من الصمت :

ــ انه ذهب اليوم هو وجوديث الى تادمنسترلشراء بعض المنتجات الكيماوية التى يحتاجان اليها .

وجلست فوق المقعد المستطيل وهزت رأسها بطريقة مضحكة وقالت :

ــ يالهما من مسكينين ! اننى أشعر بالارتياح لأننى لست من اهل العلم ... ففى مثل هذا اليوم الجميل يبدو لى ان كل شىء فى غير محله .. حقا ...

قال بوارو ضاحكا :

ــ لا تقولى مثل هذا القول لأهل العلم .

ــ كلا طبعــا .

وتبدلت أساريرها على الفور وظهرت عليها أمارات الجد وقالت :

ــ على كل حال لا تظن يا مستر بوارو اننى لست معجبة بزوجى ، والا لكنت مخطئا . واعترف ان طريقته فى الحياة بالنسبة لعمله ... انما هى طريقة مدهشة .

واختلج صوتها شيئا ما وخيل لى انه يروق لها أن تقوم بأدوار مختلفة ، فقد كانت فى هذه اللحظة بالذات الزوجة الوفية المحبة ، واستطردت تقول :

ــ ان جون يكاد يكون قديسـا ... وهذا يخيفنى فى بعض الأحيان .

كانت مقارنتها لفرانكلين بالقديس مغالاة طبعا ، ومع ذلك فقد استطردت تقول متألقة العينين .

ــ انه جدير بأن يفعل اى شىء وان يقدم على كل

مجازفة فى سبيل تقدم العلم البشرى ، وهذا عمل جميل على كل حال . اليس كذلك ؟

تمتم بوارو :

ــ طبعا ... طبعا ...

ــ ومع ذلك فاننى أشعر بشىء من القلق فيما يتعلق به . واننى اتساءل الى اى مدى يمكن أن يذهب بتجاربه فيما يتعلق بفول كالابار البغيض الذى يهتم به حاليا ، واخشى ان يجربه على نفسه .

قلت :

ــ اذا صح هذا فانه سوف يتخذ كل الاحتياطات اللازمة .

هزت المرأة راسها وقد ارتسمت على ملامحها ابتسامة حزينة .

وقالت :

ــ انك لا تعرفه . الا تسمع ماذا فعل أثناء تجارب الغازات ؟

ــ كلا .

ــ كان الاهتمام يدور حول غاز جديد ارادوا معرفة خواصه وقد تقدم جون لاجراء التجارب عليه فوضعوه فى صندوق كبير لمدة ست وثلاثين ساعة وراحوا يتابعون نبضه وحرارته وتنفسه لمعرفة تأثير ذلك الغاز على أعضائه ، وهل يختلف فى تأثيره على البشر عن تأثيره على الحيوانات . وكانت هذه مجازفة خطيرة كما قال لى أحد الأساتذة فيما بعد ، وكان من الجائز أن يموت أثناءها . وهو هكذا دائما يضحى بنفسه وبسلامته فى سبيل العلم ، وأرى أن هذا شيء عظيم ... الا ترى ذلك ؟ .. اننى لن اجد الشجاعة ابدا للاقدام على مثل هذا العمل .

قال بوارو :

ــ من المؤكد انه لابد من شجاعة كبيرة فى سـبيل ذلك .

ــ طبعا . واننى لفخورة جدا به . ولكننى شديدة الجزع عليه فى نفس الوقت . فقد يأتى وقت تؤدى به احدى هذه التجارب . ولهذا ترانى خائفة جدا من ان يجرب تأثير هذا الغول اللعين عليه وان تكون هذه التجربة وبالا علينا جميعـا .

وتنهدت المرأة الشابة ثم أردفت :

ــ ولكنه دائم السخرية من مخاوفى . انه قديس حقـا .

وظهر بويد كارنجنون على عتبـة البيت فى هـذه اللحظة فتقدم نحونا وقال :

ــ هل انت على استعداد يابابس ؟

ــ طبعا يا بيل . كنت انتظرك .

ــ ارجو ان لا ترهقك هذه الجولة كثيرا .

ــ ابدا ... لم اشعر بأننى فى صحة جيدة كما انا الآن منذ شـهور .

ونهضت ورمتنا بابتسامة ثم ابتعدت برفقة فارسها الخدوم . وتمتم بوارو :

ــ الدكتور فرانـكلين ... قـديس عصرى .. عجبا !

***

الفصل الحادى عشر

يبدو ان الحديث الذى ترك فى نفسى أبلغ الأثر قد دار فى صباح اليوم التالى قبل الغداء .

كنا أربعة .. أنا وجوديث وبويد كارنجتون ونورتون . ولا أدرى كيف بدأ الأمر ولكننا لم نلبث أن وجدنا أنفسنا نتكلم عن موت المرضى الذين لا يرجى لهم شفاء . وكان بويد أكثر من تناول هذا الموضوع طبعا أما نورتون فراح ينطق بكلمة من وقت لآخر ، ولزمت جوديث الصمت وان كان قد بدأ عليها الاهتمام التام . واعترف ان هذا الموضوع قد أثار فى نفسى كراهية كبيرة على الرغم من كل المبررات التى قيلت وأردفت أقول أن قبول العالم لهذا النوع من الموت يضع سلطة كبيرة بين اهل المريض . وشاركنى نورتون هذا الرأى وأردف يقول أنه لا يجب قتل المريض الا بناء على رغبته هو بالذات وعلى شرط ان يكون الموت السريع أكيدا .

وعاد بويد كارنجتون يقول :

ــ ولكن هل يتمنى المريض أن يضعوا حدا لآلامه حقـا ؟

وروى لنا قصة أكد لنا قصنها فقال ان مريضا كان يتألم أشد الألم من داء السرطان ولم يكن هناك أى رجاء فى شفائه وانه طلب من طبيبه أن يعطيه شيئا لكى يتخلص من حياته بسرعة ولكن الطبيب أجابه بأنه لا يستطيع الاقدام على مثل هذا العمل ، بيد انه بعد ذلك بقليل وقبل أن ينصرف ترك فى متناول المريض

بضعة اقراص من المورفين محددا له السكمية التى يمكنه ان يتناولها دون خطر. وبهذا كان فى مقدور المريض أن يأخذ منها ما يكفى لكى يتخلص من الحياة ولكنه لم يفعل ، واثبت بهذا انه يتشبث بالحياة على الرغم من آلامه وعلى الرغم من أنه طلب الموت بنفسه .

واشتركت جوديث فى الحديث عندئذ فقالت فى حزم :

ـ ماكان للطبيب أن يترك له حرية اتخاذ القرار طبعا .

سألها بويد كارنجتون :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ ان الشخص الذى يوهنه المرض والألم لا يملك الارادة الضرورية لاتخاذ أى قرار صحيح ، ولهذا يجب ان يتخذ غيره القرار بدلا منه . هذا هو واجب الذين يعيشون معه ويحبونه .

قلت مشدوها :

ـ تقولين .. واجب ؟

تحولت ابنتى الى وقالت :

ـ نعم ... من الضرورى أن يتحمل شخص سليم مسئولية التصرف .

هز بويد كارنجتون راسه وقال :

ـ لكى يجد نفسه فى محكمة الجنايات بتهمة القتل.

ـ ليس بالضرورة . ثم انك اذا كنت تحب شخصا حبا حقيقيا فيجب ان تجازف .

تدخل نورتون بدوره وقال :

ـ ولكن هذه مسئولية كبيرة يا جوديث .

ـ لا أظن ذلك . ان الناس يخافون المسئولية اكثر

من اللازم . وهم يخففون آلام كلب مريض ، فلماذا لا يخففون آلام انسان مريض .

ــ ولكن الأمر مختلف تماما .

اجابت جوديث بلهجة الجد :

ــ نعم . لأنه أكثر اهمية .

قال نورتون :

انك تثيرين دهشتى .

وقال بويد كارنجتون :

ــ هل معنى هذا انك تقدمين على مثل هذه المجازفة ؟

ــ اظن ذلك ، فهى لا تخيفنى .

ــ اما أنا فلن افعل ذلك . لا يمكن ان نسمح للناس بالبت فى الحياة والموت .

قال نورتون :

ــ الواقع أن أكثر الناس لا يجدون الجرأة لتحمل مثل هذه المسئولية .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ونظر الى جوديث وقال :

ــ ولا اظن انك ستجدين هذه الجرأة اذا ما وجدت نفسك فى هذا الموقف .

اجابت ابنتى فى هدوء :

ــ لا يمكن التأكد من أى شيء حقا . ولكن اظن اننى سأجد هذه الجرأة .

ــ اننى اشك فى هذا . . . الا اذا كانت لكمصلحة شخصية .

اضطرب وجه جوديث واجابت فى حدة :

ــ ان ملاحظتك هذه تدل على أنك لا تفهم شيئا

أبدا . لو ان لى مصلحة شخصية فاننى لن استطيع أن أفعل شيئا .

ثم قالت تخاطبنا جميعا :

ـ من الضرورى أن يكون هذا العمل عاما وغير مغرض .

قال نورتون :

ـ ولو ... انك لن تفعلى هذا .

ـ بل افعل . فاننى قبل كل شيء لا أعتقد أن الحياة شيء مقدس كما يزعمون . يجب استبعاد الحياة التى لا فائدة منها والابقاء على حياة الاصحاء الذين يقدمون للمجتمع مساهمة فعالة .

وتحولت الى بويد كارنجتون وقالت :

ـ انك تشاركنى هذا الرأى ، أليس كذلك ؟

اجابها فى بطء :

ـ كمبدأ نعم . يجب الابقاء على الذين يستحقون .

عاد نورتون يقول :

ـ سوف يشاركك الجميع رايك .. أما من ناحية تنفيذه ..

قالت نورتون :

ـ ليس هذا منطقيا .

ـ هذا صحيح ما دامت مجرد مسألة شجاعة وجرأة ولكن اغلب الناس لن يجدوا الشجاعة اللازمة للاندفاع فى مثل هذه المغامرة . وأنا شخصيا أعتقد أنك سوف تفعلين مثلهم وانك لن تجدى الشجاعة اذا ما تعرضت لمثل هذا الموقف .

ـ هل تظن ذلك ؟

ـ بل اننى واثق .

تدخل بويد كارنجتون فقال :
ـــ أما أنا فأعتقد انك مخطىء يانورتون . ان جوديث لا تنقصها الشجاعة أبدا . ولحسن الحظ ان الموقف الذى تتكلم عنه نادر الحدوث .
ودق ناقوس داخل البيت فجأة فوقفت جوديث وقالت تخاطب نورتون :
ـــ انك مخطىء تماما ... ان لدى من الشجاعة اكثر مما تتصور .
ثم استدارت ومضت نحو البيت مسرعة وجرى بويد كارنجتون خلفها وهو يقول :
ـــ جوديث ... انتظرينى .
ومشيت نحو البيت بدورى ولا ادرى لماذا احسست بالضياع عندئذ . وقال نورتون محاولا مواساتى :
ـــ انك لا تتكلم بجد طبعا . وهذه نظرية يكثر الشباب الحديث عنها ولكنهم لا يضعونها موضع التنفيذ لحسن الحظ . كل هذا كلام فى الهواء .
وأظن ان جوديث سمعت قوله هذا لأنها أدارت رأسها اليه ورمته بنظرة غاضبة .
وخفت نورتون من صوته لكى يقول :
ـــ ولكن دعنا من النظريات الآن ... واسمعنى جيدا يا هاستنجز ... لا اريد أن أتدخل فيما لا يعنينى ولكن ماذا تعرف عن اللرتون ؟
ـــ وما دخل اللرتون فى هذه النظرية ؟
ـــ اغفر لى تطفلى .. ولكن لو اننى كنت مكانك لما تركت هذه الطفلة تصاحبه ... انه ... حسنا ... انه سىء السمعة .
قلت فى لهجة مريرة :

ــ اننى اعرف .. ولكن ليس من السهل فى أيامنا هذه ...

ــ أوه ... اننى أعرف . أن الفتيات يزعمن انهن يستطعن حماية أنفسهن . وهذا صحيح فى أغلب الأحيان ولكن ... ان لا اللرتون هذا طريقة خاصة .. لاتخيب ابـدآ .

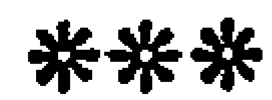
وتردد لحظة ثم استطرد يقول :

ــ من واجبى أن أحذرك طبعا ، وارجو ان لا تردد ما سوف أقول لك ... ولكن حدث اننى وقفت على قصة بغيضة فيما يتعلق به .

ورواها لى واستطعت أن أتحقق من صحتها فيمابعد، وهى قصة فتاة عصرية حرة معتدة بنفسها . وقد طبق اللرتون طريقته معها وبعد بضعة شهور أنتحرت بأن تناولت كمية كبيرة من الفيرونال .

وازعجنى ان تلك الفتاة تنتمى الى نفس النوع الذى تنتمى جوديث اليه .. فتاة حرة أبية اذا اعطت قلبها اعطته كله بطريقة لا تعرفها الفتيات الحمقاوات .

ورحت أتناول الغداء يخامرنى احساس بأن شـيئا بغيضا سوف يقع .



الفصل الثانى عشر

سألنى بوارو بعد ظهر ذلك اليوم بالذات :
ــ هل هناك ما يقلقك يا صديقى ؟

اكتفيت بأن هززت رأسى ، فقد أحسست بأنه لايحق لى أن ازعجه بمشكلة خاصة ، هذا فضلا عن أنه لم يكن باستطاعته أن يساعدنى بأية طريقة ، فانه حتى اذا عاتب جوديث فانها ما كانت الا لتبتسم تلك الابتسامة المترفعة آلتى تقابل بها الفتيات نصائح الشيوخ التى تثير ضجرهن .

ويتعذر على أن أصف بالضبط المشاعر التى تملكتنى فى ذلك اليوم ، ولكننى اذ افكر فى ذلك الآن أميل الى ان أعزو جزءا من مشاكلى الى الجو الذى كان مطبقا على قصر ستايلز ، فقد كان مكانا يومىء بأكثر الأوهام جنونا ، ولم يكن الماضى وحده هو السبب ، وآنما كان الحاضر هو الآخر نصيب فيه ثم انه كان هناك قاتل يقيم فيه ، والتهديد بوقوع جريمة قتل كان يحلق فوق رؤوسنا جميعا .

وبقدر ما استطعت أن أحكم كان اللرتون هو الجانى ، وجوديث ، ابنتى أنا وقعت فى هوآه . . . كان ذلك أمرا فظيعـــا ، مذهلا ولم أدر ماذا أفعل ؟

وبعد الغداء انتحى بى بويد كارنجتون مكانا وسعل فى ارتباك قبل ان يطرق الموضوع ، وقال أخيرآ فى صوت متقطع :
ــ لا تظن اننى أريد أن أتدخل فيما لا يعنينى ، ولكن

لو اننى كنت مكانك لحذرت ابنتى ... ان اللرتون له سمعة غير طيبة ويبدو ان جوديث ... مغرمة به .

ومن السهل أن ينطق كل امرىء بمثل هذا القــول اذا لم يكن له أولاد ... أحذر جوديث من اللرتون ؟ .. وما الجدوى مادمت قد فعلت ذلك من قبل ... بل ان الموقف سيزداد خطورة ... ولكن ... لو ان زوجتى مازالت بيننا ... لعرفت ما يجب أن تفعل وما يجب ان تقول .

والواقع اننى صممت ان لا أطرق هذا الموضوع مع ابنتى . ولكننى لم البث ان أدركت ان ذلك انما يعد جبنا منى ، ومع ذلك فقد ترددت والواقع هو اننى كنت خائفا من ابنتى الجميلة الأبية .

واخــذت أذرع الحديقة جيئة وذهابا وأنا فريســة لاضطراب شديد متزايد . وقادتنى قدماى حتى مزرعة الورد ، هناك احسست بالقرار يفلت من يدى فجأة ، اذا جاز لى هذا القول ، فقد كانت جوديث جالسة فوق مقعد وحدها ، وأظن اننى لم أر فى حياتى على وجه امرأة ما نظرة تعيسة كنظرتها هى . كان القناع قد سقط ، وكان اضطرابها وحيرتها ظاهرين لكل ذى عينين . وحزمت أمرى ومضيت اليها وقلت فى هدوء :

ــ جوديث ... بالله لا تزعجى نفسك هكذا .

وكانت غارقة فى أفكارها بحيث لم تسمعنى وأنا أقترب منها . وأخذتها الدهشة ورفعت رأسها سريعا وقالت :

ــ أوه ... بابا ... ماذا كنت تقول ؟

ــ أى ابنتى العزيزة .. لا تظنى أننى لا أســتطيع ان أفهم ... ولكن تأكدى انه لا يستحق كل هذا .

نظرت الى فى قلق وارتباك قبل ان تسألنى فى هدوء :
ـ هل تعرف عم تتكلم حقا ؟
ـ نعم .. اننى أعرف . انك تحبين هذا الرجل .. ولكن هذا أمر غير حكيم يا ابنتى .

لاحت على شفتيها ابتسامة انفطر لها قلبى واستطردت اقول :

ـ جوديث ... ان هذا مستحيل ... ولن ينتج عنه اى خير ... انه رجل متزوج ، ولا يمكن ان يصيبك من كل هذا الا الأسى والعار .

ازدادت ابتسامتها ولكنها بقيت على هدوئها وقالت :
ـ لعمرى انك تجيد الكلام ...
ـ كفى عن اهتمامك به ياجوديث .
ـ كلا .
ـ اقول لك انه لا يستحق كل هذا .
قالت فى بطء وهدوء :

ـ انه لى كل شيء فى الدنيا .

ـ جوديث .. ارجوك .

اختفت الابتسامة من شفتيها وصاحت وهى تهب غاضبة :

ـ كيف تجرؤ وتتدخل فى شئونى ؟ .. لا تكلمنى فى هذه المسألة بعد . اننى اكرهك .. اكرهك .. ان هذا لا يعنيك .. فهى حياتى انا .

ودفعتنى بذراعها وانفلتت هاربة . ونظرت اليها وهى تبتعد وتركتنى منهارا تماما .

ـ ٢ ـ

كنت لا ازال واقفا مكانى مشدوها لا أستطيع التفكير عندما ظهرت مس كول ونورتون بعد ربع ساعة من ذلك .

وقد عاملانى بكل ظرف ، كما ادركت فيما بعد ، وكانا قد أدركا على الفور طبعا اننى كنت مضطربا .. ولكنهما كانا من اللباقة بحيث لم يشيرا الى ذلك واقترحا على أن أنضم اليهما فى نزهتهما . وكان كل منهما يعشق الطبيعة . واهتمت اليزابيث كول بأن تريني الأزهار البرية التى كنا نلتقى بها فى حين راح نورتون يريني العصافير من خلال منظاره المكبر . وشيئا فشيئا عاد الى هدوئى ، فى الظاهر على الأقل لأننى كنت لا ازال منزعجا جدا فى قرارة نفسى ، ثم أننى كنت اعتقد ، كما يحدث لى عادة ، أن كل ما حدث انما كان سببه حالتى الذهنية عندئذ .

وفجأة صاح نورتون وهو ينظر من خلال منظاره :

ـ يا الهى .. اليس هذا أبو منقـــار .. ولكن .. عجبـــا !

وأمسك وهو ينظر الى نظرة غريبة ، وخامرنى الشك على الفور فمددت يدى نحو المنظار وقلت فى لهفة :

ـ دعنى أرى .

ولكنه تشبث به فى انفعال وقال مترددا وفى لهجة استغربتها شيئا ما :

ـ أظن .. أظن أننى أخطأت .. انه طار ..

والواقع أنه كان عصفورا عاديا .

وكان قد اعتراه الشحوب وراح يتحاشى النظر الى وقد تملكته الحيرة . وكنت واثقا أنه صمم على لا يدعنى

ارى ما رآه . وكان قد سدد منظاره الى غابة صغيرة على مسافة لا بأس بها . وعدت اقول:

ــ دعنى ارى .

وامسكت بالمنظار وانتزعته من يده . وتخلى عنه مكرها وهو يتمتم :

ــ الواقع .. انه ولكن .. لقد طار .. كنت اريد ..

ورفعت المنظار بيدين مضطربتين . وكان قويا . ونظرت الى المكان الذى كان ينظر اليه ، ولكننى لم أر شيئا فيما عدا ثوب ابيض اللون لامرأة .. وكان يختفى فى تلك اللحظة بالذات بين الأشجار .

وخفضت المنظار ، واعدته الى صاحبه دون أن انطق وبدأ لى أنه يتحاشى النظر الى . ومهما يكن فقد كان بادى الحيرة والجزع .

وعدنا الى البيت فى صمت .

ــ ٣ ــ

عادت مسز فرانكلين هى وبويد كارنجتون بعدنا بقليل ، وكانا بعد أن فرغا من مهمتهما فى كناتون قد مضيا الى تادمنستر حيثاشترت المرأة الشابة بعض الأشياء التى تريدها . واعترف بأنها تدبرت أمرها جيدا لأنها أخرجت من السيارة عددا كبيرا من الأكياس

كانت شديدة المرح ، وراحت تضحك بدون انقطاع وقد توردت وجنتاها لفرط الانفعال . واعطت لبويد كارنجتون كيسا يحتوى على شىء هش وتطوعت أنا وحملت عنها بعض الاكياس وقالت :

ــ أن الطقس حار جدا اليوم واظن أن هناك عاصفة

على وشك الهبوب . وسمعت ان المياه قد تنقطع .. لو صح هذا فانه ليكون أمرا فظيعا .. فأننا لم نر مثل هذا الجفاف منذ سنوات .

وكانت تتكلم بأسرع مما تعودت وتبدو شديدة الانفعال وقالت تخاطب اليزابيث كول :

ــ ماذا فعلتم بعد ظهر اليوم ؟ .. واين جون ؟ .. كان يشكو من الصداع وكان يريد أن يقوم بجولة .. لم اره يشكو من الصداع من قبل ، وأظن انه شـــديد القلق من أجل تجاربه فهى لا تتقدم كما كان يريد .. اود لو ان أعرف المزيد عن أعماله .

ثم تحولت الى نورنون وقالت :

ــ انك صحوت اليوم . هل هناك شىء على غير ما يرام ؟ .. يبدو عليك الانزعاج ، اتكون قد رأيت شبح امرأة ؟

اجفل نورتون وقال :

ــ كلا .. كلا .. لم ار أى شبح . وانما كنت أفكر فى بعض الأمور .

وفى نفس اللحظة ظهر كورتيس بعتبة الباب وهو يجر العربة التى يجلس فيها بوارو . وتوقف فى البهو وتأهب لكى يحمل سيده الى الطابق الأول . ولكن المخبر السرى حدجنا فجأة وقد استيقظ اهتمامه وقال :

ــ ما الخبر ؟ .. هل هناك شىء ؟

ومرت لحظة صمت . واجابته مسز فرانكلين وهى تضحك ضحكة قصيرة مفتصبة :

ــ ابدا يا مستر بوارو ؟ .. ولماذا تريد أن يكون هناك اى شىء ؟ .. لعلها العاصفة التى تقترب .. يا الهى ! .. أشعر بأننى متعبة جدا .. كابتن هاستنجز

.. هــل لك أن تحمل عنى هــذه الاكياس ؟ .. ما اظرفك ! .. شكرا لك .

وارتقيت الدرج خلفها ، وكانت غرفتها تقع فى آخر الجناح الغربى وفتحت الباب . وما كادت تفعل حتى توقفت فجأة على العتبة ووقفت انا خلفهــا ويداى محملتان بالاكياس .

كانت مس كرافن واقفة بجوار النافذة وتمسك بكف بويد كارنجتون وتنظر اليه فاحصة ورفع بويد رأســه وضحك مرتبكا وقال :

ــ ان مس كرافن تقرأ لى كفى .. انها قارئة كف ممتازة .

قالت بربارا فرانكلين فى لهجة جافة :

ــ حقا .. لم أكن أعرف ذلك .

وبدا لى انها قد استاءت لسلوك الممرضة وتأملتها لحظة فى صمت ثم قالت :

ــ هل لك ان تأخذى هــذه الاكياس من الكابتن هاستنجز ثم اعدى لى كوبا من اللبن . اننى متعبة واعدى لى بعض زجاجات من المــاء الساخن فسأنام على الفور .

ــ حسنا يا سيدتى .

وتقدمت الممرضة لكى تأخذ منى الاكياس . وكان وجهها جامدا لا ينم عن أى شىء .

وقالت مسز فرانكلين :

ــ بيل .. أرجوك ان تنصرف ، فاننى متعبة .

بدأ القلق على بويد كارنجتون وقال :

ــ هــل ارهقتك هذه الرحــلة يا بابس ؟ .. ما أغبانى ! .. كان يجب ان أحرص على راحتك .

رمته مسز فرانكلين بابتسامة ملائكية حزينة وقالت :

ــ لم أشأ أن أقول شيئا ، فأنت تعرف اننى لا أحب ان اتسبب فى ضجر اى أحد .

وتمنيت لها ليلة طيبة وغادرت الغرفة برفقة بويد كارنجتون . وقال هذا الأخير عندما خرجنا الى الطرقة .

ــ ما أغبانى ! كانت بريارا شديدة الحيوية والمرح بحيث نسيت حالتها الصحية . ارجو أن تكون فى حالة أحسن غدا .

قلت فى لهجة ميكانيكية :

ــ سوف لا تشعر بأى شىء بعد أن تستريح الليلة .

ومضى نحو السلم . وبعد لحظة تردد اجتزت الطرقة الطويلة المؤدية الى الجناح الآخر ولأول مرة مضيت الى بوارو على مضض تقريبا . فقد كانت تدور برأسى اشياء كثيرة وكنت لا أزال أحس فى جوف معدتى بذلك الضيق الذى أحسست به اثناء حديثى مع جوديث .

وبينما كنت أمر بغرفة اللرتون سمعت أصواتا بالداخل . ولا أظن اننى تعمدت ان أسمع ولكننى مع ذلك توقفت لحظة ، وفجأة انفتح الباب وظهرت جوديث . وتسمرت فى مكانها وهى ترانى فأخذتها من ذراعها وجررتها دون أية كلمة الى غرفتى . واحسست فجأة بغضب شديد يجتاحنى ، وصحت :

ــ ما معنى ان تذهبى الى غرفة هذا الرجل ؟

حدجتنى فى برود دون ان يظهر عليها أى غضب ولزمت الصمت فهززتها من ذراعها وقلت :

ــ لا أريد شيئا من هذا .. هل تسمعينى ؟ .. الا تدركين معنى لما تفعلين هذا جنون .

أجابت فى لهجة لاذعة :

ــ يبدو ان عقلك معوج .

ــ هذا بالطبع نوع اللوم الذى يروق لجيلك ان يوجهه الى جيلى . ولكننا على الأقل أكثر منكم تحفظا واعتدالا ، كما أننا نحترم المبادىء الأولية . افهمينى جيدا يا جوديث . . اننى امنعك منعا باتا من مخالطة هذا الرجل .

ــ أخيرا . . عرفت موقفي الآن !

ــ هل تنكرين انك مغرمة به ؟

ــ اننى لا أنكر شـيئا .

ــ انك لا تعرفين حقيقته . . لا يمكن أن تعرفى ذلك .

وفى هدوء وبكل صراحة أعدت عليها القصة التى رواها لى بويد كارنجتون ، واختتمت حديثى قائلا :

ــ هل عرفت حقيقة هذا الوحش القذر الآن ؟

ــ أؤكد لك أننى لم أكن اظن أنه قديس ابدا .

ــ الا يحملك ما قلت لك على التفكير يا جوديث ؟ . . لا يمكن أن تكونى فاسدة الخلق الى هذا الحد .

ــ قل ما تشاءَ . . فلا يهمنى ذلك .

ــ جوديث . . انك لم . . لست . .

واحسست بأننى لا أستطيع التعبير عما أريد . وكنت ممسكا بيدها فتخلصت منى فى حركة عنيفة وقالت :

ــ اسمع يا بابا . . أننى افعل ما يروق لى فلا داعى لأن ترعد وتحاول ارهابى . سأفعل بحياتى ما اشاء ولن تمنعنى أنت من ذلك .

وبعد لحظة كانت قد انفلتت هاربة من الغرفة .

وأحسست بركبتى تضطربان فتهالكت فوق مقعد وقد بلغ بى الأمر أسوأ ما تصورت . كانت هذه الطفلة مفتونة به تماما ، ولم يكن أمامى من الجأ اليه ،

والشخص الوحيـــد الذى كان يمكن ان يفرض عليها سلطانه هى أمها وقد ماتت .

ولا أظن أننى تألمت فى حياتى كلها بقدر ما تألمت فى تلك اللحظة .

ــ ٤ ــ

خرجت من جمودى بعد لحظة فاغتسلت وحلقت ذقنى ثم استبدلت ثيابى وهبطت لتناول العشاء . ويبدو أننى تصرفت تصرفا عاديا تقريبا لأن أحدا لم يلحظ اضطرابى . ورأيت جوديث تنظر الى مرة أو مرتين نظرة غريبة ولا ريب انها دهشت اذ رأتنى قمينا باخفاء مشاعرى ومع ذلك وفى قرارة نفسى كنت أغلى من الغضب ومصمما على العمل ، ولم أكن بحاجة الا الى الشجاعة والدهاء .

وبعد العشاء خرجنا الى الحديقة ، وبينما كنا نتكلم عن الطقس وعن العاصفة التى تهدد بالهبوب رأيت من ركن عينى جوديث تختفى خلف احدى زوايا البيت ، وبعد دقيقة مضى اللرتون فى نفس الاتجاه فى غير اكتراث

وفرغت مما كنت أقـــول لبويد كارنجتون وابتعدت بدورى . وأمسكنى نورتون من ذراعى وحاول ان يوقفنى مقترحا ان نمضى فى جولة حتى مزرعة الورد ولكننى لم أصغ اليه . ومع ذلك فقد كان لا يزال الى جوارى عندما بلغت زاوية البيت .

كانا هناك .. رأيت جوديث ترفع وجههـــا والرجل ينحنى فوقها ويجذبها اليه ويقبلها ولكنهما انفصلا فجاة .

وتقدمت خطوة الى الامام . ولكن نورتون امسكنى من يدى من جديد جرنى الى الخلف وقال :

ــ هلم بنـــا . . لا يمكن أن . .

قاطعته فى حـــدة .

ــ آه . هل تعتقد هـــذا ؟

ــ لا فائدة يا صديقى . . هذا شىء مكرر لايمكنك التدخل اطـــلاقا .

لم اجب . ولعله كان يعبر عن نظريته العميقة ولكن لم اكن استطيع ان انضم الى رايه . واستطرد يقول :

ــ اننى اعرف مبلغ ما يحس به المرء من الاستياء فى مثل هذه الظروف ، ولكن الشىء الوحيد الذى نستطيع عمله هو الاقرار بالهزيمة .

لم احاول أن اعارضه ، والقيت نظرة اخرى الى حيث يقفان . ولكنهما كانا قد اختفيا . غير انى كنت اعرف اين ذهبا . . بجوار المستنبت الذى يقع خلف الأشجار . واقتربت من المكان فى صمت واعتقد أن نورتون كان يتبعنى ولكننى لم اكن على يقين من ذلك ولم البث أن سمعت اللرتون يقـــول :

ــ حسنا يا عزيزتى . اتفقنا ولا اعتراض اذن . . ستذهبين الى لندن غداً أما أنا فسازعم اننى ذاهب الى السويد لكى اقضى يوما أو يومين عند صديق لى هناك وعليك أن تتصلى بالتليفون ليلا وان تقولى انك لن تستطيعى العودة ولن يشك أحد عندئذ انك ستتناولين العشاء معى فى مسكنى ، واعدك انك لن تندمى على شىء .

ومرة أخرى احسست بنورتون يشدنى من كمى . واستدرت وتركته يجرنى حتى البيت دون أن احتج متظاهرا بتقبل الأمر الواقع ، ولكننى كنت أعرف ماسوف اقدم عليه . . وقلت :

ــ لا تقلق .. انك على حق .. لا يمكن ان نتحكم فى حياة ابنائنـــا .

ولاحظت انه تنهد فى ارتياح وقلت له اننى اشـعر بصداع واننى ذاهب لكى انام ، وبهذا لم يكن بمقدوره ان يشك فى شىء .

ــ ٥ ــ

توقفت فى الطرقة لحظة . كان كل شىء هادئا . ولم يكن هنا احد . وكانت غرفة نورتون تقع فى نفس الجناح ولكنه كان يلعب البريدج مع مس كول ، وكان كورتيس يتناول العشـاء ، وكان الجو امامى خاليا اذن .

واعتقد اننى اكتسبت خبرة كبيرة فى عملى مع بوارو طوال هذه السنين ، بحيث اننى اصبحت اعرف جيدا الاحتياطات التى لابد لى من اتخاذها .

لن يلتقى اللرتون بجوديث فى لندن غدا ، ولن يلتقى بها فى اى مكان آخر . كان الأمر بسيطا جدا .

ودخلت غرفتنى واخذت انبوبة الاسبيرين ثم تسللت الى غرفة اللرتون ومنها الى الحمام . وكانت الأقراص المخدرة فى مكانها المعتاد . وقلت لنفسى ان ثمانى اقراص تفى بالغرض تماما . واخذت الأقراص الثمانية من القنينة ووضعت بدلها ثمانية اقراص من الاسبيرين ثم اعدت القنينة مكانها بعد أن مسحتها بمنديلى لكى ازيل بصـــماتى .

وعدت الى غرفتى واخرجت زجاجة الويسكى وكأسين ولم أكن رايت اللرتون يرفض كأسا أبدا ونويت أن اقترح عليه أن يتناول كأسا معى عندما يصعد .

واذبت الاقراص فى قليل من الويسكى وذقت طعمه فى حذر . كان مرا بعض الشىء عن الويسكى المعتــاد ولكن مرارته لم تكن لتلحظ تقريبا .. سأتظاهر بأننى املأ الكأس عندما يدخل اللرتون معى ثم أقدمه له ، واصب لنفسى كأسا آخر . كان ذلك شيئا طبيعيا تماما .

وما كان ليستطيع أن يشك فى نواياى الا اذا كانت جوديث قد حدثته عما كان بيننا . وفكرت فى الأمر لحظة ولكننى ايقنت انه ليس هناك ما اخشاه لأن جوديث لا يمكن أن تكون قد اطلعته على شىء . وما كان فى مقدوره ان يخمن اننى على علم بمشروعاته من أجل الغد ، ولم يكن أمامى الا أن انتظر . وكان لابد لى ان اتجمل بالصبر لأن اللرتون لم يكن يأوى الى فراشه مبكرا أبدا . وجلست فى مقعدى ورحت انتظر .

واجلفت شيئا ما وانا اسمع طرقة على الباب . كان الطارق كورتيس وقد اقبل لى يقول لى ان بوارو يريدنى .

واستعدت هدوئى على الفور .. بوارو .. لم اكن قد فكرت فيه طوال الليل ..... ولا ريب انه تســاءل ما الذى جرى لى . وقد ازعجنى ذلك قليلا لأننى شعرت أول شىء بالخجل لأننى لم اذهب اليه ولأننى لم أشــا ان اثير ظنونه ثانيا . ومع ذلك فقد تبعت كورتيس .

وصاح بوارو بمجرد أن رآنى :

ــ حسنا .. يبدو انك هجرتنى وتظاهرت بأننى اتثاءب واغتصبت ابتسامة وقلت :

ــ أننى آسف جدا ولكننى أحس بصداع شديد ولا استطيع ان افتح عينى الا بشق النفس .

وكما توقعت اظهر بوارو اهتماما كبيرا وعرض على بعض الادوية . وابدى كثيرا من القلق واتهمنى بأننى

-- تعرضت للتيار خاصة وأن اليوم كان شديد الحر . ورفضت الاسبرين الذى عرضه على قائلا اننى تناولت بعضا منه ولكن لم يكن يسعنى الا أن اقبل قدحا من الشيكولاته المحلاة وقدمه الى وهو يقول :

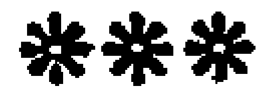
ــ انها مهدئة للاعصـــاب .

وازدردت الشراب دون نقـــاش ثم اســـتأذنته فى الانصراف ، وعدت الى غرفتنى واغلقت الباب علانية ، ولكننى واربته بعد ذلك على الفور لأننى لم أشأ أن اجازف بأن يفلت منى اللرتون عندما يصعد . ولكن كان لابد لى من الانتظار وقتا آخر .

وعدت فجلست على مقعدى ورحت أفكر فى زوجتى ودهشت وأنا اسمع نفسى اقول بعد لحظة .

ــ انك تفهمينى يا عزيزتى .. يجب أن انقذها .

فقد تركت جوديث فى رعايتى ولم يكن يحق لى أن أخفق فى مهمتى . وفى هدوء وصمت الليل بدا لى أن زوجتى التى أحببتها كل الحب كانت على مقربة منى . وبقيت مكانى انتظر .



الفصل الثالث عشر

— ١ —

نمت وانا انتظر اللرتون ، ولم يكن هذا بمستغرب بعد الليلة السابقة التى لم أذق فيها طعم النوم تقريبا . ثم اننى كنت قد بقيت فى الهـــواء الطلق طوال اليوم وأرهقنى القلق والتوتر . ومهما يكن فقد غلبنى النوم وانا جالس فى مقعـــدى . وعنـــدما استيقظت كانت الشمس قد ارتفعت فى كبد السماء والعصافير تزقزق فوق الأشجار . وكنت متيبسا متقززا . ولكننى شعرت بارتياح كبير على الرغم من ذلك وصفا ذهنى وادركت اننى كنت مخطئا فى تقديراتى واننى فقدت كل الأبعاد الى حد اننى كنت أنوى الاقدام على جريمة قتل .

ووقعت عيناى على كأس الويسكى فسرت الرعشة فى بدنى ونهضت واخذته والقيت به من النافذة . وبعد ان حلقت ذقنى واغتسلت مضيت الى بوارو ، وكنت اعرف انه يبكر فى الصحو ، ورويت له القصة . ويجب ان اعترف باننى أحسست بارتياح كبير وانا أفعل ذلك .

وقال وهو يهز رأسه فى هدوء :

— آه . . ما هذه الحماقة ايسرنى انك لم تفعل شيئا مما كان يدور فى ذهنك . ولكن لمـــاذا لم تقل لى شيئا أمس ؟

— ذلك اننى كنت مقتنعا بأنك ستثنينى عن غرضى .

ــ هذا صحيح .. هل كنت تظن اننى سأدعك تقضى ايامك فى السجن بسبب وغد حقير كالميجور اللرتون !

ــ ما كانوا ليشتبهوا فى أمرى فقد اتخذت احتياطاتى ؟

ــ هكذا يعتقد كل المجرمين . ولكن دعنى اقول لك يا صديقى انك لم تكن ذكيا كما كنت تعتقد .

ــ اننى ازلت بصماتى عن قنينة الأقراص المنومة .

ــ تماما . وازلت بصمات اللرتون فى نفس الوقت وما الذى كان يحدث لو أنهم وجدوه قتيلا ؟ .. كانوا سيقومون بتشريح الجثة ويتكشفون انه مات نتيجة لتناوله أقراصا منومة .. ويكتشفون كذلك ان بصماته ازيلت من القنينة ، ولم يكن من المعقول ان يزيلها هو نفسه قبل موته وعندئذ يحللون الأقراص الباقية ويجدون أن نصفها تقريبا قد استبدل بأقراص من الاسبيرين . وسيجدون عندئذ ان اللرتون كان يلاحق ابنتك وأنك تشاجرت مع ابنتك أمس لهذا السبب وسيشهد شخصان هما بويد كارنجتون ونورتون بأنك كنت تضمر الشر للرتون .. كلا يا هاستنجز . ما كان الأمر ليمر بسلام . وكان المحققون سيولونك كل اهتمامهم ، وفى اثناء ذلك يكون الخوف وتبكيت الضمير قد أحدثا فعلهما فى نفسك بحيث يفهم رجال البوليس على الفور انك انت الجانى . ومن ناحية أخرى من الجائز أن يكون احدا قد رآك من ثقب المفتاح وأنت تعالج قنينة الأقراص .

ــ هذا مستحيل .. لم يكن بالمكان احد . ثم ان

الناس لا تقضى وقتها فى التجسس من ثقب الباب كما تقــول :

اطبق بوارو عينيه وقال :

ــ انك ساذج جدا .. دعنى اقول لك أنه تدور بهذا البيت أمور غريبة فيما يتعلق بالمفاتيح . وانا أحرص دائما على أن أغلق بابى بالمفتاح على الرغم من وجود كورتيس فى الغرفة المجاورة . وقد حدث بعد قدومى هنا بقليل ان ضاع مفتاحى واضطررت أن أصنع مفتاحا آخــر بدله .

قلت وانا اتنهد فى ارتياح :

ــ مهما يكن فلم يحدث شيء .. من العجيب ان يثور الانسان بسهولة هكذا ، ولكن قل لى ماذا يجب أن أفعل فيما يتعلق بجوديث واللرتون .. يجب أن نوقف هذا الأمر بكل طريقة .

قال صديقى :

وماذا يمكن أن نفعل ؟ ان جوديث ليست طفلة ، ولها كل الحرية فيما تفعل . ولا تتصور أنك من الذكاء أو القوة بحيث تفرض ارادتك عليها وعلى اللرتون . لا شك أنه كانت للرتون مواقف مشابهة مع كثير من الآباء الثائرين ، ونصيحتى اليك هى لو كنت مكانك لوثقت بهــا .

نظرت اليه فى دهشة كبيرة فقال :

ــ ان جوديث ابنة عنصرها طيب واننى أعجب بها كثيرا ولا خوف عليها مطلقا ، فهى تعرف كيف تميز بين الخير والشر .

قلت في ضعف :

ــ انا ايضا اعجب بها ولكنها تخيفني جــدا .

هز بوارو راسـه وقال :

ــ وتخيفني انا ايضا ، ولكن ليس بنفس الطريقة .. نعم ، انني خائف .. ولا أستطيع ان افعل شيئا ، فان الأيام تمر والخطر يقترب يا هاستنجز .

ــ ٢ ــ

وانا الآخر كنت أعرف أن الخطر قريب . وكان لدى من الاسباب ما يحملني على هذا الاعتقاد بسبب الحديث الذى سمعته بالأمس . ولكنني اخذت افكر في الملاحظة التي ابداها بوارو وانا أهبط الســلم لتناول طعــام الافطار : لو انني مكانك لوثقت بها .. !

كانت هذه العبارة قد احدثت في نفسي اثرا طيبا ، ولم البث أن ادركت ما فيها من حكمة لأنه يبدو أن جوديث تخلت عن نيتها في الذهاب الى لندن اليوم لأنها بعد ان فرغت من طعام الافطار مضت الى المعمل برفقة الدكتور فرانكلين . وبدا من تصرفهما انهما ينويان قضاء اليوم كله في المعمل .

واحسست بارتيــاح كبير يغمــر كياني .. كيف استطعت ان اكون أحمق الى هذا الحد بحيث اعتقدت ان جوديث قبلت اقتراح اللرتون . وادركت الآن انني لم أسمع موافقتها على اقتراحه بالأمس .. كلا . فهي شريفة وصريحة بحيث لا تقدم على مثل هذا العمل . ولا ريب أنها رفضت ان تذهب الى الموعد .

ولكننى علمت ان اللرتون تناول طعامه مبكرا جــدا ثم مضى الى انه يعتقد ان جوديث ستوافيه فى لندن .. سوف يخيب أمله .

واقبل بويد كارنجتون فى هذه اللحظة ، وكان عابس الوجه وقال لى اننى أبدو مرحا فأجبته :

ــ نعم .. فقد سمعت أنباء طيبة .

واجابنى بأنه لا يستطيع ان يقول هذا القول فقــد جاءته مكالمة مزعجة من احد المهندســين كما جاءته خطابات اثارت جزعه . ثم أنه كان يخشى ان يكون قد ارهق مسز فرانكلين فى نزهة الأمس .

اما مسز فرانكلين فبقدر ما بدت مرحة بالأمس بقدر ما اصبحت عصبية اليوم . أو هذا ما قالته مس كرافن فان المرضة اضطرت ان تلغى اجازتها ، وكانت تنوى قضاءها عند بعض الأصدقاء ، وأصبحت هى الأخرى عصبية وحادة المزاج بســبب ذلك فقد راحت مســز فرانكلين تطالبها منذ الفجر بالأملاح وبزجاجات المــاء الساخن ولم توافق على أن تبتعد مس كرافن عنها لحظة واحدة واخذت تشكو من اعصابها وقلبها وتشنجات فى ساقيها وغير ذلك .

ويجب أن ابادر فأقول أن احدا لم ينزعج حقا ، فقد وضعنا كل ذلك على ميول المرأة الشابة ونزواتها . وكانت مس كرافن والدكتور فرانكلين من نفس الرأى . وقد اسرعوا الى هذا الأخير فى معمله ، وقد اصغى الى شكاوى زوجته ثم سألها أن كانت تريد أن يستدعى لها طبيبها المعالج فرفضت وعندئذ أعد لها دواء مسكنا وطمأنها بقدر المستطاع ثم عاد الى معمله .

وقالت مس كرافن :

ــ انه يعرف انها تتصنع المرض طبعا .

ــ الا تعتقدين انها مريضة حقا .

ــ ان حرارتها عادية ونبضها منتظم .. احابيل كل ذلك .

كانت المرضة شديدة الانفعال ، وقد تخلت عن حرصها العادى واستطردت :

ــ يحلو لها ان تمنع الناس من اللهو وتريد أن يقلق زوجها عليها وان ينزعج باستمرار ، وان ادور انا حولها بدون انقطاع . ويجب أن تقنع سير ويليام أيضا بأنه ليس الا وحشا لأن نزهة الأمس اتعبت « سعادتها »
وكان من الواضح أن مس كرافن تشعر بالكراهية نحو مريضتها الآن .

وقد افترضت ان مسز فرانكلين اظهرت قسوة كبيرة نحوها لانها كانت من تلك القسوة اللاتى لا تطيقهن الممرضات ولا الخــدم .

وقد تضايق بويد كارنجتون عندما سمع ذلك واحس بعقدة الذنب . ولا ريب أنه خطر له انه ارهق المرأة الشابة بالأمس اكثر مما يجب وقد صعد مرتين لاستقاء ابنائها ولكن استقبلته مس كرافن ، ولم تكن هى نفسها فى حالتها الطبيعية فلم تحسن استقباله . وذهب الى القرية بعد ذلك واشترى علبة من الشكولاته وارسلها الى مسز فرانكلين ولكن مس كرافن اعادتها اليه قائلة ان مسز فرانكلين تكره الشكولاته .

وفتح العلبة وهو محزون وعرضها علينا .

وحتى نورتون كان شارد الذهن أكثر من العادة وقد قطب جبينه أكثر من مرة ، وكان يحب الشكولاته وقد التهم منها عددا لا بأس به وهو ضائع فى أفكاره .

وكان الوقت قد تعكر ، وراح المطر يهطل كالسيل ابتداء من الساعة العاشرة . وعند الظهر جاء كورتيس ببوارو الى الصالون وراحت اليزابيث كول تعزف على البيانو مقطوعات لباخ وموزآر .

وعاد فرانكلين وجوديث من المعمل فى نحو الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة ، وكانت ابنتى شاحبة اللون ومرهقة والقت نظرة مبهمة حولها كما لو كانت ضائعة فى حلم بعيد ثم مضت دون أن تنطق بكلمة . وجلس فرانكلين معنا وبدأ هو الآخر متعبا وقلقا . واتذكر اننى نطقت ببضع كلمات عن المطر وارتطم الدكتور بالمائدة وانقلبت علبة الشكولاته فقال فى دهشة :

ــ اوه ، معذرة .

وانحنى والتقط قطع الشكولاته . وسأله نورتون هل كان يومه متعبا فقال وهو يبتسم :

ــ اوه . كلا . . كلا . . ولكننى ادركت الآن اننى اخطأت . يجب ان نجد طريقة اسرع واسهل ، وسنستطيع ان نبلغ الغاية قدما بعد ذلك .

وراح يتأرجح فوق ساقيه وهو شارد النظر وعاد يقول :

ــ نعم . هذه افضل طريقة .

ـ ٣ ـ

ومضى النهـار ونحن نعانى من الانفعـال وسقطت الشمس بعد الظهر ولكن الطقس كان لا يزال رطبا ، وهبطت مسز لوتريل وعاونوها على الجلوس فى الشرفة وكانت فى صحة جيدة وبدت أكثر فتنة وأقل خشونة عن ذى قبل وراحت تداعب زوجها فى رفق وود .

وكان بوارو قد هبط هو الآخر ، وكان معتدل المزاج . واغتبط وهو يرى الزوجين على اتم ما يكون من الوفاق والوئام . وبدا أن لوتريل قد صغر عدة سنوات . وبدا سعيدا مغتبطا ، بل انه اقترح أن يلعبوا البريدج وقال :

ـ ان ديزى تتلهف للعب .

واعترفت مسز لوتريل قائلة : هذا صحيح .

وأردفت تقول وهى تغمز بعينيها فى خبث : ولكننى لن ألعب غير دور واحد ولن أهاجم جورج .

وضحك الجميـع واستطردت تقول : أوه .. أننى أعرف عيوبى . ولكننى كبرت الآن ولن أستطيع أصلاحها ويجب أن تحتملونى كما أنا .

تأملها الكولونل لحظة فى شىء من الغباء . واذ رأينا حسن العلاقات الزوجية بينهما أخذنا نتكلم عن الزواج والطلاق . وتشعب الحديث بيننا وانقسمنا الى فريقين فريق يؤيد الطلاق والآخر لا يحبذه على الاطلاق . وعلى الرغم من اننى كنت سعيدا جدا فى زواجى فقد انضممت الى أنصار الطلاق معللا انضمامى اليهم أنه فيه متنفسا للزوجين وانهما يستطيعان الانفصال اذا اتضح لهما أن

تجربة الزواج فاشلة لكي يبدا كل منهما حياته من جديد وعلى أساس جديد . ولكن فرانكلين لم يشاركني رأيي هذا وقال أن الزواج عقد اذا ما ربط بين زوجين فلايجب فصمه بأي حال من الأحوال لأن فصمه سيردى حتما الى ضياع المجتمع وتفككه وأردف يقول :

ــ ان الرجل اذا ما اختار زوجته أصبح مسئولا عنها حتى يفرق بينهما الموت .

ضحك نورتون ضحكة قصيرة وقالت : وهو فراق يأتى أحيانا على الرحب والسعة .

قال بويد كارنجتون : لا يمكن أن تدلى برايك فى هذه المسألة يا عزيزى ما دمت لم تتزوج قط .

هز نورتون رأسه وقال : هذا صحيح . وقد فاتنى القطار الآن .

نظر بويد كارنجتون اليه ساخرا وقال : هل انت واثق . . ؟

وانضمت اليزابيث كول الينا فى هذه اللحظة . ولاادرى هل كان هذا وهما منى او ان نظرة بويد كارنجتون انتقلت من نورتون الى هذه المرأة الشابة . وخطرت ببالى فكرة جديدة عندئذ ورحت أراقب مس كول فى اهتمام أكبر . كانت لا تزال شابة جميلة فى نفس الوقت . والواقع انني وجدتها مخلوقة فاتنة ورقيقة من الممكن أن تتسبب فى اسعاد رجل وتذكرت أنها هى ونورتون قضيا بعض الأوقات معا فى هذه الأيام الأخيرة ، وتذكرت أنها حدثتنى عن نورتون فى عبارات كلها اعجاب .

ولو أن الامور بينهما كما اتصور حقا فانني اشعر بالسرور من أجلها فان شبابها الحزين الكئيب لن يقف حائلا بينها وبين سعادتها المقبلة ولن تروح المأساة التى حطمت حياتها عبثا . وفيما أنا أتابعها ببصري خيل لى انها اكثر مرحا وسعادة مما رايتها فى اليوم الذى قدمت فيه لأول مرة . . اليزابث كول ونورتون . . ؟ نعم ، لم لا . ؟

ولكننى احسست فجأة بشعور مبهم من القلقوالضيق فليس من الخير ولا من الحرص اقامة مشاريع سعادة هنا . .كان فى جو قصر ستايلز شيء غير سليم كنت لاازال احس به حتى هـذه اللحظة . واحسست فجاة بأننى شخت واصابنى الوهن وبأننى خائف أيضا .

غير أن هذا الاحساس لم يلبث أن اختفى بعد لحظة . ولا أعتقد ان احدا لحظ ما بى فيما عدا بويد كارنجتون الذى اقترب منى بعد دقائق وسألنى قائلا :

ـ اهناك شيء على غير ما يرام يا هاستنجز ؟

قلت فى غير اكتراث بقدر ما أستطيع : كلا . . ولكن لماذا هذا السؤال ؟

ـ يخيل لى أنك تبدو . . يا الهى . . لا ادرى ماذا اقول . . ؟

ـ آه . . لعله شيء من التوجس . واحساس بأن شيئا سوف يقع . .

ـ هذا غريب . . انا أيضا احسست بهذا الاحساس مرتين أو ثلاثا . . ولكن ماذا يمكن أن يقع ؟

واخذ يحدق فى وجهى فى اهتمام كما لو كان يتوقـع أن يجد فيه ردا على سؤالى . واكتفيت بأن هززت راسى

لان احساسى لم يكن يقوم على اى اساس فى الواقع ، ولعله لم يكن الا نتيجة للاكتئاب والخوف الغامض الذى كان ينتابنى من وقت لآخر .

وخرجت جوديث من البيت فى خطوات بطيئة ، وكانت رافعة الراس مطبقة الشفتين وقد ارتسمت على شفتيها امارات الجد ، وبدت بعيدة كل البعد عن أمها وعنى .. كانت أشبه باحدى كاهنات الوثنيين .. ومضت فى صمت فجلست بجوار الدكتور وقالت :

— ان مسز فرانكلين تشعر بتحسن كبير وتود لو أن نصعد جميعا لكى نشرب معها القهوة الليلة .

— ٤ —

بعد أن فرغنا من طعام العشاء صعدنا الى غــرفة مسز فرانكلين . وقلت احدث نفسى ونحن نصعد السلم انها امرأة غريبة الأطوار حقا وأن لها نزوات شاذة فقد كان أمرها لا يطــاق طوال النهار واذا بهــا تتبدل الآن وتصبح امرأة رقيقة الشعور .

كانت ترتدى ثوبا مكشوفا جميلا أزرق اللون ، وكانت مستلقية فى غير اكتراث فوق أريكتها وبجوارها مكتبــة صغيرة دوارة فوقها غلاية وراحت المرأة الشابة تعد لنا القهوة بأصابعها الرقيقة ، تعاونها فى ذلك مس كرافن. وكنا جميعا موجودين فيما عدا بوارو الذى كان يأوى الى غرفته بعد العشاء دائما واللرتون ولم يكن قد عاد من أبسويك بعد ، والكولونل لوتريل وزوجته اللذين بقيــا فى الطابق الأرضى .

ولم تلبث أن داعبت خياشيمنا رائحة القهوة اللذيذة. وكانت القهوة فى ستايلز عادة عبارة عن سائل عــــديم

الطعم . وقد تلهفنا طبعا لاحتساء القهوة التى صنعتها لنا مسز فرانكلين .

وكان زوجها جالســا فى الناحية الأخرى من المكتبة الدوارة وناولها الفناجين والأطباق . وراحت تصب فيها القهوة أولا بأول . وكان بويد كارنجتون واقفا بجوار الأريكة فى حين وقفت اليزابث كول ونورتون أمام النافذة ووقفت مس كرافن بعيــدا بعض الشىء ، على رأس الأريكة . اما انا فقد جلست فى مقعد ورحت احاول أن أملأ خانات الكلمات المتقاطعة لجريدة التايمز .

وكانت مسز فرانكلين تقلب الملعقة فى فنجانها حــين صاحت جوديث فجأة وهى فى الشرفة : انظــروا .. نيزك ..

واسرع بويد كارنجتون يقول : اين .. يجب أن يتمنى كل منا أمنية ..

وخرج الى الشرفة وتبعته مس كول ونورتون ثم مس كرافن وفرانكلين . وبقيت أنا جالسا وقد أحنيت رأسى فوق الكلمات المتقاطعة فلم يكن هناك أى سبب يدفعنى الى رؤية النيزك .. لم يكن هناك ما أتمناه ..

وعاد بويد كارنجتون فجأة وقال : تعالى يابربارا .

وأجابته مسز فرانكلين : كلا .. أننى متعبة .

عاد يقول وهو يضحك : ولكن يجب أن تتمنى أمنية يا بابس ..

وانحنى فوقها وحملها بين ذراعيــه فراحت المرأة تضحك وتقول : بيل . اتركنى .. لا تكن أحمق .

ـــ يجب أن تتمنى شيئا .

وخرج الى النافذة وبربارا بين ذراعيه وأنزلهــــا فى الشرفة فى رفق .

وانحنيت فوق الجريدة فى اهتمام اكثر وقد تذكرت . . كانت ليلة جميلة دافئة . وكان هناك نيزك فى السماء . وكنت واقفا بجوار النافذة الكبيرة فحملت زوجتى بين ذراعي لكى أريها النيزك ولكى تتمنى أمنية .

وظهرت جوديث بعتبة الباب ودخلت الغرفة .

ولم أشأ أن ترى الدموع فى عينى فأدرت المكتبةواخذت كتابا وتظاهرت بأننى اقلب صفحاته فى اهتمام وسألتنى جوديث :

ــ ماذا تفعل يا بابا . . ؟

قلت لها أننى أحاول أن احل الكلمات المتقاطعة واننى أبحث عن الذى قال : « حذار من الغيرة فهى وحش أخضر العينين » فقالت :

ــ هو يا جو فى مسرحية عطيل لشكسبير .

وعاد الآخرون وهم يتنادرون ويضحكون . وعادت مسز فرانكلين فاستلقت فى مكانها فوق الأريكة . وجلس زوجها مكانه فى الجانب الآخر من المكتبة وراح يقلب ملعقته فى فنجانه فى شرود . واعتذر نورتون ومس كول لأنهما وعدا الكولونل لوتريل وزوجته بأن يلعبا البريدج معهما .

واحتست مسز فرانكلين قهوتها ثم طلبت دواءها . وكانت مس كراافن قد خرجت لحظة فجاءتها به جوديث .

واخذ فرانكلين يمشى فى الغرفة جيئة وذهابا ولم يلبث أن ارتطم بأحد المقاعد فقالت له بربارا :

ــ توخ الحذر يا جون . . انك أرعن حقا .

ــ معذرة يا بربارا . . كنت أفكر . .

قالت المراة فى شيء من الانفعال : انك بليد كالدب .

تأملها زوجها لحظة فى شرود ثم قال : ان الجو جميل الليلة . سأتمشى قليلا .

وخـــرج ..

وقالت بربارا بمجرد أن اختفى : لا يبدو عليه ذلك .. ولكنه عبقرى حقا . وأننى شـــديدة الاعجاب به فهو شغوف بعمله جدا .

وقال بويد كارنجتون فى غير اهتمام : طبعا .. انـــه شاب ذكى .

وغادرت جوديث الغرفة فجأة ، وكادت تصطدم بمس كرافن التى عادت فى نفس اللحظة .

وقال بويد كارنجتون : ما رأيك فى أن نلعب الورق ؟.

ــ فكرة رائعة .. هل لك أن تأتينا بالكوتشينة يامس كرافن ..

ومضت الممرضة لكى تبحث عن كوتشينة . وشكرت مسز فرانكلين من أجل القهوة ثم تمنيت لها ليلة جميـــلة وانصرفت .

وعندما خرجت من الغرفة رأيت جوديث وفرانـــكلين واقفين جنبا الى جنب على مقربة من نافذةالطـــرقة .. وأدار الدكتور رأسه حين سمعنى أخرج ثم تقدم خطوتين مترددا كعادته وقال :

ــ الا تريدين أن تتمشى معى يا جوديث ؟

ولكن ابنتى هزت رأسها وقالت : كلا ، ليس الليلة .

وأردفت تقول فى لهجة بدت لى خشنة بعض الشىء : سأذهب لكى أنام . طابت ليلتكما .

وهبطت مع فرانكلين . وكان يبتسم ويصفر بـــين أسنانه . وقلت : أراك مسرورا الليلة .

ــ هذا صحيح ، فقد وفقت فى شىء كنت أعد له منذ وقت طويل ، وأشعر بارتياح كبير .

وتركته عند أسفل السلم ومضيت الى الصـــالون حيث بقيت بعض الوقت فى مشاهدة لعبـــة البريدج .

وغمزنى نورتون بركن عينه خلسة . كان كل شىء يبدو انه يسير فى انسجام تام .

ولم يكن آللرتون قد عاد بعد وبدا لى أن جو البيت دونه كان أكثر احتمالا .

وبعد لحظة صعدت وطرقت باب بوارو . ووجدته يتحدث مع جوديث . وابتسمت ابنتى له . وقال بوارو :

ــ انها صفحت عنك يا صديقى .

واغاظتنى عبارته دون سبب وتمتمت : حقا . . ؟أكاد لا اصدق ذلك . .

اما جوديث فنهضت واقتربت منى واحاطت عنقى بذراعيها قائلة :

مسكين أنت يا بابا . . ان عمى هركيول لم يقصد ان يجرح كبرياءك . . انا التى يجب أن أطلب صفحك . . أوه . . اغفر لى وتمن لى ليلة طيبة .

قلت فى رفق : معذرة يا جوديث . . لم يكن فى نيتى . .

قاطعتنى قائلة : أرجوك . . دعنا من ذلك . . كل شىء على ما يرام الآن .

وابتسمت لى مرة ثانية ولكن فى شرود ثم انصرفت . ورفع بوارو عينيه الى عندئذ وقال : حسنا . ما الذى حدث الليلة . ؟

أتيت باشارة مبهمة وقالت : لا شىء ذى بال ، ولا اشعر بأن شيئا سيقع الليلة .

ولكننى كنت مخطئا جدا ، فقد وقع شىء فى تلك الليلة للاسف . فقد أحست مسز فرانكلين بألام حادة ، وبعد أن فحصها زوجها استدعى طبيبين آخرين ولكن محاولاتهما راحت عبثا فقد ماتت فى صباح اليوم التالى .

ولم نعرف الحقيقة الا بعد أربع وعشرين ساعة ، فقد ماتت بربارا فرانكلين مسمومة بسم الفيزوستجمين .

الفصل الرابع عشر

— ١ —

وداد التحقيق بعد يومين . وكان هو التحقيق الثانى الذى أحضره فى ستايلز .

وقد استمع المحققون أولا الى شهادة الطبيب الشرعى وقد أثبت ان موت بربارا فرانكلين جاء نتيجة التسمم بسم الفيزوستجمين . وأنهـا تناولت السم فى الليلة السابقة للموت .

وكان الشاهد التالى هو الدكتور فرانكلين نفسه ، وكان دقيقا وواضحا فى شهادته بحيث ترك انطباعا مناسبا فقال أنه بعد موت زوجته على الفور فحص المحاليل التى يحتفظ بها فى معمله واكتشف أن قنينةمعينة كانت تحتوى على محلول مركز من قلويات فول كالا بارقد استبدل ما كان فيها بالماء العادى ولم يستطع أن يحدد متى تم هذا الاستبدال لأنه لم يستخدم هذا المحلول منذ أيام عديدة .

وتعرض المحققون بعد ذلك الى مسألة الدخول الى المعمل فقال الدكتور فرانكلين أنه يغلق غرفة المعمل بالمفتاح دائما ويحتفظ بالمفتاح معه فى جيبه . وان مع مساعده مفتاحا آخر ، وأن أى شخص يريد أن يدخل المعمل لابد له من أن يأخذ أحد هذين المفتاحين . وقال ان زوجته أخذت منه مفتاحه فى مناسبات كثيرة كانت تنسى فيها أحدى حوائجها بالمعمل . ثم قال بعد ذلك أنه لم يذهب الى البيت بأى محلول سام .

وأجاب على سؤال لقاضى التحقيق فقال ان زوجته لم تكن مريضة وانما كانت تعانى من انهيار عصبى منذ وقت طويل وانها كانت تبدو مرحة فى الأيام الأخيرة وأنه هو وزوجته كانا على وفاق تام ولم يقع بينهما اى خلاف فى أى وقت من الأوقات .

واعترف بأنها تحدثت عن الانتحار فى بعض الأوقات وأنه لم يخطر له انها مجدة فى قولها هذا وأنها ليست من النوع الذى يميل الى الانتحار حقا .

وتلته مس كرافن . وكانت اجابتها واضحة ومحددة هى الأخرى فقالت أنها التحقت بخدمة مسز فرانكلين منذ اكثر من شهرين . وان مريضتها كانت تشكو من انهيار عصبى شديد وأن شهودا كثيرين سمعوها أكثر من مرة تتمنى أن تتخلص من حياتها لأنه لا فائدة منها ولأنها عبء ثقيل على زوجها .

سألها القاضى : وكيف تفسرين قولها هذا .. ؟ هل حدث بينهما شجار . ؟

ـ أبدا . ولكنها كانت تعرف أن زوجها رفض وظيفة هامة بالخارج بسببها .

ـ هل قالت لك صراحة أنها تريد أن تنتحر ؟

ـ كانت تقول بصفة عامة : « وددت لو أن أموت »

ـ هل رايت معها قنينة .. أو أى شىء آخر يمكن أن يحتوى على السم . ؟

ـ كلا ..

ـ ماذا تناولت مسز فرانكلين فى الليلة التى ماتت فيها .. ؟

ـ حساء ولحم محمر وبطاطس وبسلة ، وشربت كأسا من النبيذ .

ـ ومن أين جاء النبيذ ؟

ــ من زجاجة تحتفظ بها فى غرفتها ، وقد حللوا مابقى فيها ولم يجدوا به أى اثر للسم .

ــ ألا يمكن أن تكون وضعت السم فى الكأس خلسة؟

ــ هذا جائز لأننى لم أكن انظر اليها باستمرار فقد كنت مشغولة فى تنسيق الغــرفة . وكانت حقيبتها فى متناول يدها . وكان فى مقدورها أن نضع السم فى كأسها أو فى قهوتها أو فى اللبن الذى شربته قبل أن تنام .

ــ ألا تعرفين ماذا فعلت بالقنينة التى كان فيهــا السم . . ؟

فكرت مسز كرافن بضع لحظات ثم قالت : أظن أنها القتها من النافذة ، أو لعلها القت بها فى سلة المهملات . ومن المحتمل انها غسلتها ووضعتا بعد ذلك فى دولاب الأدوية بغرفة الحمام حيث يوجد به عــدد من القنانى الفــارغة .

ــ ومتى رايت مسز فرانكلين لآخر مرة ؟

ــ فى الساعة العاشرة والنصف . عاونتها فى المضى الى فراشها وأتيتها بكوب من اللبن الساخن وطلبت منى قرصا من الاسبرين .

ــ وكيف كانت عندئذ ؟

فكرت المرضة لحظة ثم قالت : يبدو لى أنهــا كانت كعادتها . . ومــع ذلك . . كلا ، ليس تماما . . كانت تبدو شديدة الانفعال .

ــ لم تكن مكتئبة اذن .

ــ أبدا . . ولكن المرء الذى يوشك الانتحار يــكون شديد الانفعال طبعا .

واستدعى بويد كارنجتون بعد ذلك . وكان مضطربا فى الواقع ، ولكن شهادته كانت شديدة الوضوح على الرغم من ذلك فقال انه لعب الورق مع مسز فرانكلين

ليلة المأساة ، ولم يلحظ عليها ما يدل على أنها مكتئبة . ومع ذلك ، وقبل ساعات قلائل تكلمت عن الانتحار . كانت امرأة كريمة ونزيهة كان يحزنها كثيرا أنهـا تقف حجر عثرة فى مستقبل زوجها لأنها كانت شديدة الاخلاص وتغذى من نحوه أطماعا كبيرة ولكن كان لها لحظات من الانهيار أحيانا .

وتلته جوديث ولكن لم يكن لديها الكثير فقالت أنهـا لم تدر كيف حصلت مسز فرانكلين على محلول الفيزوستجمين من المعمل . وأنها كانت تبدو فى ليلة المأساة فى حالتها الطبيعية فيما عدا شىء غير عادى من الانفعال .وصرحت جوديث بأنها لم تسمع مسز فرانكلين تتحدث عن الموت .

وكان هركيول بوارو الشاهد الأخير ، وقد أدلىبأقواله فى هدوء كبير وأحدثت انطباعا كان له أهميته فبـدأ بأن ذكر حديثا دار بينه وبين مسز فرانكلين فى اليوم الأسبق لمصرعها . فقال انها كانت مكتئبة جدا وأنها أبدت رغبتها فى التخلص من الحيـاة وأنها كانت شـديدة القلق على زوجها بسبب صـحتها وأن النوبات السوداوية كانت تعتريها ما بين وقت وآخر بحيث أن الحياة كانت تبدو لها مملة وأنها أردفت تقول ليتها تنام فلا تصحو أبدا .

وأحدث رد بوارو على السؤال التالى للقاضى تأثـيرا كبيرا ، فقد سأله القاضى قائلا :

ـ هل كنت تجلس فى صباح العاشر من يونية على مقربة من باب المعمل ؟

ـ نعم .

ـ هل رأيت مسز فرانكلين تخرج منه ؟

ـ نعم .

ــ هل كانت تمسك فى يدها شيئا ؟
ــ كانت تمسك قنينة صغيرة فى يدها اليمنى .
ــ هل انت واثق ؟
ــ كل الثقة .
ــ هل انزعجت عندما رأتك ؟
ــ شيئا ما .

التفت القاضى عندئذ الى هيئة المحلفين وقال : أيها السادة ، عليكم أن تقرروا الآن كيف ماتت مسز فرانكلين ان التقرير الطبى واضح ولا يترك اى شــك فى سبب الموت وهو سم الفيزوستجمين . ويجب أن توضحوا فى قراركم اذا كانت مسز فرانكلين قد انتحرت . أو قتلت. وقد شهد الكثيرون بأنها كانت تشكو من الأنهيار العصبى وانها كانت عرضة لنوبات من السوداوية . ثم ان مستر هركيول بوارو واسمه معروف ولشهادته ثقلها وقيمتهــا يؤكد انه رأى مسز فرانكلين تخرج من المعمل وفى يدها قنينة . ومن هذا نستنتج أنها هى التى أخذت السم وفى نيتها ان تنتحر به ، فقد كانت تعتقد أنها تقف حجر عثر فى سبيل مستقبل زوجها . واذا كنا لم نعثر على القنينة التى قال مستر بوارو انه رآها فى يدها فذلك لأنها لاريب غسلتها ووضعتها بين غيرها من القنانى فى الدولاب كما أوحت مس كرافن بذلك . ومهما يكن فانه يتعين عليكم الآن أن تصدروا قراركم .

***

وبعد مداولة قصيرة أصدر المحلفون قرارهم بأن مسز فرانكلين انتحرت وهى فى حالة من الجنون المؤقت .

ـ ٢ ـ

وبعد نصف ساعة كنت فى غرفة بوارو . وكان يبدو مرهقا . وكان كورنيس قد أرقده فى فراشه ويهمباعطائه دواءه .

واضطررت ان أصبر على مضض الى أن يخرج الخادم ثم صحت أقول : بوارو .. أهى الحقيقة التى ذكرتها ؟ هل رأيت حقا قنينة فى يد مسز فرانكلين عندما خرجت من المعمـــل .. ؟

ارتسمت شبح ابتسامة على شفتى المخبر العجوز ثم قال : ألم ترها أنت نفسك يا صديقى ؟

ــ كلا ..

ــ ربما لم تلحظها .

ــ هذا جائز . لن أستطيع ان أؤكد ذلك على كل حـــال ..

ــ هل تظن اننى كذبت ؟

ــ لن يمنعك شيء عن ذلك .

ــ انك تثير دهشتى وحنقى يا هاستنجز .. اين ثقتك التى كنت توليني اياها .؟

ــ لا أستطيع أن أصدق أن تشهد زورا .

ابتسم بوارو مرة أخرى وقال : اننى لم اشهد زورا لأننى لم أقسم اليمين .

ــ ولكنك كذبت على الرغم من ذلك .

أتى باشارة مبهمة من يده وقال : اى صديقى .. لقد انتهى الأمر الآن ولا داعى للعودة اليه .

ــ أننى لا أفهمك حقا .

ــ ما الذى لا تفهمه .

ــ شهادتك بأن مسز فرانكلين ابدت لك رغبتهـا فى الانتحار . .

ــ انت نفسك سمعتها تعرب عن ذلك .

ــ نعم . ولكن لم يكن قولها هذا الا مظهرا من نزواتها العديدة . . وانت لم نذكر هذه النقطة .

ــ لعلنى قصدت هذا .

تأملته لحظة فى صمت ثم سألته : هـل كنت تتمنى صدور قرار بالانتحار ؟ .

لم يجب بوارو على الفور ثم قال فى بطء : اظن انك لا تدرك خطورة الموقف يا هاستنجز . نعم . . اننى اردت أن يصدر القرار بالانتحار فعلا .

ــ ولكنك لا تعتقد أن مسز فرانكلين قد انتحرت مع ذلك .

هز رأسه فى بطء وعدت أقول : اذن فأنت تعتقـد انها قتلت ؟

ــ نعم يا هاستنجز . . انها ماتت مقتولة .

ــ لماذا حاولت كتمان الأمر اذن وعملت على صدور القرار بالانتحار . . ؟

هل هذا ما كنت تريد . . ؟

ــ نعم . .

ــ ولأى سبب بالله ؟ .

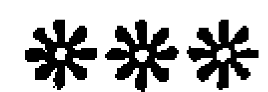
ــ الا تفهم حقا . . ؟ لا اهمية لهذا على كل حال . . دعنا من هذه النقطة . .

ولكن لك أن تصدقنى . . انا ازاء جريمة قتل حقا . . بل أقول جريمة قتل ارتكبت عمدا . قلت لك يا هاستنجز أن جريمة قتل ستقع هنا وان من المحتمل اننـا قـد لا نستطيع الحيلولة بينها لأن القاتل قاس وقد عقـد العزم على ارتكابها .

سرت الرعشة فى بدنى وقلت : وماذا سيحدث الآن ؟
ابتسم بوارو من جـــديد وقال : لقد انتهت القضية وحفظت على أنها حادث انتحار ولكننا سنظل نعمل فى الخفـــاء انا وانت يا هاستنجز . وسوف نتغلب على « س » ان عاجلا وأن آجلا .

ــ واذا وقعت جريمة قتل أخرى فى أثناء ذلك ؟

ــ لا أظن أن هذا محتمل الا اذا كان هناك من رأى او عرف شيئا . ولكن يمكننا أن نثق أنه اذا كان هـــذا قد حدث لأسرع وأدلى بما رأى او عرف اثنـــاء جلســـة التحقيق .



الفصل الخامس عشر

ـ ١ ـ

حضر جنازة مسز فرانكلين جمع غفــير من اهالى ستايلز سنت مارى ، وبعد أن انفض المشيعون اقتربت منى امرأة عجوز ذات عينين مغمضتين ومتجهمة الوجه وقالت دون أية مقدمات :

ـ اننى أذكرك جيدا أيها السيد .. رأيتك منذ وقت طويل . عندما وقعت الجريمة الأولى فى قصر ستايلز ، وقد قلت لك عندئذ انها لن تكون جريمة القتل الوحيدة.. مسز انجلثورب العجوز . كان زوجها هو الذى قتلها .

والقت الى نظرة ماكرة وأردفت : ولعل نفس الشىء قد وقع هذه المرة .

قلت فى لهجة جافة : ماذا تعنين .. ؟ الا تعرفين أن القاضى أصدر قرارا بأنها انتحرت .

ـ ربما أخطأ المحلفون .. الا يجوز ذلك ؟

ودفعتنى بمرفقها وقالت : ان الأطباء يعرفون كيف يتخلصـون ممن يريدون .

نظرت اليها محنقا فحولت عينيها عنى وقالت أنهــا لا تقصد شيئا ولكنها أردفت تقول :

ـ مهما يكن فان من الغريب أن تقع جرية قتل ثانية وانت موجود .

تساءلت لمجرد لحظة ان كانت تشك فى أننى ارتكبت الجريمة . وقد أزعجنى هذا الخاطر .. فما أغرب الشك الذى يتولد فى قلب قرية صغيرة ، ومهما يكن فان هــذه العجوز لم تبعد عن الحقيقــة لأننى كنت أعلم أن مسز فرانكلين قتلت حقا .

ولو اتذكر جيدا الأيام التى تلت المأساة لأن صحة بوارو ازعجتنى قبل كل شيء ، وقد جائنى كورتيس ذات يوم وقد اكفهر وجهه وزال منه جموده وقال أن سيده أصيب بنوبة حادة وأردف :

ــ اظن أنه لابد ان يعــرض نفســه على طبيب يا سيدى .

واسرعت الى غرفته . وقد رفض اقتراحى بأن ادعو له طبيبا رفضا باتا . واستغربت منه ذلك لأننى كنت اعرف حرصه الدائم على صحته وكان يستشير طبيبه اذا ما شعر بأية وعكة ولكنه اتخذ الآن موقفا عكسيا تماما على الرغم من انه كان مريضا حقا . وقد حدثته فى ذلك صراحة فقال :

ــ اننى لم استشر طبيبا واحــدا وانما عددا من الأطباء . وقد ارسلنى اخصائيون الى مصر ، ولكن هذه الرحلة لم تحسن صحتى بل زادتها سوءا .

* * *

وذكر لى بعد ذلك اسم طبيب لندنى مشهور فسالته :

ــ وماذا قال ؟

نظر الى نظرة جانبية ثم قال : ــ بذل من اجلى كل ما يمكن أن يبذله انسان ووصف لى بعض الادوية ولكنه زاد فقال أنه لا جدوى من استشارة أطباء آخرين ... ان الآلة قد استهلكت يا صديقى ولا يمكن أن نغيرها كما نغير محرك السيارة .

واحسست بقلبى ينفطر وهو يتكلم بهدوء واستطرد يقول : ــ ان القضية التى تهمنى الآن سوف تكون آخر قضاياى ، وستكون اكثرها أهمية كذلك لأن القاتل فيها رجل شاذ يعمل وفق خطة مدهشة لا يعنى الا الاعجاب

بها رغما عني ، فقد تصرف حتى الآن بذكاء كثير بحيث نغلب على أنا هركيول بوارو ، فقد بدأ حملة أجد نفسى عاجزا عن مواجهتها .

ـــ لو انك كنت قويا كما كنت من قبل ...

ونطقت بهذه العبارة أحاول التخفيف عنه ، ولكن يبدو أننى تنكبت الصواب لأنه قاطعنى قائلا :

ـــ كم مره يجب أن أقول لك اننى لست بحاجة الى قوة بدنية لكى اكتشف القاتل ... يكفى أن تفكر وأن تستخدم خلايا مخك .

ـــ آه ... نعم ، طبعا ... انك تمين بأن نفعل هذا حقا .

ـــ هذا صحيح يا صديقى ... انك تغيظنى ... ان ساقى عاجزتان وقلبى يتلاعب بى ولكن ذهنى لا يزال يعمل بدون خلل .

قلت فى رفق :

ـــ هذا جميل .

ـــ ومع ذلك وبينما كنت اهبط كنت افكر فى أن ذهن بوارو المدهش قد تتفوق عليه الأحداث هذه المرة . فقد افلتت مسز لونريل من الموت بأعجوبة ولكن الحظ لم يواكب مسز فرانكلين ولم يكن فى مقدورنا أن نفعل أى شيء للاهتداء الى القاتل .

ـــ ٢ ـــ

قال لى بوارو فى صباح اليوم التالى : ـــ انك اقترحت على أن استشير طبيبا يا هاستنجز .. حسنا . اننى سأعمل باقتراحك وسأستشير الدكتور فرانكلين .

قلت شيرها : ـــ فرانكلين ... ولكنه يكرس وقته كله للأبحاث .

ــ انه ليس طبيبا ممارسا ولكنه كفء ويعرف مهنته اكثر من كل زملائه .

لم اشعر بأى ارتياح . ولم اكن أشك فى كفاءة الدكتور فرانكلين ومقدرته ولكنه لم يكن بالطبيب الممارس .

واذا كان بوارو قد تساهل ورضى ان يستشيره لوجود طبيبه المعالج فى بلدة اخرى بعيدة فان فرانكلين لم يبد ايد صعوبة لكى يمضى وبفحصه ولكنه أصر على ان يقول انه اذا كانت صحة المريض تستدعى علاجا طويلا فلابد له من اللجوء الى طبيب آخر غيره .

وقضى وقتا طويلا فى غرفة بوارو . وعندما خرج منها اخذته الى غرفتى وسألته فى قلق : ــ حسنا .

ــ انه رجل مدهش حقا .

ــ اعرف هذا . ولكن كيف حاله ؟

وبدت عليه الدهشة كما لو اننى اشرت الى مسألة لا اهمية لها وقال : ــ اوه ... ان صحته لا تسر .

وكان رده هذا بعيدا عن اصول مهنته . وقد استغربت منه ذلك . ويبدو انه أدرك ما يجول فى ذهنى لانه أسرع يقول : ــ ان اكثر الناس لا يريدون أن يعرفوا حقيقة حالتهم ويفضلون أن نطمئنهم وبهذا يستطيعون أن يتعللوا ببعض الأمل . ويحدث أن يشفى المريض بمعجزة ولكن لن يقع هذا لمستر بوارو بكل اسف .

ــ هل تعنى ؟ ...

واحسست بمعدتى تتقلص . وهز فرانكلين راسه وقال : ــ نعم . انه هالك ، واخشى انه لن يعيش طويلا . وما كنت لاقول ذلك لو انه لم يصرح لى طبعا .

ــ هل يعرف ما ينتظره ؟ ...

ــ طبعا . انه يعرف أن قلبه قد يتوقف من لحظة

لاخرى . واخشى ان يقع هذا فجاة وفى وقت قريب جدا .

وسكت لحظة ثم قال فى بطء : ـ وقد فهمت أنه يخشى ان يموت قبل ان يفرغ ... من مهمة بداها ، فهل تعرف ما هى ؟

ـ نعم ، للأسف .

نظر فرانكلين الى فى حيرة وقال : ـ فهمت أنه يريد الفراغ من هذه المهمة قبل أن يدهمه الموت .

وتساءلت اذا كانت لدى الطبيب أية فكرة عن هذه المهمة . واسنطرد يقول :

ـ وارجو ان يتمكن من ذلك . خامرنى احساسى بأنها على جانب كبير من الأهمية بالنسبة له . انه رجل منظم ودقيق جدا .

ـ الا يمكن ان نقوم بأى شىء ؟ ... اليس هناك اى علاج ؟

هز راسه فى بطء وقال : ـ كلا . ان لديه انبولات من الاميلنترات يجب أن يأخذها عندما يشعر بدنو الأزمة . وليس هناك ما يمكن عمله غير ذلك .

وتردد لحظة ثم أردف ونطق بهذه الملاحظة العجيبة :

ـ انه يحترم الحياة البشرية كثيرا ... اليس كذلك ؟

ـ هذا صحيح .

والواقع اننى سمعت بوارو أكثر من مرة يقول : ـ اننى لا أحبذ جريمة القتل ... وقال فرانكلين :

ـ هذا هو الفرق بيننا ، فاننى لا أحترم الحياة البشرية مثله .

تأملته فى صمت . واحنى راسه قليلا ولاحت على شفتيه ابتسامة وقال : ـ هذا صحيح . فما دام لابد من

الموت فماذا يهم لو جاء عاجلا أو آجلا . ليس هناك اى فرق .
سألته وأنا اشعر بشيء من السخط : ــ اذا كان هذا رايك فما الذى دفعك الى ان تكون طبيبا .
ــ اى عزيزى ... ليس من مهام الطب أن يؤجل الموت وانما له مهام اخرى اكثر اهمية من هذا ... منها تحسين نوع الحياة ، فاذا مات رجل لا يشكو من اى مرض واذا أختفى غبى او معتوه فهذا شيء جميل . ولكننا اذا وجدنا طريقة نستطيع بها تغيير خلايا الغبى لكى يصبح رجلا عاديا فان هذا يكون اجمل .

نظرت اليه فى اهتمام متزايد . كنت أقول لنفسى اننى لن الجأ اليه فى حالة المرض ، ولكن كان لابد لى من الاعتراف باخلاصه وقوة شخصيته . وكنت قد لاحظت أنه تغير تغييرا كبيرا منذ ان ماتت زوجته . واذا كان قد أحس بالحزن فانه لم يظهر ذلك وبدا اكثر حيوية واقل شرودا .

واردف يقول فجأة مقاطعا أفكارى : ــ أنت وجوديث شخصان مختلفان تماما .
ــ أظن ذلك .
ــ هل تشبه أمها ؟
فكرت لحظة ثم هززت راسى فى بطء وقلت : ــ كلا . حقا . كانت زوجتى شديدة المرح دائمة الابتسام . لم تعرف الحزن أبدا وحاولت أن تصوغنى على صورتها ولكنها لم تنجح كما أعتقد .
وابتسم وقال : ــ ان جوديث تحبك كثيرا . ولكنها قلما تضحك . أنها فتاة رزينة جدا وهى تجهد نفسها كثيرا فى العمل . لكن أظن أن هذه غلطتى أنا .

وغرق فى افكاره من جديد فقلت : ـ لا ريب ان عملك مثير .
ـ بالنسبة لأشخاص قلائل لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة . أما الآخرون فيجدونه مزعجا ولا ريب انهم على حق .
وطوح برأسه الى الخلف واتقدت عيناه حماسا وقال : ـ ولكننى سأجرب حظى الآن . لقد اتصل بى مكتب الوزير اليوم وأخبرنى أن الوظيفة مازالت شاغرة وانها لى اذا اردت . وسوف أرحل بعد عشرة أيام .
ـ الى افريقيا ؟
ـ نعم . وهذا رائع .
ـ اهكذا سريعا ؟
واعترف اننى صدمت لهذا النبأ لانني لم اكن أتوقعه . ونظر الى وقال : ـ
ـ ماذا تعنى ؟ اوه .. لعلك تفكر فى بربارا .. لا اخفى عنك أن موتها كان عزاء كبيرا لى . ولكن لا وقت لدى لكى اضيعه فى التقاليد . اننى أحببت بربارا ، وكانت فتاة جميلة ولكننى كففت عن حبها بعد سنة . واعتقد ان حبى لها قد طال اكثر من اللازم . وقد خيبت آمالها طبعا لأنها كانت تعتقد أنها ستستطيع أن تملى على سلطانها ولكنها لم تستطع . واعترف بأننى كنت وحشا انانيا ولم يكن يحلو لى الا أن افعل ما اريد .
ـ ومع ذلك فقد سبق أن رفضت هذه الوظيفة بسببها .
ـ نعم . ولكن لأسباب مالية . فقد وفرت لبربارا عيشة فى نفس المستوى الذى اعتادت عليه قبل الزواج . ولو أننى رحلت لألفت نفسها فى موقف مالى بالغ الحرج .

وابتسم ابتسامة صبيانية وقال : ولكن الأمور تغيرت على احسن ما يكون .

سألته فى حدة : الا يحزنك أن زوجتك انتحرت .

قال فى تفكير : لا أظن أنها انتحرت .. فهذه نظــرية غير معقولة .

ــ ماذا تظن قد حدث لهـــا اذن ؟

ــ لا أعلم . واظن أننى لا أريد أن أعلم . هـــل تفهم .

واتسمت نظراتهوأردف يقول : كلا . لااريد أن أعلم. فان هذا لا يهمنى .

ــ ٣ ــ

لا اتذكر فى اية لحظة بالذات لاحظت أن نورتون كان قلقا ومشغول البال فقد بدأ أثناء جلسةالتحقيقوالجنازة أشد اكتئابا مما هو فى العادة ، وكان يمشى على غـــير هدى مقطب الجبين مطرق الراس . وكان من عادته أن يمر بيده على شعره الأشيب القصير المفروق فى النصف وبطريقة تثير الضحك . وقد ازدادت هذه الحركة دون وعى منه ونمت عن قلقه . وعندما كان يخاطبه اى أحد كان يرد فى شرود . وأعتقدت أخيرا أن هنـــاك شيئا يقلقه كثيرا وسألته ان كانت قد جاءته انباء سيئة فأجابنى بالنفى ، ولكن خيل لي بعد ذلك بقليل أنه يحاول أن يعرف بطريقة ملتوية رايى فى الموضوع الذى يشغله . وقال متلعثما كعادته عندما يريد أن يتكلم فى شىء يهمـــه فقـــال :

ــ يجب ان يكون من السهل جدا أن يقول المرء اذا كان هذا الشيء خيرا أو شرا . ومع ذلك فليس هذا من السهل ابدا فى الحالة التى نحن بصددها ، فقد يقع

الانسان صدفة على شىء لم يكن مفروضا أن يعرفه . شىء لا يمكن أن يستفيد منه ولكنه قد يكون على جانب كبير من الأهمية . هل تفهم ما أقصد ؟

ــ ليس تماما .

قطب حاجبيه ومر بيده فى شعره الأشيب وقال : يتعذر على أن أوضح لك ما أريد . لنفرض مثلا انك رأيت شيئا فى رسالة خاصة ، ولنقل أن هذه الرسالة لم تكن لك وانما لشخص آخر وانك فتحتها خطأ . وبدأت تقرأها مقتنعا بأنها لك . وقبل أن تدرك هذا الخطأ عرفت شيئا لم يكن ينبغى أن تعرفه .. ما العمل فى هذه الحالة ؟

فكرت فى المشكلة لحظة ثم قلت : اظن أن أوثق شىء هو أن تذهب الى الشخص المفروض ان الرسالة مرسلة اليه وتعتذر له لأنك فضضتها دون أن تدرك .

تنهد نورتون وقال : قد لا يكون الأمر بهذه البساطة اذا كنت قد عرفت شيئا مزعجا .

ــ هل تقصد شيئا مزعجا لصاحب الرسالة الأصلى؟ اظن أنه يجب أن تتظاهر عندئذ بانك لم تقرأها وانك ادركت الخطأ على الفور .

أجاب نورتون بعد لحظة صمت : نعم . بلا شك .

ولكنه بدا غير مقتنع بأن هذا هو الحل الصحيح . وعاد يقول فى تفكير : وددت لو أن أعرف ماذا يجب أن افعل .

أكدت له أننى لا أرى حلا آخر لمشكلته ولكن القلق لم يزاوله وقال : ولكن قد يكون هناك شىء آخر ياهاستنجز . لنفرض أن ما عرفته عن طريق السهو والخطأ على جانب من الأهمية ايضا لشخص آخر .

قلت فى فروغ صبر : اسمع يا نورتون . لا ارى

ما الذى تهدف اليه حقا . لا يمكن ان تقرأ المراســلات الخاصة ثم تأتى بعد ذلك .
ــ كلا ، كلا . طبعا . ليس هذا ما عنيت . ثم أنها لم تكن رسالة على كل حال . وانما ابديت لك هذا المثل لكى تفهم . ان كل ما نقراه او نراه نحتفظ به لأنفسنا طبعا ما لم . .
ــ ما لم ماذا ؟ . .
ــ ما لم يتعلق الامر بشىء يجب ان يعرفه المسئولون
نظرت اليه فى اهتمام جديد فاستطرد يقول : لنفرض انك رايت شيئا من ثقب المفتاح .
حملنى قوله على التفكير وقلت : هل أفهم من هــذا انه كان هناك ما يحملك على ان تنظر من ثقب المفتاح ؟ أن يكون المفتاح قد انحشر فى القفل مثلا ولم تتوقع أن ترى ما رايت .
وفجاة تذكرت اليوم الذى نظر فيه نورتون من خلال منظاره المكبر وراى طائر ابو منقار . وتذكرت ضيقه وارتباكه عندئذ ومحاولته لكى يمنعنى من أن أرى بدورى لقد خطر لى فى ذلك الوقت أن الامر يتعلق بى وبجوديث واللرتون . ولكن الا يمكن أن اكون قد أخطأت ؟ . . ربما كان هناك شىء آخر مختلف . اننى كنت مضــطربا فى ذلك اليوم لا تلح على غير فكرة واحدة فلم أواجه أية نظرية اخرى .
سألته فجأة : هل هو شىء رايته من خلال منظارك ؟
بدت عليه الدهشة والارتياح وقال : كيف . . كيف خمنت ذلك !
ــ هل كان ذلك فى نفس اليوم اليوم الذى كنا فيه فوق الربوة مع مس كول ؟
ــ نعم .

ـ ولكنك منعتنى من أن أرى ..

ـ كلا .. لم يكن .. أعنى .. ما كان يجب أن يعرف أى أحد ..

ـ ماذا رأيت ؟

تجهم وجهه مرة أخرى وقال : هنا بيت القصيد . هل يجب أن أقول به كان ذلك نوعا من التجسس ، فقد رأيت شيئا لم يكن مفروضا أن أراه .. ولم أشأ أن أراه حقا فقد كان هناك طائر أبو منقار فعلا .. ولكننى لم يلبث أن رأيت الباقى .

وامسك ، واستبد بى الفضول . ولكننى احترمت شعوره واكتفيت بأن سألته : أهو شىء هام ؟

ـ لا أدرى .. قد يكون كذلك .

ـ هل له علاقة بحدث مسز فرانكلين ؟

اجفل وقال : من العجيب أن تسألنى هذا .

ـ اننى أصبت التخمين اذن .

ـ آه . ليس تماما . ولكن هذه النقطة يمكن ان تغير الأمور .. ويجعل لها معنى آخر . ولكن فليذهب كل هذا الى الشيطان .. لا أدرى ماذا أفعل حقا .

كان نورتون مترددا فى الافصاح عما رآه . وقد فهمت تردده لأننى لو كنت مكانه لحذت حذوه ، فان من المزعج أن تجد نفسك قد وقفت على شىء بطريقة لا يحبذها الآخرون . وفجأة خطرت ببالى فكرة فقلت :

ـ لماذا لا تستشير بوارو ؟

قال فى دهشة : بوارو ؟

ـ طبعا . سله النصح .

قال بعد لحظة : لعلك على حق .. طبعا .. انه أجنبى ..

وامسك من جديد وقد بدأ عليه الارتباك . ولكننى

ادركت ميم بفكر فان ملاحظات بوارو اللاذعة عن الأمانة كانت لا تزال ماثلة فى ذهنى . ودهشت اذا أنه لم يفكر فى استخدام منظار مكبر هو نفسه . ولا ريب انه ما كان ليحجم عن ذلك لو خطر له أن يفعل وقلت :
ــ انه سوف يحترم شعورك ولن يفضى بأسرارك لأحد . وستكون لك كل الحرية فى أن تفعل بمشورته او لا .
اجاب فى تفكير : نعم . . اظن اننى سأذهب اليه .

ــ ٤ ــ

كان رد فعل بوارو مدهشا اذ قال لى على الفور : ماذا تقول ياهاستنجز . اعد على ذلك من فضلك .
وأطعته . وقال فى تفكير : اذن فقد راى شيئا فى ذلك اليوم من خلال منظاره ولم يشأ أن يذكره لك . ولكن الم يتكلم عن ذلك مع اى أحد آخر .
ــ لا أظن . . بل أننى واثق انه لم يفعل .
ــ كن على حذر ياهاستنجز . من الضرورى أن لا يذكر اية كلمة لأحد ولا اية اشارة فان العكس يمكن ان تكون له عواقب وخيمة . دبر أمرك لكى يأتى الى الليلة . . زيارة ودية صغيرة . . ولكن لا يجب أن يشتبه احد فى سبب زيارته لى . هل كان معكما أحد آخر فى ذلك اليوم ياهاستنجز ؟
ــ كانت معنا مس كولى .
ــ هل لاحظت شيئا غريبا فى تصرفات نورتون ؟
حاولت أن اتذكر وقلت : لا أدرى . . هذا جائز . هل يجب أن أسألها ؟
ــ لا تقل شيئا يا صديقى . . لا تقل لها شيئا على الاطلاق .

الفصل السادس عشر

— ١ —

ذهبت ونقلت رسالة بوارو الى نورتون على الفور فقال : حسنا . سوف اذهب اليه . ولكننى أكاد اندم الآن ياهاستنجز ، لأننى اطلعتك على هذه القصة .

— لعلك لم تطلع احدا آخر عليها .

— كلا . . الا اذا . . آه . كلا

— هل انت واثق مما تقول ؟

— نعم . كل الثقة .

— حسنا . لا تذكرها اذن لأى شخص قبل أن ترى بوارو .

— ولم يغب عنى التردد الذى شاب رده الأول ولكن رده الثانى طمأننى . ومع ذلك كان يجب أن أتذكر هذا التردد فيما بعد .

— ٢ —

صعدت مرة أخرى تلك الربوة التى جلسنا فيها فى ذلك اليوم ودهشت اذ وجدت اليزابيت كول مرة اخرى .

قالت وهى تدير رأسها نحوى فى اللحظة التى بلغت فيها قمة المنحدر :

— يبدو عليك الانفعال يا كابتن هاستنجز . . هل هناك ما يزعجك ؟

حاولت أن أبدو هادئا وأجبت : كلا . ولكننى مبهور الأنفاس لا أكثر .

واردفت اقول فى غير اكتراث : أظن ان الدنيـــا ستمطر .

رفعت عينيها الى السماء وقالت : نعم . اظن ذلك .

ولزمنا الصمت دقيقة أو دقيقتين . كان فى هذه المرأة الشابة شىء ما حملنى الى الميل اليها ، ومنذ ان اعترفت لى بشخصيتها الحقيقية وحدثتنى عن المأساة التى حطمت حياتها وقد أصبح اهتمامى بهـــا يتزايد ، وأن شخصين ابتلاهما الشقاء لابد أن تجمع بينهما صـــلة عامة وتمنيت أن تبتسم لها الحياة وأن تعرف ربيعـــا ثانيـــا .

لم اشعر الا وأنا اقول : لست منفعلا على الاطـــلاق ولكننى مكتئب فقد سمعت أنباء غير سارة بخصـــوص صـــديقى .

ــ مستر بوارو ؟

ودفعنى اهتمامهـــا المشـــوب بالـــود والعطف الى الافاضة . وعندما فرغت لزمت الصمت لحظة ثم قالت :

ــ اننى افهم . قد تأتى النهاية اذن ما بين يوم وآخر .

اومأت برأسى وقد أعجزنى النطق . وقلت بعـــد لحظة : حين يمضى سوف أجد نفسى وحيدا فى الدنيا .

ــ اوه .. ان لديك جوديث وأولادك الآخرين .

ــ ولكنهم متفرقون فى أركان الدنيا الأربعـــة .. وجوديث لديها أعمالها وليست بحاجة الى .

ــ اظن أن الأولاد لا يحتاجون الى الأهل الا اذا واجهتهم مشكلة ما . وهذا قانون دائم لا يتغير . ولكننى وحيدة أكثر منك ، فان أختى الاثنتين بعيدتان ، احداهما فى أمريكا والأخرى فى ايطاليا .

ولكنك ما زلت فى فجر حياتك يا صديقتى العزيزة .

ــ فى الخامسة والثلاثين من عمرى ؟

ـ وما الخامسة والثلاثون ؟ .. ليتنى أعود الى هذه السن مرة أخرى .

واردفت اقول فى خبث : وانا كما تعرفين لست أعمى تماما .

نظرت الى مستفهمة ثم احمر لونها وقالت : لا اظنك تحسب .. اوه ، أنا وستيفن نورتون لسنا أكثر من صديقين .. لدينا بضع نقاط مشتركة طبعا ولكن ..

ـ هذا افضل .

ـ أنه رجل طيب جدا .

ـ لا تحسبى أن اهتمام الرجال مبعثها طيبتهم فحسب .. فاننا لم نخلق هكذا .

شحب وجه المرأة الشابة فجأة وقالت فى صوت خافت أجش : انك قاس ، واعمى ايضا . كيف استطيع ان افكر فى الزواج ؟ .. ان أختى قاتلة ، هذا اذا لم تكن مجنونة .. ولا أدرى ايهما اسوأ من الآخر .

ـ لا تعذبى نفسك بهذه الفكرة .. ولا تنسى أن هذا قد لا يكون صحيحا .

ـ ماذا تعنى ؟ .. لقد كان صحيحا .

ـ ولكن تذكرى انك قلت لى ذات يوم .. ولم تكن ما جرى .. ربما لم تكن أختك مذنبة حقا .

رفعت يدها الى فمها وحدقت فى مليا وفى خوف وقالت : انك فقدت عقلك ... ما الذى يحملك على أن تقول هذا ؟

ـ سأثبت لك ما اقول ذات يوم .

ـ ٣ ـ

وعندما عدت الى البيت التقيت ببويد كارنجتون وابتدرنى قائلا :

ــ هذه آخر ليلة لى فى ستايلز . سارحل غدا .

ــ الى كناتون ؟

ــ نعم .

وتنهد ثم اردف : ويمكننى ان اعترف لك ياهاستنجز انه يسرنى أن أغادر هذا المكان .

هززت كتفى وقلت : اننى معك فى أن الطعام ليس شهيا جدا ، وأن الخدمة غير ممتازة ولكن . .

ــ ما كنت الى هذا أشير . . ان ثمن الاقامة معتدل ولا يمكن ان نطلب المستحيل . كلا لم اكن أشير الى نقص فى الرفاهية أو فى وسائل الراحة وانما كنت أشير الى جو البيت نفسه فهو جو ردىء ولا أدرى كيف أعبر عما يجيش فى صدرى . ولكن لعل المكان الذى ترتكب فيه جريمة قتل مرة لا يعود كما كان من قبل ابدا . . تقع هنا أشياء غريبة . . أولا ذلك الحادث المؤسف الذى وقع لمسز لوتريل . . ثم بربارا المسكينة .

وأمسك لحظة وقد غرق فى أفكاره ثم قال : كنت اظن أنها آخر من يفكر فى الانتحار .

ترددت قليلا ثم قلت : يا الهى . . لا يمكن ان نتأكد .

قاطعنى بقول فى حدة : اننى متاكد مما أقول ، فقد قضيت معها طوال اليوم السابق لموتها . كانت تتقد حيوية ونشاطا وقد سرتها النزهة . وكانت شديدة الانزعاج على زوجها بسبب تجاربه . كانت تخشى أن يتمادى الى حد أن يجرب تلك القلويات فى نفسه . هل تعرف ماذا أظن ياهاستنجز ؟

ــ كلا .

ــ حسنا . ان زوجها هو المسئول عن موتها

بزجره وتعنيفه لها . عنــدما كانت معى كانت مرحة وسعيدة . ولكنه كان يحملها على الاعتقاد بأنها تعرقل مستقبله .. مستقبله اللعين . ان هذا الرجل مجــرد من الاحساس .. تموت زوجته فى ظروف مفجعة ولكنه لا يشعر بأى انزعاج ويأتينى ويقول بكل جراة انه أصبح فى مقدوره الآن ان يرحل الى افريقيا بكل هدوء . الواقع يا هاستنجز اننى لن أشعر بأية دهشة اذا ما قيل لى انه هو الذى قتل زوجته .

صحت : ما هذا القول ؟ .. لا اظنك جادا ؟

ــ كلا طبعا . لا شىء الا لانه لو أراد ان يقتلها لتصرف تصرفا آخر فان الجميع كانوا يعرفون أنه يجرى تجاربه على سم الفيزوستجمينى وما كان ليستخدمه فى قتلها عندئذ .. ولكننى رغم هذا ياهاستنجز لست وحدى الذى يخطر له انه غريب الاطوار . وقد سمت هــذا الرأى من شخص فى وضع يمكنه من ابدائه .

اسرعت أقول : ومن هو ؟

ــ مس كرافن .

لم استطع اخفاء دهشتى وقلت : ماذا ؟

ــ صه . لا تصرخ هكذا . انها هى التى قالت لى ذلك .. انها فتاة ذكية لا يغيب عنها شىء ولا تحب فرانكلين ولم تحبه قط .

ادهشنى قوله هــذا لاننى كنت أظن انها لم تحب مريضتها أبدا . ولم البث ان أدركت فجاة أنها تعــرف عن الزوجين الكثير . وقال بويد كارنجتون :

ــ انها هنا الليلة .

وازدادت دهشتى لأن مس كرافن كانت قد غادرت ستايلز بمجرد ان انتهت مراسم الدفن .

ــ ٤ ــ

اظن انه يجب ان اقول من الآن اننى لم اواجه فى اية لحظة احتمال فشل بوارو ، وفى النضال الذى دار بينه وبين « س » لم يخطر لى ابدا ان الجانى يمكن ان يتغلب عليه . وعلى الرغم من صحة صديقى السيئة فاننى ظللت محتفظا بثقتى فيه واعتبرته أقوى الغريمين لأننى اعتدت منذ سنوات طويلة على نجاحه فى كل قضية من قضاياه .

ومع ذلك فقد كان هو اول من زرع بذور الشك فى نفسى فقد ذهبت اليه لكى اراه قبل ان اهبط لتناول العشاء ولا ادرى لماذا قال لى عندئذ :

ــ اذا حدث لى شيء . .

واحتججت فى قوة واكدت له انه لن يقع له شيء فقال : انت لم تول اقوال الدكتور فرانكلين اى اهتمام اذن ؟

ــ ان فرانكلين لا يعرف اكثر من غيره ، وما زالت امامك سنوات كثيرة يا بوارو .

ــ هذا جائز يا صديقي ولكنه بعيد الاحتمال . ولكننى كنت اشير الى شيء آخر ، فعلى الرغم من اننى قد أموت من لحظة لأخرى ، فقد لا يروق ذلك لصاحبنا « س » . انه رجل ذكى . . ذكى جدا . . ولن يغيب عنه أن موتى قبل الأوان ، ولو ببضعة ايام سيكون فيه خير كبير له .

ــ ولكن . . ولكن . . ماذا افعل عندئذ ؟

ــ عندما يقع أحد الضباط صريعا فى الميدان فان مساعده يتولى القيادة يا صديقى ، واذا حدث لى هذا فعليك ان تستأنف المهمة .

ــ وكيف استطيع ذلك . . اننى لا أعرف شيئا على الاطلاق .

ـ اننى توقعت كل شىء . اذا وقع لى اى شىء فستجد هنا المستندات التى تحتاج اليها .

وربت بيده على الحافظة المقفولة بالمفتاح والموضوعة بجـــواره .

ـ لا حاجة بك الى كل هذا المكر .. يكفى أن تخبرنى الآن بما يجب ان أعرف .

ـ كلا .. يا عزيزى .. ان عدم معرفتك ببعض النقاط التى اعرفها ورقة رابحة فى يدك .

ـ لعلك تركت له بيانا مفصلا عن كل القضية .

ـ كلا طبعا .. فان « س » قد يحاول الاســـتيلاء عليـــه .

ـ ماذا تركت لى اذن ؟

ـ ارشادات لا قيمة لها بالنسبة لـــ « س » ولكنها سترشدك انت الى الحقيقة .

ـ لست واثقا من ذلك . ما هذه العقلية المعوجة يا بوارو . انك احببت دائما أن نعقد الأمور .

ـ اظن انها عادة متأصلة عندى ، ولعـــلك على صواب ، ولكن اطمئن .. ان ارشاداتى ستقودك الى الحقيقـــة .

وسكت لحظة ثم استطرد : ومن يدرى . لعلك تتمنى عندئذ لو انك لم تعرف هذه الحقيقة أبدا .

وكان فى صوته رنة جعلتنى اشعر مرة اخرى بذلك الخوف المبهم الذى سبق أن احسست به قبل ذلك مرة أو مرتين . فقد بدا لى كأن هناك شيئا خفيا لا اريد أن أراه ولا أستطيع ان أحتمل رؤيته .. شيئا أعرفه فى قرارة نفسى ويستعصى على فهمه .

ولكننى لم البث أن طرحت هذه الفكرة من راسى واستأذنت من بوارو وهبطت الى غرفة الطعام .

الفصل السابع عشر

— ١ —

كان العشاء مرحا ، وقد حضرته مسز لوتريك وحاولت جهدها أن تكون ظريفة بلهجتها الايرلندية الكاذبة . وظهرت مس كرافن لاول مرة بزى عادى غير زى المرضة وخيل لى الآن وقد تخلت عن تحفظها المهنى فانها اصبحت اكثر جمالا وفتنة .

وبعد أن فرغنا من الطعام اعلن نورتون أن فى نيته أن يمضى لزيارة بوارو فقال بويد كارنجتون .

— هذه فكرة طيبة . اظن أننى سارافقك .

تدخلت على الفور قائلا : معذرة .. ان صديقى متعب جدا ولا يستطيع ان يتحدث الى اكثر من شخص واحد فى نفس الوقت .

ونهض نورتون واسرع يقول : انما سأذهب اليه بكتاب عن الطيور كنت قد وعدته به .

ورافقت نورتون . وكان بوارو ينتظره . وبعد أن تبادل معه بضع كلمات هبطت الى الصالون وبدأنا نلعب البريدج .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة الا الربع عندما ذهبت الى غرفتى . وكانت العاصفة قد اشتدت وراح الرعد يدوى من وقت لآخر . وبدأ النوم يتغلب على عندما أيقظتنى حركة . وحسبت فى بادىء الامر أن بعضهم طرق بابى فصحت أقول فى صوت يغالبه النعاس « ادخل » ولما لم اسمع ردا أشعلت المصباح وتسللت خارج الفراش ومضيت الى الباب لكى ألقى نظرة الى الطرقة .

رايت نورتون يخرج من غرفة الحمام ويدخل غرفته. وكان يلبس ثوبه المنزلي ذى المربعات البغيض اللون . وكان مشعث الشعر كعادته . واغلق الباب خلفه ثم سمعت المفتاح يدور فى قفل الباب على الفور .

ودوى الرعد فى هذه اللحظة واقتربت العاصفة فعدت الى فراشى وانا اشعر بها جس غريب . هل من عادة نورتون أن يغلق بابه بالمفتاح ؟ أو هل نصحه بوارو بذلك زيادة فى الاحتراس . واحسست بشىء من الجزع عندما تذكرت أن مفتاح غرفة بوارو اختفى بطريقة غامضة بعد قدومه بقليل .

وتمددت فوق فراشى ولم اغمض عينى وقد ازداد احساسى بالقلق . وراح الرعد يدوى ويزداد معه انفعالى ، ونهضت اخيرا واغلقت انا الآخر غرفتى بالمفتاح ثم عدت الى فراشى ونمت .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الى غرفة بوارو قبل ان اهبط لكى اتناول طعام الافطار . وكانت حالته قد ازدادت سوءا . وسألته قائلا :

ــ كيف حالك هذا الصباح ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة وقال : ما زلت اعيش يا صديقى ولكننى متعب جدا .

ــ ماذا حدث امس ؟ هل قال لك نورتون ماذا راى فى ذلك اليوم ؟

ــ نعم . قال لى ذلك .

ــ وماذا راى ؟

ــ لا ادرى ياهاستنجز هل من الخير ان اقول لك ذلك ، فانك قد تسىء الفهم .

ــ ولكن تكلم .

ــ قال لى انه راى شخصين .

صحت : جوديت واللرتون طبعا . ظننت ذلك فى حينه .

ــ كلا . الم اقل لك انك ستسىء الفهم .

ــ قلت مرتبكا : معذرة . . من راى اذن ؟

ــ قد اقول لك ذلك غدا . . اما الآن فدعنى افكر .

واطبق عينيه واسند راسه فوق الوسادة وقال : لقد انتهت القضية الآن ، ولم يبق امامى غير بضع نقاط تحتاج الى توضيح . اهبط الآن وتناول طعامك يا صديقى وابعث الى بكورتيس .

واطعته دون اى احتجاج فقد اردت ان ارى نورتون وان اعرف ماذا قال لبوارو فقد ادهشتنى حالة هــذا الاخير وما طرا عليه من حزن لم اجد له تعليلا .

ولكن نورتون لم يكن فى غرفة الطعام . وبعــد ان تناولت افطارى خرجت للقيام بجولة فى الحديقة ، وكانت عاصفة الامس قد رطبت الجو ورايت ان المطر قد هطل كثيرا . وكان بويد كارنجتون واقفا فى الشرفة وقال يخاطبنى :

ــ انك تأخرت اليوم كثيرا .

قلت : هذا صحيح ، فقد نمت الليلة اكثر من العادة .

ــ كانت العاصفة شــديدة بالامس . هل سمعت الرعد ؟ اننى لم اكن فى احسن حالاتى امس . هل سمعت الرعد ؟ . .

وتمطى . ثم تثاءب وقال : أين نورتون ؟

اجبت : انه لم يهبط بعد . انه كسول كما تعرف .

ورفعنا اعيننا فى وقت واحد فقد كانت غرفة نورتون فوقنا بالذات وادهشنا أن نرى انها هى الغرفة الوحيدة التى ما زالت نوافذها مغلقة وقلت :

ــ هذا عجيب . هل تظن انهم نسوا ان يوقظوه ؟

ـ هذا عجيب حقا . ارجو أن لا يكون مريضـــا .
لنصعد لكى نستطلع الأمر .

وصعدنا السلم معا . وكانت الخادمة تقف فى الطابق الأول وكانت على شىء من الغباء . وردت على سؤال بويد كارنجتون وقالت ان نورتون لم يرد عليها عندما قرعت بابه . واقتربت من الباب ورأيت انه مقفـــل بالمفتاح من الداخل وخامرنى احساس كئيب فدفعت الباب بكتفى وانا اقول :

نورتون . . نورتون . . استيقظ .

ولكنه لم يرد .

ـ ٣ ـ

وعندما تحققنا اننا لن نســـمع منـــه ردا بحثنا عن الكولونل لوتريل ، واصغى الينا وهو يفتل شاربه فى ارتباك ولكن زوجته كانت اسرع منه فى اتخاذ القــرار فقالت دون أى تردد :

ـ يجب أن نفتح هذا الباب بأية طريقة .

وللمرة الثانية فى حياتى شهدت بابا يتحطم فى قصر ستايلز ووجدنا خلف الباب ما سبق أن وجدناه فى المرة الأولى : جثة هامدة .

كان نورتون راقدا فى فراشه وكان مرتديا ثوبه المنزلى وكان لا يزال ممسكا بقبضة مسدس صغير فى يده . كان يبدو كلعبة صغيرة ولكنه كان قد قام بدوره فقد رأيت فى منتصف جبين نورتون ثقبا . وكان مفتاح غرفتـــه فى جيبـــه .

ــ ٤ ــ

وما أن دخلت غرفة بوارو حتى دهشت لما طرأ على وجهه من تغيير .

وسألني يقول على الفور :

ــ ماذا حدث ؟ . . نورتون ؟

ــ مات .

ــ متى وكيف ؟

اطلعته على ما حدث فى بضع كلمات واردفت : هو انتحار بالتأكيد ، فلا يمكن أن نواجه احتمالا آخــر ، فقد كان الباب مقفلا بالمفتاح من الداخل . وكان المفتاح فى جيبه . وكانت النوافذ مغلقة هى الأخرى . وقد رأيته امس وهو يدخل غرفته وسمعت المفتاح يدور فى القفل .

ــ تقول انك رأيته ؟ . . هل أنت واثق انه هو ؟

ــ طبعا ، فانني لو رأيت ثوبه البغيض فى اى مكان لعرفته على الفور .

قال بوارو وقد استعاد طريقته السالفة : آه ياصديقى ولكننى أريد أن أتأكد هل رأيت الرجل نفسه ؟ . . ان اى شخص يستطيع أن يرتدى ثوبه .

قلت فى بطء : صحيح أننى لم أر وجهه . . ولــكننى رأيت شعره المشعث . . ثم انه كان يعرج .

ــ ان اى شخص يمكن ان يتظــاهر بأنه يعــرج ياهاستنجز .

نظرت اليه مشدوها وقلت : هل تزعم أننى رأيت شخصا آخر غير نورتون ؟

ــ لاأزعم شيئا من هذا ، ولكن الأسباب التىتبرر بها انك رأيت نورتون لا تروق لى . ولاتظن لحظة واحــدة اننى أريد الايحاء بأنه لم يكن هو ، وانه لمن المتعذر ان

تكون قد رايت شخصا آخر لأن كل المقيمين هنا أطــول منه قامة . ومع ذلك فان الأمر يبدو كما لو كان سحرا . يدخل غرفته ويغلق الباب عليه بالمفتاح ويضع المفتــاح فى جيبه ، وفى الصباح يجدونه ميتا والمفتاح فى جيبه !

ــ أنت لا تعتقد اذن أنه . . انتحر ؟

هز بوارو راسه فى بطء وقال : كلا . ان نورتون لم ينتحر ، وانما قتل .

ــ • ــ

هبطت وانا فى شدة الاضطراب . كان الأمر مستغلقا جدا ، ولا ريب أنني استحق الصفح لأننى لم افهم ولم اتوقع النهاية الأخيرة ويرجع ذلك الى ان عقلى المضطرب لم يكن يعمل كما يجب .

ومع ذلك فقد كان كل شىء واضحا تماما . فقد قتل نورتون . . ولكن لماذا ؟ . . وقلت لنفسى لكى يحولوا بينه وبين أن يذكر ما رآه طبعا .

ولكنه أفضى بما يعرفه لبوارو ، وقد اصبح بوارو الآن فى خطر . . لم يكن فى خطر فحسب وانما كان عاجزا عن الدفاع عن نفسه .

وكان يجب أن افهم . . بل كان يجب ان أتوقع . . فعندما ذهب اليه كورتيس وجده قد فارق الحياة .

الفصل الثامن عشر

كنت اتمنى ان لا اكتب ما يلى ، بل اننى وددت ان لا افكر فيما حدث بعد ذلك . فقد مات هركيول بوارو
ولكننى سأحاول على الرغم من ذلك أن أسرد الحقائق
ولكننى سأحاول على الرغم من ذلك أن اسر الحقائق بكل بساطة ، وهذا كل ما أشعر بأننى مستطيعة .

قيل أن هركيول بوارو مات موتة طبيعية وبالتحديد بالسكتة القلبية ، كما توقع الدكتور فرانكلين ، لا ريب أن الصدمة التى احس بها عند موت نورتون هى التى تسببت فى ازمته ، ولكننى اظن أنه قد حدث سهوا وأن انبولات الامنترات لم تكن فى متناول يده لسبب من الأسباب .

ولكن هل كان ذلك سهوا حقا ؟ الم ينقلها احد من مكانها عمدا ؟ ولكن لا ريب ان شيئا آخر قد حدث لأن ما من أحد كان يتوقع أن تحدث له ازمة فى ذلك اليوم بالذات . ومع ذلك فلم أصدق أن موتته كانت طبيعية ، فقد قتل هركيول بوارو كما قتل نورتون وكما قتلت بربارا فرانكلين .. قتلوا جميعا ولا أدرى لماذا او من الذى قتلهم .

وافضى التحقيق الى ان نورتون مات منتحرا ومع ذلك فقد قال الطبيب الشرعى انه ليس من المعتاد ان ينتحر المرء بأن يطلق الرصاص فى منتصف جبهته . كانت هذه هى النقطة المزعجة فى الأمر لأن كل الباقى كان واضحا تماما فقد كان الباب مغلقا من الداخل بالمفتاح وكان المفتاح فى جيبه وكانت النوافذ مغلقة والمسدس لا يزال فى يده . وصحيح أن نورتون كان

يشكو كثيرا من الصداع فى الايام الأخيرة ثم انه تعرض لخسارة جسيمة فقد هبطت قيمة الأسهم التى كان يملكها هبوطا ذريعا . ولكن كانت كل هذه الأسباب لا تبرر الانتحار . ومع ذلك فقد كان الانتحار واضحا لا يقبل الشك . كان المسدس ملكا لنورتون وقد رأته الخادمة مرتين فى غرفة نومه . وعلى الرغم من ذلك فقد اعتقدت اعتقادا راسخا انها جريمة قتل دبر مرتكبها لكى تبدو كما لو كانت انتحارا .

وهكذا انتصر « س » على بوارو .. ولكن من هو « س » كان على الآن أن أهتدى اليه .

صعدت الى غرفة بوارو واخذت حافظته الجلدية ، وكان لى الحق فى ذلك تماما لأننى كنت أعرف أنه عيننى لكى اكون منفذا لوصيته . وكان مفتاح الحافظة معلقا فى عنقه .

ولكن عندما عدت الى غرفتى وفتحت الحافظة أصبت بأكبر صدمة فى حياتى فقد اختفت الملفات الخمسة التى سبق أن تحدثنا عنها ، وكنت قد رأيتها بالأمس لآخر مرة عندما فتح بوارو الحافظة أمامى . وكان فى اختفائها اكبر دليل على تدخل القاتل لأننى استبعدت تماما أن يكون بوارو قد أتلفها بنفسه .

س .. دائما هذا الشيطان اللعين !

ومع ذلك فلم تكن الحافظة فارغة تماما . وتذكرت وعد بوارو . كان لابد ان اجد بعض الارشادات التى تقودنى الى الحقيقة ولكن لم يكن بالحقيبة غير كتابين . نسخة عادية من عطيل لشكسبير ومسرحية من تأليف سنت جون ارفين عنوانها جون فيرجسون ، وكان بهذا الكتاب الأخير شريط بين صفحات الفصل الثالث .

ونظرت الى الكتابين مشدوها . لو ان هــذه هى الارشادات التى تركها لى بوارو فانها لن تفيدنى بأى حال من الأحوال وقلت لنفسى على الفور لابد أن هناك شفرة أساسها فى هذين الكتابين ، ولكن كيف أجدها . لم يكن هناك أى خط تحت اية فقرة او اية كلمة او اى حرف . وعرضت الكتابين على درجة من السخونة ولكن دون اية نتيجة .

وقرات الفصل التالث من مسرحية جون فيرجسون بعناية كبيرة ولكننى لم أهتد الى شىء . وفيما أنا اقلب صفحات الكتاب وقعت منه ورقة فأسرعت بالتقاطها ، وما كانت أشد دهشتى عندما قرأت فيها عبارة كتبهـا بوارو بخط يده . وهذا نصها :

« اذهب لمقابلة خادمى جورج » .

وهكذا عثرت أخيرا على شىء يمكن أن يكون اشارة، ولعله مفتاح الشفرة ، هذا اذا كانت هناك شـفرة . . يجب ان أبحث عن عنوان جورج الآن وأن امضى اليه .

ولكن كان على قبل ذلك أن افرغ من تلك المهمـة الحزينة ، وهى دفن صديقى . وكان قد عاش فى هذه الناحية من قبل عندما وضع قدمه لأول مرة فى انجلترا ، وكان لابد أن يرقد فيها الآن رقدته الأخيرة .

وفى أثناء هذه الايام العصيبة أظهرت جوديث نحوى طيبة كبيرة فلم تفارقنى تقريبا واحاطتنى برعايتهـا وعطفها وساعدتنى فى اتمام الاجراءات المختلفة . وابدت اليزابيث كول وبويد كارنجتون ودا وعطفا كبيرا نحوى بدورهما . وبدأ على المرأة الشابة انها لم تحزن كثيرا لموت نورتون كما كنت أتوقع . واذا كانت قد حزنت حقا عليه فقد أخفت شعورها فى داخلها .

ــ ٢ ــ

وانتهت اجراءات الدفن أخيرا وجلست مع ابنتى وحاولت أن أخطط للمستقبل عندما قاطعتنى قائلة :

ــ ولكننى لن أكون هنا يابابا .

ــ لن تكونى هنا ؟ . . ماذا تعنين ؟

ــ لن أكون فى انجلترا .

نظرت اليها فى ذهول فعادت تقول : لم اشأ ان اتكلم معك فى هذا الأمر قبل اليوم لأننى حرصت على عدم ازعاجك ، ولكن يجب أن أصارحك الآن ، وارجو أن لا يضايقك ذلك كثيرا . اننى سأرحل الى افريقيا مع الدكتور فرانكلين .

لم أستطع ان أملك نفسى . ما كان ليجدر بها ان تفعل هذا ، وسوف يجد الجميع فى هذا العمل مادة للثرثرة . فان تكون مساعدة للدكتور فرانكلين، خصوصا وزوجة هذا الأخير على قيد الحياة شىء ، وان ترحل الى أفريقيا معه فشىء آخر . كان هذا مستحيلا ، وكان لابد لى من الاعتراض بكل الطرق ، فلا يجب أن تتصرف هكذا ، بل لا يمكن ان تتصرف هكذا .

وتركتنى أتكلم من غير أن تقاطعنى . ثم ابتسمت أخيرا وقالت : ولكن يا أبى العزيز . . لن أرافقه كمساعدة وانما كزوجة .

احسست كأننى تلقيت ضربة شديدة فوق جبينى وقلت متلعثما : ولكن . . والله . . اللرتون ؟

قالت جوديث فى شىء من المرح : لم يكن بينى وبينه اى شىء ابدا . ولولا انك اثرت حنقى بظنونك وشبهاتك لأخبرتك بذلك من قبل . ثم اننى اردت أن اتركك تعتقد .

ما اعتقدت .. حرصت على ان لا تخمن ان الامر يتعلق بـ .. بجون .

ـ ولكننى رايتك تعانقين اللرتون تلك الليلة .

ـ أوه .. اننى اعرف . شعرت فى تلك الليلة باننى تعيسة وحائرة .. وهذه أشياء تقع كما تعرف .

ـ ولكنك لا تستطيعين الزواج بفرانكلين هكذا سريعا .

ـ بل استطيع ، فاننى اريد أن ارافقه وليس هناك ما يحدونا الى الانتظار .. الآن .

جوديث وفرانكلين ! .. فرانكلين وجوديث !

لا يمكن للقارىء أن يفهم الأفكار التى دهمتنى فى تلك اللحظة .. أفكار كان يختزنها العقل الباطن منذ بعض الوقت .

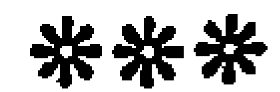
جوديث وفى يدها قنينة .. جوديث تصرح فى حماس كبير انه يجب استبعاد الناس الذين لا يرجى أى نفع منهم . أيكون الشخصان اللذان رآهما نورتون هما جوديث وفرانكلين ؟ .. ولكن اذا صح هذا .. اذا كان هذا هو ما حدث .. كلا . لا يمكن ان يكون ذلك . لا يمكن أن تقدم جوديث على مثل هذا العمل .. ربما فرانكلين ، فهو رجل مجرد من كل شعور واحساس ، واذا كان قد عقد النية على القتل فان فى مقدوره أن يقتل من جديد .

لقد أراد بوارو أن يستشير فرانكلين فلماذا ؟ وماذا قاله له فى ذلك اليوم ؟ لقد بدا لى صديقى العزيز غريب الأطوار فى ذلك اليوم لقد قال لى .. ومن يدرى ، لعلك تتمنى عندئذ لو انك لم تعرف هذه الحقيقة أبدا .

وفجأة خطرت ببالى فكرة .. وكانت بشعة فظيعة .. الا يمكن أن تكون كل هذه القصة التى تدور حول «س»

قصة مختلقة لا أساس لها من الواقع ؟ الا يمكن أن يكون بوارو قد أقبل الى ستايلز لأنه كان يخشي وقوع مأساة بين آل فرانكلين ؟ أيكون قد أقبل لمراقبة جوديث؟ الهذا السبب لم يشأ أن يطلعنى على شيء لأن قصة « س » لم تكن فى الواقع الا ستارا من الدخان حاول به اخفاء الباقى ؟

أتكون جوديث . . ابنتى جوديث محور الفاجعة كلها ؟ كنت قد أخذت كتاب عطيل من المكتبة فى الليلة التى ماتت فيها مسز فرانكلين . أيكون هو الدليل ومفتاح اللغز .



الفصل التاسع عشر

أكتب هذه السطور وانا فى ايستبورن حيث انتقلت لمقابلة خادم بوارو القديم . وكان جورج قد قضى فى خدمة صديقى الحميم سنوات عديدة ، وهو رجل كفء قدير ولكنه كان يفتقر الى الخيال وقد حزن كل الحزن لوفاة بوارو وان كان قد حاول اخفاء مشاعره .

وسألته بعد فترة :

انه ترك لى رسالة معك ، اليس كذلك ؟

ـ لك أنت يا سيدى ؟ . . كلا . لم يترك لك شيئا .

وادهشنى رده والححت عليه ولكنه كان قاطعا واكد لى أن بوارو لم يترك لى أية رسالة . واضطررت أن اتراجع اخيرا قائلا :

ـ لا ريب أننى أخطأت . تمنيت لو انك كنت بجواره فى أيامه الأخيرة .

ـ كنت أود ذلك يا سيدى .

ـ ولكن أباك كان مريضا طبعا ، وكان لابد لك أن تكون معه .

تأملنى جورج لحظة فى ذهول ثم قال : معذرة يا سيدى . ولكننى لا افهمك جيدا .

ـ أقول انك اضطررت لمفارقة مستر بوارو لكى نعنى بأبيك المريض .

ـ ولكننى لم أكن أريد مفارقته يا سيدى . . انه هو الذى اقصانى عنه .

رددت دون أن افهم : اقصاك ؟

ـ لا أريد أن أقول انه طردنى . كان المفروض أن أعود الى خدمته فيما بعد . ولكننى رحلت كما أراد .

وقد أنقدنى مرتبى طوال الوقت الذى قضيته مع أبى
ــ ولكن لم كل هذا يا جورج ؟
ــ لا أدرى يا سيدى .
ــ الم تسأله ؟
ــ ما كنت لأسمح لنفسى بهذا يا سيدى ، فقد كانت له آراؤه الخاصة . كان ذكيا جدا وكنت أكن له أكبر الاحترام .
قلت فى شرود : نعم . طبعا .
ــ كان شديد الصعوبة فيما يتعلق بثيابه وهندامه ، كما كان يعنى بشعره وشاربه كل العناية .
ــ آه . . لقد كان شاربه هذا فريدا . . أظن انه كان بصبغه هو الاخر كما كان يصبغ شعره .
ــ كان يصبغ شاربه من وقت لاخر اما شعره فلم يعد يصبغه منذ بضع سنوات .
ــ ولكن هذا مستحيل . لقد كان لونه أسود جــدا ويبدو طبيعيا كما لو كان باروكة .
سعل جورج فى ارتباك وقال : ولكنه كان باروكة بالطبع يا سيدى ، فقد فقد مستر بوارو الجزء الأكبر من شعره فى السنوات الأخيرة ولهذا لجأ الى الباروكة .
ورأيت أن من العجيب حقا أن يعرف الخادم عن سيده اكثر مما يعرف أخلص اصدقائه ، ولكننى عدت الى الموضوع الذى يهمنى فقلت :
ــ الا تعرف لماذا أبعدك مستر بوارو عنه بعض الوقت حقا ؟ فكر جيدا .
ــ لا يسعنى الا أن أتصور شيئا واحدا يا سيدى ، وهو أنه فعل ذلك لأنه اراد أن يلحق كورتيس بخدمته .
ــ كورتيس ؟ . . ولكن لماذا أراد أن يلحقه بخدمته .

ســــعل جورج مرة أخرى وقـــال : اذا اردت الحق ياسيدى فاننى لا ادرك . لقد رأيت كورنيس مرة واحدة وبدا لى أنه بفتقر الى الذكاء . كان قويا ولكن خيل لى أنه لا ينتمى الى طبقة الخدم التى تروق لبوارو واظن أنه كان فى يوم من الأيام مستخدما فى احدى المصحات .

نظرت اليه مشدوها . . كورنيس !

الهذا السبب رفض بوارو أن يثق بى ويفضى الى بسره ؟ . . كورتيس ! . . الرجل الذى لم أفكر فيــه لحظة واحدة ؟ . . لقد تركنى بوارو أبحث عن « س » الغامض بين ضيوف ستايلز وهو يعلم جيدا أنه ليس بينهم .

كورتيس ! . .

كان فى يوم من الأيام مستخدما فى احدى المصحات . الم أقرأ ذات يوم أن المرضى الذين يعالجون فى احــدى المصحات يبقون فى خدمتها فى أغلب الأحيان ؟ . . انه رجل غريب الأطوار متبلد الذهن استطاع أن يقتل لسبب غامض تولد فى عقله المختل .

ولكن . اذا كان الأمر كذلك ؟

وبدا لى أن سحابة مظلمة تبتعد عنى .

كورتيس ! . .

***

الخاتمـــة

بعد مضى أربعة شهور على وفاة صديقى هركيول بوارو جاءتنى كلمة من أحد المحامين يطلب منى فيها أن أمضى الى مكتبه ، وهناك سلمنى ، طبقا للتعليمات التى تركها له عميله مظروفا مختوما وجدت فيه البيان التـــالى :

* * *

صديقى العزيز

عندما تقرأ هذه السطور يكون قد مر على وفاتى أربعة شهور ، وقد ترددت فى بادىء الأمر فى كتـــابة ما يلى ولكن بدا لى أن من الضرورى أن يعرف أحـــد الحقيقة عن القضية الثانية لقصر ستايلز ، وأظن أنك عندما تبدأ فى قراءة هذا البيان تكون قد بنيت لنفســك أغرب النظريات دون ان تصل الى النتيجة الصحيحة .

ولكن دعنى اقول لك يا صديقى انه كان فى مقدورك أن نهتدى الى الحقيقة بكل سهولة لأننى كنت قد تدبرت الأمر وقدمت لك كل الأدلة التى يجب أن تهديك اليها ، واذا لم تكن قد اكتشـــفنها حتى الآن فذلك لأنك كنت وما زلت مغترا بنفسك الى حد بعيد .

كان يجب أن نعرف على الأقل من الذى قتل نورتون حتى اذا ظل موت بربارا فرانكلين مستغلقا عليك .

ولكن لنبدأ من البداية . اننى استدعيتك الى ستايلز زاعما أننى بحاجة اليك ، وكان هذا صحيحا . وقلت لك انه يجب أن تكون بمثـــابة عينى وأذنى وكان هـــذا صحيحا أيضا ، ولكن ليس بالمعنى الذى أخذت انت به

لكلماتي فقد اردت أن ترى ما أريد أن تراه وأن تسمع ما أريد أن تسمعه .

وقد شكوت لقلة صراحتي معك للطريقة التي عرضت عليك فيها هذه القضية . وصحيح انني رفضت أن اكشف لك عن شخصية « س » ولكن كان لابد لى من أن أفعل ذلك ولكن لسبب آخر غير الأسباب التى ذكرتها لك كما سوف تفهم بعد قليل .

انني أطلعتك على موجز كتبته عن خمس قضـــايا مختلفة وقلت لك أن الشخص المشبوه أو المتهم فى كل من هذه القضايا هو الذى ارتكب الجريمة حقـــا وأنه ليس هناك أدنى شك فى ذلك ، ثم أوضحت لك بعد ذلك النقطة التالية وهى ان « س » كان موجودا فى مكان الجريمة او على مقربة منه عند وقوعها واستنتجت انت من ذلك على الفور استنتاجا خاطئا وهو أن «س» هو الذى ارتكب هذه الجرائم .

ولكن الظروف التى لابست كل جريمة كانت تدل على أن الشخص المتهم هو الوحيد الذى ارتكبها . فكيف نفسر وجود «س» اذن ؟ وفيما عدا شخص له اتصال بالبوليس أو بجماعة من المحامين الخربىالذمة فانه ليس من الطبيعى أن نجد شخصا ، سواء كان رجلا أو امرأة . متورطا فى خمس جرائم مختلفة . ان هذا لا يحدث ابدا ولن يأتيك أى أحد لكى يقول لك سرا « انني عرفت خمسة من القتلة » .. كلا . هذا غير ممكن . كنا فى الواقع أمام حالة غريبة لعبت فيهـــا الوساطة دورا كبيرا . كان هذا هو الموقف . فعنـــدما يكون « س » موجودا تقع جرائم قتل ، ولكنه لم يكن يشترك فيها اشتراكا فعليا .

كان هذا موقفا فريدا لا مثيل له على الاطلاق . وفهمت

اننى التقيت اخيرا فى آخر حياتى العملية بالقاتل المثالى الذى رسم خطة فنية بحيث لا يمكن ادانته أبدا .

كان هذ أمرا مدهشا حقا ولكنه لم يكن بالشىء الجديد فقد سبق أن راينا حالات مماثلة . ونأتى الآن الى أول الأدلة التى تركتها لك وهى مسرحية عطيل ، فان فيها أصدق نموذج يمكن ان ينطبق على « س » نعم . أن ياجو هو القاتل المثالى ، فان موت ديدمونة وكاسيو وعطيل نفسه ما هى الا جرائم دبرها ياجو ، ومع ذلك فقد بقى بعيدا عن الشبهات واستطاع أن يبقى بعيدا عنها لأن شكسبير العظيم وجد نفسه أمام المعضلة التى خطط لها هو نفسه ، فلكى يكشف القناع عن ياجو لجأ الى حيلة فظة وأعنى بها المنديل ، وهى والحق حيلة لا تتفق وطريقة ياجو الفنية بحيث نحس على الفور أن هذا خطأ ما كان يجب أن يقع فيه .

نعم ، هنا تبدو المثالية فى الفن الاجرامى . . ولا كلمة تحريض واحدة بصورة مباشرة ، فان ياجو ظل يبعد الآخرين عن طريق العنف مفندا فى رعب شبهات لم تكن لتخطر على بال أحد قبل ان يذكرها هو نفسه . .

ونفس الشىء فى الفصل الثالث من مسرحية جون فيرجسون ، حيث يدفع الأبله كلوتى جون غيره الى قتل الرجل الذى يكرهه ، وهو عمل ايحائى نفسى رائع .

ومن هنا يا هاستنجز تفهم ان كلا منا يمكن أن يغدو قاتلا ، ففى كل منا تظهر من وقت لآخر الرغبة فى القتل وهى مجرد رغبة تدور فى ذهن كل منا فكم من مرة سمعت فيها هذه العبارة « انها اثارت غضبى بطريقة كان من الممكن أن تدفعنى الى قتلها » . . « كان فى مقدورى أن أقتله بسبب عبارته هذه » . . «كنت محنقا بحيث اننى

فكرت فى ان اقطع عنقه » وكل هذا صحيح فان ذهنك يكون فى مثل هذه الاوقات صافيا تماما وتود لو أن تقتل هذا الشخص أو ذاك ولكنك لا تفعل ذلك لأن ارادتك لا تحبذ رغبتك .

ومن هذا ترى اننا جميعا يمكن ان نقدم على القتل ونية « س » كانت لا تكتفى بالايحاء بالرغبة وانما كانت تعمل على تحطيم مقاومة الارادة .

ويجب أن تعرف يا هاستنجز ان هذا قد حدث لك أنت بالذات . ولعلك تفهم الآن بعض ملاحظاتى التى تسببت فى ازعاجك ، فعندما قلت ان جريمة سوف ترتكب لم اكن أشير الى نفس الجريمة دائما . وقد قلت لك أننى قدمت الى ستايلز لغرض معين لأن جريمة قتل سترتكب فيه وقد دهشت وانت ترانى متأكدا من نفسى هكذا . ولكننى كنت متأكدا طبعا لأننى أنا نفسى كان يجب ان ارتكب هذه الجريمة .

نعم يا صديقى . هذا غريب ، وفظيع كذلك . فأنا الذى لا اقر الجريمة واحترم الحيـاة البشرية انهيت حياتى العملية بارتكاب جريمة قتل . ولعل ذلك لأننى كنت أكثر نفاقا وأكثر ادراكا باستقامتى بحيث أننى وجدت نفسى أخيرا أمام هذه المعضلة الرهيبة . فان مهمتى فى الحياة قامت دائما على انقاذ البرىء واتقاء جريمة القتل ، ولكننى لم أكن استطيع ان أتقى الجريمة هذه المرة الا بطريقة واحدة ، لأن القانون لم يكن يستطيع ادانة « س » كما نعرف . فقد كان فى أمان تام ولم أر طريقة أخرى لكى أتأكد من هزيمته وأن أضعه فى موقف لا يستطيع منه أن يسىء الى أحد بعد .

ومع ذلك فقد ترددت . رأيت فى وضوح ما يجب ان افعل ولكننى لم أستطع أن أقدم عليه . كنت أشبه

بهاملت ورحت أؤخر ساعة القصاص باستمرار ولكن لم تلبث ان وقعت محاولة أخرى .. فى شخص مسز لوتريل .

وقد أردت أن أعرف يا هاستنجز اذا كانت حاسة الشم التى اشتهرت بها ستظهر ايضا هذه المرة ، وقد حدث هذا فعلا ، فقد كان أول رد فعل لك هو انك اشتبهت فى نورتون فى غموض . وقد اصبت فان نورتون هو رجلنا . ولم يكن لديك ما يدعم نظريتك غير تلك الملاحظة التى أبديتها فى شيء من الخجل حيث قلت ان الرجل يبدو غير مؤذ ، ومع ذلك فانك كنت فى تلك اللحظة قريبا جدا من الحقيقة .

وقد اكببت على دراسة حياة ذلك الرجل دراسة وافية . كان الابن الوحيد لامراة مستبدة متسلطة ، ويبدو أنه لم يستطع ان يثبت وجوده أو يفرض نفسه ، وكان يشكو من عرج خفيف يمنعه من الاشتراك مع زملائه فى العابهم الرياضية فى المدرسة .

واحدى النقاط التى ذكرتها لى والتى لهـا معناها هى سخرية زملائه منه حين تملكه الغثيان أمام منظر أرنب مذبوح . واظن ان هذا الحادث كان له اعمق الأثر فى حياته فقد كان يكره الدم والعنف ، وكان يفقد سيطرته على نفسه أمامهما . وانتظر على غير وعى منه الفرصة لكى يفرض نفسه ولكى ينتقم ويثبت بذلك قسوته وجسارته .

وأظن انه اكتشف قدرته فى التأثير على الغير وهو لا يزال حدثا صغيرا . كان يعرف كيف يستمع فى هدوء وكيف يثير العطف . وكان الجميع يقدرونه دون أن يعيروه أى اهتمام ، وقد ساءه ذلك كثيرا ولكنه استفاد منه فى نفس الوقت فقد ادرك أنه يستطيع ، اذا

ما استخدم الكلمات المناسبة والتحريضات اللازمة ، ان يؤثر على غيره بكل بسهولة . وكان الشيء الوحيد الضروري هو أن يفهمهم وأن يتغلغل فى أفكارهم ، وان يتوقع ردود الفعل الخفية عندهم ورغباتهم المكبوتة فى داخلهم .

هـــل تدرك يا هاستنجز الى أى حد اســـتطاع هذا الاكتشـــاف أن يمده باحساس القـــوة .. هو ستيفن نورتون الذى يحبه الجميع ويحتقرونه فى نفس الوقت كان فى مقدوره أن يحمل النـــاس على الاتيان بأعمال كانوا يريدون القيام بها أو يعتقدون انهم لا يريدون .

واستطيع أن اتصوره وهو يمارس فكرته الثابتة ، ويكتسب شيئا فشيئا حبه للعنف عن طريق الغير .. هذا العنف الذى يفتقر اليه طبيعيا والذى تسبب فى سخرية الجميع منه وازدرائهم له .

واخذت هـــذه الفكرة تنمو فى راسه وتتضخم حتى أصبحت شهوة وضرورة . كان كالمخدر يحتاج اليه بالحاح حاجة المدمن للمورفين أو الهورايين .. نورتون هذا الرجل الهاىء الوديع كان ساديا خفيا ، يعشق الألم والعذاب الذهنى ويملك مفاتيح الحياة والموت . وكان أشبه بالمدمن تماما .. لابد له من الحصول على نصيبه من المخدر .. ومن ان يجد الضحية بعد الضحية وانا واثق ان هناك حالات أخرى أكثر بكثير من الجرائم الخمسة التى استطعت معرفتها . كان يعرف اترنجتون وقد قضى الصيف فى القرية التى كان يعيش ريجس فيها وشاركه الشراب فى حانتها أكثر من مرة وتعرف بفريد اكلاى أثناء احدى الرحلات البحرية واقنعها دون أن يبدو عليه أنه اذا ماتت خالتها فان ذلك يكون خيرا .. فتتخلص المرأة من عذابها وتعيش هى فى بحبوحة .

وكان صديقا لليتشفيلد كذلك ، وعندما كان يتكلم مع مرجريت كانت نرى نفسها فى صورة بطلة تخلص اخواتها من عبوديتهن . واننى مقتنع يا هاستنجز ان ما من احد من هؤلاء كان ليرتكب جريمة لولا نفوذ نورتون .

وننتقل الآن الى احداث ستايلز .. كنت اقتفى أثر نورتون منذ بعض الوقت وعندما تعرف بفرانكلين شممت الخطر على الفور ، فقد رأى فى فرانكلين كل أنواع الاحتمالات ولا ريب أنك ادركت الآن يا هاستنجز أن كل رجل عاقل كان يجب أن يفهم أن كلا من فرانكلين وابنتك يعشق احدهما الآخر . فخشونة الدكتور وحرصه على أن لا ينظر اليها ومعاملته لها دون أية مجاملة ، كان كل ذلك كفيلا بأن يبنى لك أنه مشغوف بابنتك ، ولكنه رجل مخلص ومستقيم ولعله يتكلم فى شىء من الغلظة ولكنه ذو مبادىء ثابتة ومن رأيه ان الرجل يجب أن يبقى أمينا ووفيا للزوجة التى اختارها .

وكانت جوديث من ناحيتها تحبه حبا جارفا ميؤســا منه ، وكنت أظن انك ادركت هذا وقد حسبت هى نفسها انك ادركت ذلك فى اليوم الذى وجدتها فيه فى مزرعة الورد ، ومن هنا حدتها وغضبها فانها ما كانت لتحتمل مظاهر الشفقة والعطف .

ولكنها ادركت أنك حسبتها مشغوفة باللرتون ولم تردك عن خطئك هذا حرصا منها على أن تقى نفسها مظهرا آخر من مظاهر العطف ما كان الا ليستثير آلامها وشجونها ، وراحت تغازل اللرتون فى محاولة للبحث عن عزاء يائس وهى تعلم حقيقته تماما . كان يسرى عنها ويسليها ولكنها لم تشعر نحوه بأى شعور .

أما نورتون فكان يعــرف الحقيقة طبعا وقد رأى الاحتمالات التى يمكن ان يستفيدها من هذا الموقف ،

واظن انه حاول أن يفرض نفوذه على فرانكلين قبل ذلك وانه اخفق تماما فان فرانكلين ينتمى الى ذلك النوع الذى لا يمكن أن يؤثر عليه رجل كنورتون ، فهو رجل واضح مرهف الحس والشعور ويزدرى كل الضغوط الخارجية ، ثم أن عمله هو حبه الوحيد فى الحياة وهذه النقطة الأخيرة تجعله بمنأى عن كل خطر .

ولكن اذا كان نورتون قد فشل مع فرانكلين فقد افلح مع جوديث وهو يتحدث عن المرضى الذين لا يرجى لهم شفاء والعجزة الذين لا يستحقون العيش .

وهذه ناحية كانت جوديث تؤمن بها ايمانا راسخا .. وقد أظهر ذكاءا فائقا فتظاهر بأنه يدافع عن النظـرية المضادة ومصرحا فى هدوء بأن جوديث لن تجد الجرأة أبدا لكى تضع نظرياتها موضع التنفيذ قائلا أن هذه النظريات انما يتشدق بها الشباب ولا ينفذها أبدا .. وهذه سخرية سهلة مستهلكة ولكنها تأتى دائما بالنتيجة المطلوبة فان الشباب سريع التأثير ويجازف حتى دون أن يدرى .

وباستبعاد بربارا التى لا جدوى منها يصبح الطريق خاليا أمام فرانكلين وجوديث .. وهو لم يقل هذا صراحة بل انه أوحى بأن وجهة النظر الشخصية لا دخل لها فى الموضوع لأن جوديث اذا كانت قد اشتبهت فى أى شيء لكانت قد تصرفت بكل عنف .. ولم تكن جريمة واحدة لتكفى نورتون ولهذا حاول أن يجد فرصة أخرى لمزاولة نشاطه ووجد هذه الفرصة فى آل لوتريل .

والآن هاستنجز ، عد الى الخلف وتذكر لعبة البريدج التى اشتركت فيها فى الليلة الأولى لقدومك .. لقد نطق نورتون بملاحظات فى تلك الليلة بصوت مرتفع بحيث خشيت أن يكون الكولونل قد سمعها ، ولكن

نورتون نعمد ذلك ، فقد كان يجب أن يسمعه الكولونل لكي تنجح خطته .. وتكللت محاولته بالنجاح تحت انفك وأرسى قواعد العملية بأن جعل الكولونل يشعر بالخزى والخجل من معاملة زوجته له أمام الغير .

وتصور ما حدث بعد ذلك .. زعم نورتون بأنه ظمآن ، ولا ريب أنه كان يعرف عندئذ أن مسز لوتريل على مقربة وانها لن تلبث أن تظهر .. وتصرف الكولونل على الفور تصرف الضـــيف الكريم فعرض أن يقدم الشراب ، ومضى لكي يأتي بالزجاجة وأنتم جميعا جلوس بجوار النافذة .. ودخلت مسز لوتريل غرفة الطعام وحدث ما حدث بينها وبين زوجها على سمع منكم . ويعود الكولونل وكان فى مقـــدوركم جميعا انتقاصة والنيل من كرامته وخصوصا بويد كارنجتون لأنه رجل يميل الى المزاح والدعابة دائما ولا يهمه شعور الآخرين. ولكن أحدا منكم مع ذلك لا يتكلم فيما عدا نورتون فهو ينتهز الفرصـــة ويتمكن من تسميم الجو على الفور ومن غير أن يبدو عليه ذلك ، فيبدأ باستعادة ما حدث اثناء لعب البريدج وبذلك يعيـــد الى ذاكرة لوتريل احساسه بالخزى والمهانة ثم يتكلم عن حوادث الصيد . ويسرع بويد كارنجتون فيروى قصة الجندى الايرلندى الذى قتل أخاه ، وهى قصة سبق أن رواها نورتون بالذات وعاد هذا المغفل فرواها وهو ينسبها الى نفسه بحيث ان الايحاء الأخير لن يكون صادرا من نورتون بالذات .

كل شىء جاهز اذن . ونصل الآن الى نقطة التصدع فقـــد اهانته زوجته أمام أصدقائه واحزنه ان يراهم مقتنعين بأنه لا يستطيع التصرف وانه يتلقى كل الصفعات بكل مذلة ، ويرى أخيرا وسيلة للتخلص .. البندقية ..

وحوادث الصيد . والرجل الذى قتل أخاه . وتظهر فجأة رأس زوجته فى آخر الحديقة ، خلف الأشجار .. ليس هناك أى خطر .. سيبدو الأمر كما لو انه حادث وقع قضاءا وقدرا .. سأريهم ماذا أستطيع أن أفعل الآن .. سأريها هى . أود ان اراها ميتة .. وسوف تموت .

ولكنه لم يقتلها . وانا واثق أنه عندما اطلق النار أخطأ الهدف لأنه كان يريد ان يخطئه فى قرارة نفسه . وتحطم السحر المشئوم على الفور لأن ديزى زوجته قبل كل شيء ولأنه يحبها .

وهذه احدى الجرائم التى لم يفلح فيها نورتون .

وعندئذ يحاول محاولته الثانية . ولكن هل تعرف انك انت الذى كنت مقصودا يا هاستنجز ؟ .. كنت انت الهدف . عد الى الخلف يا صديقى وتذكر . لقد اكتشف نورتون كل نقاط الضعف فيك ولكنه اكتشف كذلك كل خصالك الشريفة والصريحة .

فان اللرتون من هؤلاء الرجال الذين تكرههم وتخشاهم بالغريزة . وكل ما تشك فيه وتعرفه عنه صحيح . ويروى لك نورتون قصة أخرى ، قصة حقيقية هذه المرة والخلاف الوحيد فيها هو ان الفتاة التى تكلم عنها كانت مريضة بأعصابها .

وتحدث هذه القصة أسوأ الأثر فى ذهنك المحافظ . هذا الرجل هو الوغد الخائن والشيطان وزئر النساء الذى يوقع الفتيات فى أحابيله ثم يدفعهن بعد ذلك الى الانتحار ومن ناحية أخرى كان نورتون يحرض بويد كارنجتون هو الآخر على ان يحدثك عن جوديث . وترى نفسك مضطرا الى التفاهم مع ابنتك ولكن هذه الأخيرة ترد

عليك كما تتوقع تماما وتقول لك انها حرة فى تصرفاتها . يحملك هذا الرد على ان تواجه اسوأ الأمور .

تأمل الآن المفاتيح المختلفة التى لعب عليها نورتون . حبك لابنتك . واحساسك بالمسئولية نحــو أولادك ، واخلاصك لزوجتك التى ماتت .. انك لا تريد أن تفشل فى المهمة التى تركتها على على عاتقك ، ومن ناحيةاخرى خدعك غرورك وحسبت انك تعلمت مني كل خفــايا المهنة . .. أضف الى كل هــذا الغيرة العمياء التى يشعر بها كل أب نحو الرجل الذى ينتزع منهابنته . نعم . ان نورتون لعب كما يلعب العازف الماهر على مفاتيح البيان وكنت انت فى يده عجينة طيعة .

والمعروف عنك يا هاستنجز انك تعلق أهمية كبيرة على ظواهر الأشياء .. وقد سلمت دون أى تفكير ان جوديث تواعدت مع اللرتون على اللقاء فى لنــدن فى اليوم التالى ، ولكنك لم ترها وهى تتكلم ، بل انك لم تسمعها ، ومع ذلك فانك كنت لا تزال مقتنعا فى صباح اليوم التالى بأنك استنتجت الاســتنتاجات الصحيحة وابتهجت وقلت لنفسك ان جوديث غيرت رأيها .

ولكن لو انك كلفت نفسك وتقصيت الحقائق لاكتشفت على الفور ان جوديث لم تكن تنوى ان تغيب فى ذلك اليوم ابدا . ثم أنه غاب عنك شىء آخر بسيط وهو أنه كان هناك شخص آخر كان يجب ان يغيب طول اليوم .. شخص استولى عليه الحنق بعد ذلك لعدم استطاعته الرحيل وأعنى به مس كرافن .. آه ، نعم . فان اللرتون ليس بالرجل الذى يكتفى بالجرى وراء امرأة واحدة ، كان قد تمادى فى علاقته مع مس كرافن أكثر

من ابنتك جوديث . وتواعد مع مس كرافن على اللقاء في لنـــدن .

وهذا العمل ، هو الأخر ، من تدبير نورتون ، فأنت قد رأيت اللرتون يعانق جوديث . ويحملك نورتون على ان تدور بالبيت لأنه يعرف ان اللرتون تواعد مع مس كرافن على اللقاء بجوار المدخل . ويتظاهر بأنه يحتجزك ثم يدعك تمضى أخيرا ويتبعك . ويرى فى العبارة التي سمعت اللرتون ينطق بها والتى لم يكن يتوقعها فرصة مفيدة له فيجرك بأسرع ما يمكن قبل ان تدرك ان المرأة الموجودة لبست جوديث .

نعم . أنه رجل ماهر حقا . ويأتى رد الفعل سريعا فتعقد انت النية على قتل اللرتون . ولكن لحسن الحظ ان لك صديقا لا يزال عقله يعمل بصورة كاملة . وليس عقله وحده الذى يعمل فحسب كما سوف ترى .

قلت لك فى بداية هذا البيان انك اذا كنت لم تهتد الى الحقيقة فذلك لأنك مغرور أكثر من اللازم ، فأنت نصدق ما يقال لك وقد صدقت ما قلت انا لك .

ومع ذلك فقد كان من اليســـير عليك ان تكتشف الحقيقة فقد ارسلت جورج الى أهله ، والحقت بخدمتى خادما آخر يقل عنه خبرة وذكاء ، فلماذا ؟ ثم انه لم يتبعنى أى طبيب مع ان المعروف عنى أننى شديد الحرص والعناية بصحتى ، وكذلك لم أشأ ان استشير أى طبيب فلماذا ؟

هل ترى الآن لماذا كان وجودك فى ستايلز ضروريا لى ؟ كان لابد لى من شخص يقبـــل كلامى على علاته ويصدقه وقد صدقت انت دون أى نقاش اننى عدت من

مصر اشد مرضا مما كنت قبل ان أمضى اليها ولم يكن هذا صحيحا لأننى عدت منها وقد تحسنت صحتى الى حـــد كبير وكان يمـــكنك أن تكتشف ذلك لو انك كلفت نفسك أية مشقة ولكنك صدقتنى واذا كنت قـــد اقضيت جورج عنى فذلك لأننى لم اكن استطيع اقناعه بأننى فقدت استخدام ساقى فجأة فان جورج ذكى وكان فى استطاعته ان يفهم على الفور بأنتى اتظاهر بذلك فهل تفهم الآن يا هاستنجز ؟ .. بينما كنت اتظاهر بأننى عاجز وبينما كنت أخدع الجميع بما فى ذلك كورتيس كنت أستطيع الحركة كما أريد بشىء بسيط من العرج .

وقـــد سمعتك فى تلك الليلة تصعد ثم تدخل غرفة اللرتون بعد تردد يسير . وتنبهت على الفور لأننى كنت قلقا جدا عليك وكنت وحدى ، وكان كورتيس قد هبط فلم أفقد لحظة واحـــدة وتسللت من غرفتى واجتزت الطرقة . وسمعتك فى غرفة حمام اللرتون فاستخدمت تلك الطريقة التى طالما استهجنتها أنت فجثوت على ركبتى ونظرت من ثقب المفتاح ولحسن الحظ ان المفتاح لم يكن بالباب . ورأيتك ورأيت ما فعلت وفهمت على الفور الفكرة التى تدور فى رأسك .

ولم يبق أمامى بعد ذلك الا أن أعمل فعدت الى غرفتى واعددت عدتى . وعندما صعد كورتيس أرسلته لكى يأتى بك وجئت انت تتثاءب زاعما ان بك صداعا . وأسرعت بانتهاز الفرصة وعرضت عليك بعض العقاقير ولكى تتخلص منى رضيت أن تشرب قدحا من الشيكولاته وازدردته مرة واحدة لأنك كنت تتعجل الانصراف . ولكننى أنا أيضا استخدمت الأقراص المنـــومة فما ان عدت الى غرفتك حتى نمت فى مقعدك .

وعندما استيقظت فى صباح اليوم التالى كنت قد استعدت صفاء ذهنك وادركت بشاعة ما كنت مقدما عليه بالأمس . ولم تكن تتعرض لأى خطر بعد ذلك لأن المرء لا يقدم على مثل هذا العمل مرة أخرى عندما يعود اليه رشده .

بيد ان ذلك حفزنى الى العمل لأن كل ما كنت استطيع ان أعرفه عن الآخرين كان لا ينطبق عليك أنت لأنك لست قاتلا يا هاستنجز . . ومع ذلك فقد كان فى الامكان أن يدينك القضاء لجريمة ارتكبها غيرك ويبدو بريئا أمام القانون .

نعم ، كان لابد ان اتصرف . كنت اعرف أنه ليس امامى الكثير من الوقت ومع ذلك فقد ابتهجت لأنه ليس اشق على النفس واقسى فى جريمة القتل من تأثيرها على القاتل . وقد كان فى مقدورى أن اعتقد ان الله اختارنى ، انا هركيول بوارو لكى اقتص من المذنبين ، ولحسن الحظ اننى لن أشعر بهذا التأثير لأن النهاية بالنسبة لى كانت آتية دون تأخير ، ثم اننى خشيت أن يفلح نورتون فى احدى خططه الشيطانية مرة أخرى اذا ما تصدى لشخص عزيز علينا معا ، واعنى به ابنتك .

ولننتقل الآن الى موت بربارا فرنكلين . . . مهما تكن أراؤك فى هذه القضية فلا أظن انك شككت لحظة واحدة فى الحقيقة لأنك أنت الذى قتلت بربارا ياهاستنجز . . نعم ، أنت .

لأن هناك مظهرا ثالثا للمثلث فى الواقع . . مظهرا لم أهتم به بما يكفى قبل ذلك ، فلم نكتشف ، لا أنت

ولا أنا أهداف نورتون فى هذه الناحية ، ومع ذلك فاننى لا اشك فى انه وضعها موضع التنفيذ .

هل خطر لك ان نتساءل لماذا قبلت مسز فرانكلين المجيء الى ستايلز ؟ لو انك فكرت فى ذلك لحظةواحدة لأدركت أنه ليس بالمكان الذى يتوقع ان يراها أحـــد غيره ، فقد كانت تحب الرفاهية والطعام الشهى ، وفوق كل شيء حياة المجتمع . وستايلز ليس بالمكان الذى تتوفر فيه وسائل الترفيه والخدمة ليست ممتازة تماما ومع ذلك فهى التى أصرت على قضاء الصيف فيه ، وكما سبق ان قلت ، هناك مظهر آخر للمثلث وهو بويد كارنجتون .

لقد تزوجت مسز فرانكلين زواجا فاشلا وهذا هو سبب مرضها العصبى . كانت امرأة طموحه علىصعيد المجتمع والمال فى نفس الوقت . وقد تزوجت بفرنكلين لأنها كانت ترجـــو ان يكون له مســـتقبل زاهر متـــألق، والواقع أنه كان متألقا على طريقته هو لا كما كانت زوجته تتمنى وتأمل ، وقد أدركت انه لن يتاح له أبدا الظهور فى المجتمع ولن تكون له عيادة فى شارع هارلى، وهو شارع الأطباء الناجحين ولن تنشر مقالاته الا فى المجالات العلمية وقراؤها مجدودون . صـــفوة القول أنه لن يثرى أبدا .

ولكن ها هو ذا بويد كارنجتون قد عاد من الشرق وورث لقب البارونية ونصرا كبيرا وثروة طائلة وقد ظل محتفظا فى سويداء قلبه بعاطفة رقيقة نحو فتاةالسابعة عشرة التى سبق ان رآها وكاد ان يطلب يدها . وكان ينوى قضاء الصيف فى ستايلز ريثما تنتهى الترميمات

التى بدأها فى كناتون . واقترح على آل فرانكلين ان يأتوا هم ايضا للاقامة فى ستايلز ، واسرعت بربارا فقبلت العرض .

والواقع أنها لم تفقد شيئا من فتنتها فى عينى ذلك الرجل الثرى الذى لا يزال يتمتع بجاذبية كبيرة . غير انه محافظ ولن يرضى بالطلاق أبدا كما أن جون فرانكلين لا يحبذ الطلاق هو الآخر . ولكن اذا مات هذا الأخير فان بربارا تستطيع ان تصبح الليدى بويد كارنجتون عندئذ وستكون حياتها رغدة سعيدة .

وأظن أن نورتون وجد فيها أداة سهلة يمكنه ان يصوغها كما يريد .

وحين افكر فى الأمر مليا ياهاستنجز ارى ان الأمر كان واضحا جدا ، ولا تنسى محاولاتها لكى تثبت انها متمسكة بزوجها ، بل انها زادت فقالت انها تود لو ان تتخلص من حياتها لأنها عبء عليه لا يستطيع التخلص منه ، ثم تتخذ منهجا آخر بعد ذلك بقليل فتتظاهر بأنها تخشى ان يجرب زوجها القلويات السامة على نفسه .

نعم . كان يجب ان نفهم عندئذ يا هاستنجز . كانت تعدنا مسبقا لكى نتأكد ان فرانكلين مات قتيلا بسم الفيزوستجمين ، وهكذا لا نشك فى أن أحدا دس له السم وانما نعتقد انه مات خطأ نتيجة لتناوله السم لكى يعرف تأثيره عليه .

ولكن الأحداث تتابعت بسرعة فأنت قد أخبرتنى ان مسز فرانكلين استاءت جدا عندما رأت مس كرافن تقرأ كف بويد كارنجتون . كانت الممرضة امرأة

جذابة من النوع الذى يحاول استمالة الرجال اليـــه ، وقد حاولت ان تستميل الدكتور فرانكلين اليها ولكن دون جدوى . وهذا هو سبب كراهيتها لجوديث . ثم غازلت اللرتون بعد ذلك وهى تعــرف أنه زئر نساء . ولم يكن هناك اى شك فى أنها ستلقى بشباكها أخيرا على سيرويليام الثـــرى . وكان لدى هذا الأخــير كل الاستعداد لأن يقع فى براثنها لأنه كان قد لاحظ انها فتاة قوية الجسم صحيحة البدن لا تشكو من اى مرض .

ولهذا استولى الخوف على بربارا وعقدت النية على أن تتصرف فورا ، قبل أن تضيع منها الفرصة .

هل تشعر يا صديقى اننى أكن احتراما كبيرا لفول كالابار هذا ؟ . فهو قد اظهر قدرته هذه المرة لأنه صان البرىء وعاقب المذنب .

فقد دعتكم مسز فرانكلين فى تلك الليلة لتناول القهوة فى غرفتها . وكما قلت لى كان فنجانها موجودا أمامها وفنجان زوجها فى الجانب الآخر من المكتبة .

ثم ظهر النيزك واسرع الجميع الى الشرفة لمشاهدته . وبقيت أنت وحدك مع كلماتك المتقاطعة ومع ذكرياتك . ولكى تتغلب على انفعالاتك أدرت المكتبة لكى تأخذ كتابا

وعاد الجميع عندئذ وشربت مسز فرانكلين القهــوة التى أعدتها لزوجها بينما شرب هذا الأخير قهوتها هى .

وقد أدركت ما حدث على الفور ولكن كان من المستحيل اثبات ذلك ، ولو خطر ببال أحد أن موت مسز فرانكلين لم يكن انتحارا فان معنى ذلك أن تقع الشــكوك على فرانكلين وجوديث وهما بريئان تماما .

ولهذا فعلت ما أعتقدت انه حق ورويت قصة القنينة التى رأيتها فى يد مسز فرانكلين ورددت الكلمات التى عبرت بها عن رغبتها فى الانتحار .

وكنت أنا الوحيد الذى كان فى استطاعته أن يقدم على هـذا التصرف لأن لى خبـرة كبيرة فى النواحـى الاجرامية ولأن لشهادتى ثقلها . وكنت مقتنعا فى شهادتى بحيث ان المحلفين قبلوا فكرة الانتحار . وقد رأيتـك منزعجا وغير راض عن نتيجة التحقيق . وأحمد الله لأنك لم تشك فى الخطر الحقيقى . ولكن هل تشتبه فيه بعد اختفائى وهل يلح على ذهنك كالثعبـان الذى يحرك رأسه من وقت لآخر ويقول : واذا كانت جوديث؟ .

كان هذا أمرا محتملا ولهذا قررت ان أكتب لك هذا البيان لأن من الضرورى ان تعرف الحقيقة .

وهناك شخص آخر ما كان حكم الانتحار ليرضيه ، وهو نورتون لأنه أحسن بأنه حرم من شىء . وكما سبق ان قلت فقد كان رجلا ساديا يجب أن يستمتع بكل أنواع العنف والانفعالات والشكوك والمخاوف التى يجب أن يراها على الوجوه بعد صدور حكم بالادانة . ولكنه حرم من كل هذا لأن الجريمة التى خطط لها ودبر اجهضت امام عينيه .

ولكنه لا يلبث ان يرى مايمكن أن نسميه بالتعويض . . . طريقة يستدرك بها ما حدث فيقوم ببعض الايعازات ويتظاهر بأنه رأى شيئا غير طبيعى خلال منظـاره . وكان ينوى أن يزعم انه رأى اللرتون وجوديث فى موقف مشبوه ، ولكنه لم يكن قد حدد شيئا بالذات ، وكان

فى مقدوره أن يستخدم هذا الحدث بطريقة مختلفة كأن يقول مثلا أنه رأى فرانكلين مع جوديث . وسيكون لموت بربارا وضعا آخر طبقا لقوله هذا لأنه سيثير الريب والشكوك حول حقيقة انتحارها .

ولهذا السبب يا صديقى عقدت العزم على أن اتصرف دون أى تأخير فطلبت منك أن تأتينى بنورتون فى تلك الليلة .

وسأروى لك الآن ما حدث بالضبط . ولا ريب أن نورتون كان يسره أن يروى لى قصته على طريقته الخاصة ولكننى لم أترك له الوقت لذلك بل صارحته على الفور وبكل وضوح بكل ما أعرفه عنه وعن أعماله . ولم ينكر شيئا وانما بقى جالسا فى هدوء وهو يبتسم معجبا بنفسه . نعم يا صديقى . كان يبتسم ثم سألنى بعد ذلك ماذا انوى أن افعل فأجبته بكل هدوء بأننى انوى ان اقتله .

صاح يقول : ـــ آه . أبالسيف أم بالسم ؟

وكنا نهم فى تلك اللحظة باحتساء قدح من الشكولاتة فأجبتـــه :

ـــ أسهل شىء طبعا هو أن ألجأ الى السم .

وناولته قدح الشيكولاتة فقال : ـــ اذا كان الأمر كذلك أفيزعجك ان استبدل فنجانى بفنجانك ؟

أجبته : ـــ ابدا .

والحق انه لم يكن لذلك أهمية فاننى كما سبق أن قلت لك أتعاطى المنومات . ولما كنت أتناولها يوميـــا وبصفة مستديمة فقد اعتاد جسمى عليها واكتسب مناعة

ما بحيث ان الكمية التى كان يجب ان تؤثر فى نورتون لا تأثير لها على على الاطلاق . وكنت قد دسست المخدر فى اناء الشيكولاتة فتناولناه معا ولكنه أحدث مفعولة فى نورتون سريعا . أما أنا فلا ، خصوصا واننى أبطلت مفعوله بجرعة من الدواء الذى اتناوله عادة .

وبهذا بلغنا الفصل الأخير فقد نام نورتون . وأجلسته فى مقعدى ونقلت المقعد خلف الستارة السميكة بجوار النافذة . وجاء كورتيس بعد ذلك فأرقدنى فى فراشى . وعندما سكن كل شيء نهضت ومضيت بنورتون الى غرفته ولم يعد أمامى عندئذ الا أن استخدم عينى وأذنى صديقى العزيز هاستنجز .

ولعلك لم تلحظ ذلك ولكننى البس باروكة منذ بضع سنوات ، كما أن شاربى غير حقيقى .

وبعد ذلك لبست ثوب نورتون المميز وشعثت شعرى كما أعتاد هو ان يفعل ثم خرجت الى الطرقة وقرعت بابك وكما توقعت ظهرت أنت بعتبة الباب على الفور وعيناك وارمتين من النوم ورايت نورتون يخرج من غرفة الحمام ويعبر الطرقة وهو يعرج لكى يمضى الى غرفته ثم سمعته يغلق باب غرفته بالمفتاح .

ونضوت الثوب عنى عندئذ والبسته لنورتون ثم مددته فوق الفراش وقتلته بمسدس صغير قد اشتريته من الخارج من قبل . ومنذ قدومى الى ستايلز وأنا احتفظ بهذا المسدس فى مكان امين فيما عدا مناسبتين خرج نورتون فيهما من غرفته لفترة طويلة فوضعته تحت الطاولة التى بجوار فراشه لكى تراه الخادمة وتشهد فيما بعد بأنه ملكه .

ودسست المفتاح فى جيب نورتون بعد ذلك ثم اخذت مقعدى واغلقت الباب بالمفتاح المزدوج الذى كان معى منذ بعض الوقت .

وانهمكت بعد ذلك فى كتابة هذا البيان الذى اعده لك . اننى متعب والجهد الذى بذلته ارهقنى واظن انه لن ينقصنى وقت طويل قبل أن . . .

ولكن هناك نقطة أو نقطتين لابدّ لى من ان اجلوهما .

ان جرائم نورتون كانت جرائم كاملة . أما جريمتى انا فليست كذلك لأننى اردت ذلك .

كانت أحسن طريقة هى ان أقتله بصراحة وعلانية متسببا فى وقوع حادث بمسدس ثم اتظاهر بعد ذلك بالاستياء والندم بحيث يقول الجميع : يا للرجل المسكين ! . . . انه لم يكن يدرى أن المسدس محشو .

ولكننى لم اشأ أن اتصرف هكذا . وسأخبرك الآن بالسبب .

ذلك لأننى أردت أن اكون « رياضيا »

نعم ، فاننى أفعل الآن كل ما سبق أن لمتنى من اجله ، فقد صارحتك بكل شىء وكشفت لك لعبتى وقدمت لك كل الأوراق الرابحة لكى تهتدى الى الحقيقة . واذا كنت تشك فى ذلك فسوف اذكر لك الأدلة التى تركتها لك .

أنت تعلم أن نورتون قد أقبل هنا بعدى ، وقد قلت لك ذلك . وتعلم اننى استبدلت غرفتى بغيرها بعد قليل من مجيئى وقد قلت لك ذلك . وتعلم اننى فقدت مفتاحى

واننى صنعت مفتاحا آخر بدله . وقد قلت لك ذلك أيضا .

ونتيجة لذلك فعندما تتساءل من الذى استطاع أن يقتل نورتون ، ومن الذى استطاع أن يخرج من غرفة مغلقة بالمفتاح فلابد أن يكون الجواب هو : هركيول بوارو لأنه منذ أن اقبل الى ستايلز ومعه مفتاح مزدوج لاحدى الغرف .

ولنتكلم الآن عن الرجل الذى رايته فى الطرقة . اننى سألتك هل أنت واثق أنه هو نورتون فبدت عليك الدهشة لسؤالى هذا وسألتنى بدورك هل أريد الايحاء بأنه ليس هو ؟ وقد ذكرت لك الحقيقة وقلت لك أن هذه ليست نيتى (وهذا أمر مفهوم طبعا لأننى ازعجت نفسى كثيرا لكى أحملك على الاعتقاد بأنه هـو الذى رأيته) . ثم تكلمت عن قامته بعد ذلك وقلت لك أن جميع من فى ستايلز أطول منه قامة ومع ذلك فقد كان هناك شخص أقصر منه قليلا وهو هركيول بوارو ولكن من السهل جدا أن اكتسب بضعة سنتيمترات زيادة اذا ما وضعت فى حذائى ما يساعدنى على ذلك .

وكنت مقتنعا كذلك بأننى كنت عاجزا عن الحركة . ولكن لماذا ؟ لأننى أنا الذى قلت لك ذلك . وأخيرا ابعدت جورج ونصحتك أن نلتقى به .

وتعلم من عطيل وجونى كلوت أن « س » لا يمكن أن يكون الا نورتون .

فمن الذى استطاع أن يقتل نورتون اذن ؟

هركيول بوارو وحده هو الذى استطاع ذلك .

لو أن هذا الشك راودك لتطابقت كل قطع اللغز ، فان كل الأشياء التى قلتها لك وفعلتها ، وترددى وتصريح الأطباء المصريين وطبيبى المعالج بلندن بأننى لا أستطيع الحركة وتصريح جورج فيما يتعلق بباروكتى ، وكونى أعرج أكثر من نورتون ، كل هذا كان يمكن أن يرشدك الى الحقيقة .

ولكن من الجائز أنك اشتبهت فى أمرى على كل حال . ومن الجائز أنك كنت تعرف الحقيقة قبل أن تقرأ هذه السطور . . . ومع ذلك فلا أظن أن هذا حدث . لأنك من الشرف ومن السذاجة بحيث لا يمكن أن يخطر لك هذا على بال .

ماذا اقول أيضا ؟ . . . فرانكلين وجوديث ؟ . . . اظن انك ستكتشف أنهما كانا يعرفان الحقيقة ، ولكنهما لن يعترفا لك بذلك . قد لا يصيبان الثراء ثم أنهما قد يضطران الى مقاومة الناموس والأمراض الاستوائية ولكن لكل منا أراؤه الخاصة فى الطريقة التى يكيف بها حياته .

وانت الآن وحدك يا عزيزى هاستنجز . . . ان قلبى يدمى وأنا أفكر فيك وفى روحك اليائسة . هل تريد أن تصغى الى نصيحة صديقك الحميم بوارو للمرة الأخيرة ؟ . . . *اذا أردت ذلك فعندما تفرغ من قراءة هذه السطور* استقل القطار أو السيارة أو العربة وأمض لزيارة اليزابث كول ، وهى أيضا اليزابث ليتشفيلد . اقرأ لها هذا البيان أو أطلعها على ما فيه ، وقل لها أنه كان مقدرا لك أنت الآخر أن تتصرف كما تصرفت أختها

مرجريت وأن ماجى المسكينة لم تجد بوارو لكى يسهر عليها كما سهر عليك أنت . قل هذا لاليزابيث وانتزع من ذهنها ذلك الكابوس الذى يلح عليها منذ سنين وأخبرها أن أباها لم تقتله ابنته وانما قتله صديق العائلة الذى أولاه ثقته . . . ستيفن نورتون الشريف . . . لأنه ليس من العدل يا صديقى أن ترفض امرأة شابة وجميلة مثلها أن تعيش لأنها تظن أن القدر وسمها . ليس هذا صحيحا . قل لها هذا يا صديقى فأنت ما زلت على حظوة كبيرة لدى السيدات .

حسنا . لم يعد لدى ما يقال ولكننى لا أدرى يا هاستنجز اذا كان ما فعلت شرعا أم لا . . . لا أدرى حقا . . . وفى قرارة نفسى لا أعتقد أن للرجل أى حق فى أن يحل محل القانون . ولكن من ناحية أخرى فأنا القانون . وعندما كنت شابا . وكنت لا أزال أعمل فى البوليس البلجيكى قتلت مجرما لجأ الى السطح وراح يطلق الرصاص على المارة . وفى حالة الضرورة القصوى أو الخطر الماحق نعلن الأحكام العسكرية . وبانتزاعى الحياة من نورتون فقد انقذت أناسا آخرين . . . أناسا أبرياء . ومع ذلك فلا أدرى ولعل من الأوفق أن لا أدرى . . . اننى كنت دائما واثقا من نفسى .

ولكننى الآن أقول فى خضوع كالطفل الصغير . . . لا أدرى .

الوداع يا صديقى العزيز . اننى أزلت من الطاولة التى بجوار الفراش أقراص الاملنتريت مفضلا أن أترك نفسى بين يدى الله وارجو أن يشملنى بقصاصه أو برحمته بدون تأخير .

لن نخرج للصيد مرة اخرى يا صديقى . . . كان صيدنا الأول هنا . . . هل تتذكر ؟ . . . وهنا صيدنا الأخير .

كان ذلك فيما مضى .

نعم كان ذلك فيما مضى . . .

وبهذه الكلمات انتهى بيان هركيول بوارو .

تمت

التوزيع فى ج. م. ع : مؤسسة الاهرام

التوزيع فى جميع الدول العربية

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع – بيروت . لبنان

رقم الايداع ٥٤٤١ / ١٩٧٦
الترقيم الدولى ٨ – ١٨ – ٧٠٢٦ – ٩٧٧ ISBN

مطابع الاهرام التجارية

الأخيرة

.. آخر قصة كتبتها اجاثا كريستي قبل ان يوافيها
قد اودعتها شعلة عبقريتها .

..اثها ، تباغتنا مفاجأة مذهلة : الشرطي الشهير
الذي أمضى حياته بطارد المجرمين والقتلة —
أصبح مجرما قاتلا .

باردة كالثلج ، ارتكب بوارو جريمة قتل ...
اصرار .

